









# البلاغة الغنية

تأليف

على الجندى

عميد كلية دار العلوم — جامعة القاهرة  
وأستاذ الدراسات البلاغية بها سابقا

الطبعة الثانية

١٩٦٦

ملتزمة الطبع والنشر  
مكتبة الأنجلو المصرية  
١٦٥ شارع محمد علي قنطرة (عمار الدين سابقا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

، الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان ،

• • •

المحمود : الله جل ثناؤه ، والمصلّى عليه : رساله وأنبيائه ،  
والمدعو له : الوطن العربى وأنباؤه .

## مقدمة الطبعة الأولى

هذه فصول في ألوان من البلاغة ، شغلت أذهان علماء البيان ، وجماعة الأدباء والشعراء في الماضي ؛ ولم يزل لأكثرها شأنه في الحاضر ، على أن ما أفل نجمه منها لا يزال يُلقى على بعض أدبنا الموروث من شعر ونثر ، ظل السابغ الشّعشع ، وينهض فيه أثره واضحاً ملموساً ؛ بحيث لا نستطيع دراسته كما يجب ، ونقد حقه قدره ، ونتوصل إلى فهمه ، ونحيط بدقائق صورته ، بغير هذه البحوث الكاشفة الواسعة ، التي هي سمة الجامعات وميزتها الكبرى .

وهذه الفنون البلاغية التي أشرت إليها ، والتي مارسها في كتابي هذا ، تتميز بالرغم من عناوينها الكلاسيكية - - بالطرافة والجدة - - فهي تروك أبدأ وتروك دائماً ، كالروض تطلع عليك أزهاره كل يوم صوراً مستحدثة ، وكالقمر تجلو عليك أنواره كل ليلة جمالا جديداً ١١

وهي - إلى ذلك - تنسم بالثراء والترف والنعمة ؛ فهي ليست ككل كلام استحق اسم البلاغة ؛ بما حوى من شيات الجمال المتعارف لدى البلغاء ، ولا يكفي فيها أن تكون حلوة اللفاظ ، بارعة الأساليب ، جميلة الأخيلة صادقة الأداء . بل لا تقنع بما يقنع به غيرها من ذلك التحسين والتنميق والتجبير ، الذي يوفر لها ما يسمى بالمحسن البديعي ، ولكن لا بد لها وراء ذلك من ثروة في الأنغام ، وغنى في الألحان ، ودسومة في الفواصل والقوافي إلى حد التخمّة ، حتى يصير الكلام كله غناء ، أو شديداً بالغناء ، ومن هنا جاءت تسميتها «بالبلاغة الغنية» ، لأنها غنية حقاً وصدقاً ، بل لعلها مفرطة الغنى ، مسرفة الثراء ١١

وقد سلكت في معالجتها ما يحتمه النهج العلمي الجامعي : من قراءة شاملة

— ٤ —

ونظر مستوعب ، وتحقيق دقيق ، ونقصد فاحص ، وموازنة سديدة ،  
واستنباط رشيد ، مستصحباً في دراستها بعلم النفس ، وفلسفة الجمال ، وروح  
الأدب ، مستهدياً بصناعة الشعر ، وما توفره لمصاحبها من ذوق موسبق ،  
وحاسة فنية .

وكان وكدي الأول أن أجعلها بلاغة أدبية ، تعتمد على حسن العرض  
وأناقة السرد ، وتخير الشاهد والمثال ، والافتنان في إيراد النماذج الفاخرة  
لحشدت فيها ما يخطئه العد من آثار القدماء والمحدثين ، عارضاً لها بالنقد  
تارة والموازنة أخرى ، مبيناً غثها من سميتها ، ومعرضها من قوامها ، حتى  
أصبح الكتاب كتاب أدب إن شئت ، وكتاب بلاغة ونقد إن أردت ،  
وديوان شعر إن رمت . ولست أزعم أنى بلغت الغاية ، أو أرضيت نفسى  
كل الرضاء ، ولكنى أستطيع أن أقول : إنى بذلت جهد الاستطاعة ، وجريت  
إلى نهاية الشوط ، وأخلصت فيما صنعت ، والحمد لله على كل حال ، وهو  
وحده المتصف بالسكال .

على الجندى



## الفصل الأول

### الالتزام

ويسمى أيضاً . لزوم مالا يلزم ، والإعانة ، والتصديق ، والتشديد ،  
والتضمنين (١) .

ويسميه نقاد الغرب : القافية الغنية .

وجماها عندهم : ناشئ عن ندرتها (٢) .

وأسماءه كلها ناطقة بما يأخذ به صاحبه نفسه من عسر القيود ، وثقل  
المثونة ، وتحجير ما وسعه الله عليه ، وتكلف مالهو تجنبه ، لم تلحقه تبعه ،  
ولا أدركه عيب ، ولا وقع في قصور أو تقصير .

وقد عرفه ابن أبي الإصبع : بأن يلزم الناثر في نثره ، والشاعر في شعره  
— قبل روى النثر والشعر — حرفاً فصاعداً على قدر قدرته ، وبحسب  
طاقته ، مشروطاً بعدم الكلفة (٣) .

وقال النويري : هو أن يعنت نفسه في الترام ردف (٤) ، أو دخيل (٥)  
أو حرف مخصوص قبل حرف الروى ، أو حركة مخصوصة (٦) .

وتوحن بعضهم الاختصار في تعريفه ، فقال : هو أن يلتزم الناظم  
في نظمه ، أو الناثر في نثره — قبل حرف الروى من البيت ، أو الفاصلة  
من النثر — ما ليس بلازم في مذهب السجع (٧) .

(١) سمي تضمنيناً ، لتضمن القافية ما ليس يلزمها .

(٢) مسائل فلسفة الفن المعاصرة — ١٧١ .

(٣) تحرير التحرير ٢٤٤ « مخطوط » وانظر كتاب بديع القرآن — ١٨٠ — ١٨١ .

(٤) الردف : حرف ساكن من حروف اللين ، يفتح قبل حرف الروى ليس بينهما شيء .

(٥) الدخيل : الحرف الذى بين حرف الروى وألف التأسيس . والتأسيس : الألف التى

ليس بينها وبين حرف الروى إلا حرف واحد كقول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب  
وليل أقاسية بطىء الكواكب

(٦) نهاية الأرب — ٧ — ١١٣

(٧) انظر خزانة الأدب للحموى ، وحسن التوسل للجلبي ، في الالتزام .

أى إن هذا الالتزام زيادة لا تتطلبها التقفية ، سواء أكانت فى النظم أم النثر ، فلم توجد لاستقام بدونها ؛ ولم يقع عليه ضيم بتركها ، ولكن جىء بها مبالغة فى التناسب والتماثل ، وغلوأ فى التزيين والتنميق .

فالسجع بمعناه الواسع : أى التقفية ، يكتفى فيه بتساوى أجزاء الفواصل . وفى الالتزام زيادة التماثل قبل حرف الروى ، فهو سجع وزيادة .

فمثلا يجوز أن تجعل كلمة « كتاب » مقفاة مع كلمة « صواب » وكلمة « فهم » مصدر فهم ، مع كلمة « علم » مصدر علم ، ولكن التزام التاء فى مثل كتاب وعتاب ، وعلم وحلم — بكسر العين والحاء — يكسب التعبير بهاء ، ويزيد النعمة نداوة ورخامة وريننا .

والالتزام على ثلاثة أقسام :

١ — التزام الحركة وحدها كقول ابن الروى :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها      يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
وإلا فما يبكيه منها وإنها      لاوسع مما كان فيه وأرغد  
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه      بما سيلاقى من أذاها يهدد  
فقد التزم الفتح قبل الروى .

٢ — التزام الحرف :

ويكون بحرف واحد ، كقوله — تعالى — : « فأما اليتيم فلا تقهر »  
وأما السائل فلا تنهر » . فالراء بمنزلة حرف الروى ، ومجىء الهاء قبلها فى  
الفاصلتين « لزوم مالا يلزم » لصحة السجع بدونها ، لو حولناه إلى سجع آخر  
فى غير القرآن الكريم ، نحو : فلا تقهر ولا تسخر .

ومثل ذلك قوله — سبحانه — : « ألم نشرح لك صدرك ... » الآيات  
التزم فيها الراء « قبل الكاف » .

« فلا أُقسِمُ بالحنس . الجوار الكُنس (١) » .

التزم فيها النون المشددة قبل السين .

« والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق (٢) » .

التزم فيها السين قبل القاف .

ومن ذلك قول ابن خفاجة الأندلسي : وقد التزم العين قبل

حرف الروي :

أنتى تطاولنى ودونى بسطة يا جدّ يساعدنى وجد مسعد

ها قد حلت وللتقليل غاية فى حيث يشرق ثم يشرف مقعد

طلب السماء فهل سمعت بحيلة ترقى بها نحو السماء وتصد

الزم ثراك وعض طرفك ذلة فكأنى أنأى عليك وأبعد

ولئن ضربت — وقد عرتى وعك — فالليث يبرد والمهند يردد

ويكون بحرفين ؛ كقوله — تعالى — « والطشور وكتاب مسطور »

التزم فيها الطاء والواو قبل الراء .

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجراً غير ممنون »

التزم فيها النون والواو قبل النون .

ويكون بثلاثة أحرف ؛ كقوله — تعالى — : « فإذا هم مبصرون ،

ولخوانهم يمدّونهم فى الغنى » ثم لا يقصرون ،

التزم فيها الصاد والراء والواو قبل النون .

وابن الأثير — كما يأتى — لا يعد مثل هذه الواو داخلة فى اللزوم ،

لأنها ليست من بنية الكلمة .

٣ — التزام الحرف والحركة معاً ، كما فى بعض الأمثلة المتقدمة .

(١) الحنس بضم الحاء وفتح النون المشددة : الكواكب السيارة سميت بذلك لحنوسها :

أى رجوعها . والكلس بوزن الحنس ؛ سميت بذلك لأنها تكلس كالطباء فى دخولها كناسها :

أى تستتر تحت ضوء الشمس .

(٢) وسق من باب وعد : جمع وحل . واتسق : انتظم وامتلاء نوراً .

وكقول عبدالله بن الزبير (١) الأسدي — يمدح عمرو بن عثمان بن عفان: (٣)

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي  
أيادي لم تُبهن وإن هي جلت  
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه  
ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت (٣)  
رأى خلقتي من حيث يخفى مكانها

فكانت قذى عينيه حتى تجلت (٤)  
فحرف الروى — وهو التاء — قد جاء قبله بلام مشددة مفتوحة .  
وهو ليس بلازم في السجع ؛ لصحة السجع بدونها . مثل جلت ، ومدت  
ومنت ، وانشقت ، ونحو ذلك .  
ففي الآيات نوعان من اللزوم :  
أحدهما : التزام الحرف .  
والآخر : فتحه .

وقد يوجد الأول بدون الثاني ، وبالعكس .  
ولا يعد الردف في القافية — وهو الياء والواو قبل حرف الروى —  
من باب اللزوم ، كعين ، وقين ، وحول ، وصول ؛ لأنه لا يمكن العدول  
عنه ؛ لتعين السير عليه في كل الآيات .  
وقد ذكر ابن الأثير : أن بعضهم عد من هذا النوع يبتين في الحماسة ،  
قافيتهما : « طيش » وعيش (٥) .

(١) الزبير بوزن أمير : شاعر كوفي المشأ والمولد من شعراء الدولة الأموية ، وهو أحد  
الهجائيين المشهورين .

(٢) هذه رواية معاهد التنصيص — ٢ — ١٠٥ وفي التجريد على السعد — ٤ — ٤٥٠ :  
أنهم المحدث بن سعيد الكانفي عمرو بن سعيد الأشدق .

(٣) لم تمنن بالبناء للمجهول : لم تقطع ، أو لم تخلط بالبن ، وهو ذكر الصنعة .

(٤) الحلة بفتح الخاء : الحاجة والفقر والخصاصة .

(٥) ديوان الحماسة — ٢ — ٤٠٢



وليس هذا من باب اللزوم : لأن اللزوم هو : أن يلتزم الناظم والناثر  
ما لا يلزمه : كقولنا : شرق وشرق مثلاً : فإنه لو قيل بدلاً من ذلك : شرق  
وحقق لجاز ذلك ؛ وفي هذين البيتين لا يقع الأمر كذلك ، لأنه لو قال :  
طيش وعرش لما جاز ...

وإذا جرى بذلك في الشعر ، والكلام المنشور ، لا يقال . إنه التزم مالا  
يلزم ، لأن الملتزم مالا يلزم ، له مندوحة في العـدول إلى غيره ، وههنا  
لا مندوحة .

ثم قال : وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع ، فأدخل فيه ما ليس  
منه ، كقوله — تعالى — « إن المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم  
رُبهم ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم » .

وهذا لا يدخل في باب اللزوم ، لأن الأصل فيه « نعم » و « جحيم »  
والياء من حروف المد واللين ، فلا يعتد بها ههنا (١) .

وهذا كلام ظاهر الجودة ، ولكن ينقصه أن يقال : إن الجمع في  
القوافي بين الواو والياء غير معيب (٢) ، كما جاء في مقطوعة لبعض العصريين  
عنوانها « السمن الفقيـد (٣) » ، وهى :

لفقد السمن قد جزعت	وناحت ربة البيت
فقلبت . تجلدى فالتو	ح محظور على الميت
ولا تلوى على «كـو»	— فما تجدى—ولاديت ،
فقد ولّى بلا رُجعى	فسلى الهمم بالزيت
أيا «تجار» هل يسرى	إلى أسماءكم صوتى
هى الدنيا بما فيها	ومن فيها إلى فوت
نخافوا سطوة الجبا	ر ، واخشوا فجأة الموت

(١) المثل السائر — ١٠٩ — ١١١ .

(٢) مفنح العلوم — ٣٠٠ .

(٣) ألحان الأصيل — ٣٣١

فلو أن الشاعر التزم الواو وحدها ، أو الياء وحدها ، لعد صنعه من باب اللزوم ، لأنه التزم شيئاً لا توجبه عليه قواعد العروض .  
وقد قال ابن أبي الإصبع في قوله — تعالى — : د والطور وكتاب مسطور ، جاءت الطاء قبل واو الردف لازمة ، وجاءت الواو ردفاً . مع جواز تبديلها بالياء .

وقال في قوله — عز وجل — : د أمرنا مُترفياً ففسقوا فيها ، .  
لزم فيها الفاء قبل ياء الردف ، ولزمت الياء مع جواز تبديلها بالواو (١) .  
ومهما يكن فيجوز من غير قبج وقوع الواو في بعض أبيات القصيدة ، والياء في بعضها الآخر عند العروضيين ، وإن كان التزام أحدهما وحده — إذا وقع عفواً — أحسن تنغيماً ، بخلاف الألف فإنها لا يصح أن تقع مع الواو والياء .

وبعض المحدثين يقع في هذا الخطأ ولا يعرفه .

ومن ذلك قول السموءل :

إذا المرء لم يدس من اللؤم عرضه

وقوله فكل رداء يرتديه جميل

وما ضر من كانت بقاياها مثلنا

شباب تسامى للعلا وكهول

فقد جمع كثيراً بين الواو والياء في هذه القصيدة العصماء .

والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى ، بل من النادر أن توجد قصيدة مردوفة بأحدهما فقط (٢) .

وقد جاء اللزوم كثيراً في القرآن الكريم على رأى الحموى ، وقليلاً على رأى ابن الأثير (٣) .

والحق أن المتتبع له — على الشرط الذى ذكره — يجده كثيراً في الكتاب العزيز ، كما مر في الأمثال .

(١) بديع القرآن — ١٨١ .

(٢) هامش شرح المفصل — ١٠ — ٩٥ .

(٣) خزانة الأدب — ٥٣٠ — المثل السائر — ١١٠ .

وكقوله - تعالى - : « ياأبت إني أخاف أن يَمَسَّكَ عذاب من الرحمن ، فتكون للشيطان ولياً ، قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تقلته لأرْجُحَنَّكَ واهْجُرَنِي ملياً » .

« قال قرينه ربنا ما أطغيتنه، ولكن كان في ضلال بعيد، قال: لا تختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد » .

« فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، وإن لك لأجرًا غير ممنون (١) » .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق » .  
وقد جاء كثيراً فى الحديث الشريف ، كقوله : - عليه الصلاة والسلام - : « شرما فى المرء : شح هالع ، وجبن خالع » .

« الأرواح جنود مجندة: فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف .  
« إذا استشاط السلطان ، تسلط الشيطان (٢) » .

ومن ذلك قول عمر - رضى الله عنه - : لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً .

وقول بعض الأدباء : وجهه وسيم ، وفضله جسيم .  
وقول امرأة : المس : مس أرنب ، والريح : ريح زرنب (٣) .  
ومن النثر المطبوع الذى وصفه ابن الأثير بالحلاوة وعدم الكلفة :  
قول بنت قيس بن خالد لزوجها الثانى - تصف له زوجها الأول « لقيط ابن زرارة » - : « خرج لقيط فى يوم دجن - وقد تطيب وشرب - فطرد البقر - بقر الوحش - فصرع منها ، ثم أتانى - وبه نضح من دم - فضمنى ضمة ، وشمى شمة ، فليتنى مت شمة (٤) » !!

(١) ممنون : مقطوع .

(٢) استشاط : التهب غضباً .

(٣) الزرنب وزن زينب طيب ، أو شجر طيب الرائحة ، والزعفران .

(٤) المثل السائر - ١٠٧ وانظر القصة كاملة فى الكامل للمبرد - ٥ - ٩٣

والشاهد في قولها : ضمة الخ .

وهو في الشعر كثير مستفيض ، ويتفاوت في الحسن والقبح تفاوتاً كبيراً .

فمن المطبوع الجيد : قول عروة بن أذينة (١) :

إن التي زعمت فؤادك ملئها

خُلقت هواءك كما خُلقت هوًى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها

بلباقة فادقها وأجلتها (٢)

حجبت تحييتها فقلت لصاحبي

ما كان أكثرها لنا وأقلها

وإذا وجدت لها وساوس سَلوة

شفع الضمير إلى الفؤاد فسلبها

وقول أبي نواس :

اترك الأطلال لاتعبأ بها      لأنها من كل بؤس دانيه

وانعت الراح على تحريمها -      إنما دنيك دنيا فانيه

من عقار من رآها قال لي      : صيدت الشمس لنا في آنيه (٣)

وقوله :

أما وزند أبي د علي ، إنه      زند إذا استوريت سهل قد حكا  
لأبي الصنع عالي همتي      من غيركم ، ويعاف إلا مدحكا

(١) ديوان الحماسة - ٢ - ٦٨ - ٦٩

(٢) دقت : دق خصرها وأنفها وحاجباها ، وجلت : عظم ساقاها وعضداها وكل ما يحسن كبره فيها . دولة النساء - ٢٧٠ وهو كقول الشنفرى :

ددت وجلت واسبكرت وأكلت      فلو جن لسان من الحسن جنت

(٣) العقار بالضم : الحر لأنها عقرت العقل ، أو عاقرت العقل ، أو عاقرت الدن أى لازمته .

(٤) استوراه : استخرج ناره .



وقول أبي تمام :

خدم العلا نجد منه دهي التي لا تخدم الأقوام ما لم تخدم  
فإذا ارتقى في قلعة من سودد قالت له الأخرى بلغت تقدم  
وقول أبي الطاهر السَّيْرَ قُسْطَى :

كل حبيب له دلال وربما شابه ملال  
وأنت أنت الحبيب لكن من دون إسعافك الهلال  
وقول المعري :

يقولون في البستان للعين لذة وفي الخمر والماء الذي غير آسن  
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها ففي وجهه من نهوى جميع المحاسن  
وقوله :

لا تطلبين بآلة لك رفعة قلم البليغ بغير حظ مغزل  
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له ربح ، وهذا أعزل (١)  
وقول أبي جعفر الغرناطي :

ناوائه وردة فاحمر من خجل وقال وجهي يغني عن الزهر  
الحمد: ورد، وعيني: نرجس، وعلى خدي عذار كريحان على نهر  
وقول أبي الفضل الميكالي :

تعز عن الحرص تعزز به ففي الطمع الذلي والمنقصه  
ولا تُنزلن أبداً حاجة بمن كابد البؤس والمخمصه  
ولو نال نجم الدجى ثروة وأوطأ شمس الضحا الخمصه (٢)  
وقول شوقي في رثاء الأستاذ الإمام محمد عبده :

مفسر آي الله بالأمس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت  
رحمت ! مصير العالمين كما ترى وكل هناء أو عزاء إلى فوت

(١) السماكان: نجهان بيران .

(٢) الأخمى بفتح الميم : مالا يضيب الأرض من باطن القدم .

هو الدهر ميلاد فشغل فأنم  
فذكر كما أبقى العدى ذاهب الصوت  
ومن النوع الردى قول المعرى :

بنتُ عن الدنيا ولا بنتَ لى      فيها، ولا عرسٌ، ولا أخت (١)  
وقد تحمّلتُ من الوزر ما      تعجز أن تحمله البُخت (٢)  
إن مدحوى ساءنى مدحهم      وخلت أنى فى الثرى سُخت

فهو قد فارق الدنيا ولا بنت ولا زوجة له؛ لأنه لم يتزوج ولم ينسل ،  
وكان ذلك باختيار منه، ولكن فقدانه الأخت لا يتصل بما تقدم، لأنه ليس  
من عمله هو فقد كان أبوه متزوجاً ، وكان يمكن أن تكون له أخت، ويصح  
أن يكون له إخوة وأخوات وماتوا مثلاً ، وكلمة الأخت بالذات متكلفة فلم  
اخترها دون الأخ مثلاً ، والغرض أنه يريد أنه مقطوع من شجرة ؟

والبخت جاءت لمناسبة الأخت، والتثيل بالجبال مثلاً أولى فى هذا المقام  
من البخت ، وهو المشهور المعروف .

وكلمة سُخت : ثقيلة وسخيفة ، ولم تأت لغير القافية ، وهم يقولون :  
تمنيت أن الأرض انشقت فابتلعتنى ، ولا يقولون ظننت نفسى سُخت .  
وكرامته مدح الناس لا تستوجب أن يقول هذا ، وإنما يقول مثلاً :  
خلت أنى أرمى بالحجارة والسهام وما إلى ذلك .

وقوله :

تنازع فى الدنيا سواك ، وماله ولا لك شيء فى الحقيقة فيها  
ولكنها ملك لرب مُقدّر يُعيرُ جنوب الأرض مُرتد فيها (٣)

(١) العرس بكسر الراء : الزوجة .

(٢) البخت بالضم : الإبل الخراسانية .

(٣) الجنوب بالضم : جمع جنب : والمرتد : الراكب خلف الراكب .

ولم تحط من ذاك النزاع بطائل      من الأمر إلا أن تُعَدَّ سفيها  
فيا نفسُ لا تعظم عليك خطوبُها      فتفخقوها مثل مخلصيها  
ومن المتكلف قول الوطواط :

غرَف الإمامُ الفرد عبدُ الواسع      من كل علم بالإناء الواسع  
قرم رفيع القدر ، راية مجده      مضروبة فوق الرقيع التاسع (١)  
هو منهل الآراء ، أبناءُ المنى      يردونه من كل قطر شاسع  
ماضر من يحميه حرزُ ثنائه      كسعاتُ أحداث الزمان اللاسع  
اللزوم في شعر القدماء :

يرى العلماء : أن اللزوم حلقة قديمة ، وقعت في أشعار المتقدمين على  
الندرة ، وأن ما جاء منها غير مقصود ، وكله من النوع الحسن المطبوع ،  
وأما المتأخرون فقد قصدوا عمله وأكثروا منه .

فإن ذلك قول امرئ القيس :

فملاكُ حُجلى قد طرقت ومرضع      فألهيتها عن ذى تيمائمٍ محوّل  
إذا ما بكى من خلقها انصرفت له      وقول طرفة :

ألم تر أن المال يكسب أهله      فضوحا إذا لم يعظم منه نواسبه  
أرى كل مال - لا محالة - ذاهبا      وأفضله ما ورث الحمد كاسبه  
وقول حجر بن حية من شعراء الحماسة :

ولا أدوم قدرى بعدما انضجحت      بخلا ، فتمنع ما فيها أنافيا (٢)  
حتى تُقسَّم شتى بعدما وسعت      ولا يُؤنَّب تحت الليل عافيا (٣)

(١) القرم كسمج : السيد. والرقيع : كل طبقة من السموات .

(٢) التأمم : التعاويذ جمع تيممة . المحوّل : ما أتى عليه حول ، والمراد : الطفل .

(٣) دوم القدر وأدامها : نضحها بالماء البارد ليسكن غليانها. والأنافى : ما يوضع عليها

القدر من الحجارة وغيرها . والعالى : طالب القرى والمعروف .

. وقول الخطيئة :

ألا من لقلب عارم النظرات      يقطع طول الليل بالزفرات<sup>(١)</sup>  
إذا ما الثريا آخر الليل أعنت<sup>(٢)</sup>      كواكبها كالجزع منهدرات<sup>(٣)</sup>  
وقول الفرزدق :

منع الحياة من الرجال ونفعها      حدق<sup>(٤)</sup> تقلبها النساء - مراض  
وكان أفندة الرجال إذا رأوا      حدق النساء لنسبها أغراض  
وقول آخر - وقد قال فيه ابن المعتز : وأظنه قديماً<sup>(٥)</sup> - :

عصاني - قومي - والرشاد الذي به أمـرت - ومن يعص المجرّب ينـدم  
فصبرا بني بكر على الموت لأنني أرى عارضا ينهل بالموت والدم<sup>(٦)</sup>  
والذي أراه : أن اللزوم لا يصح أن يوصف : بأنه قديم أو حديث ،  
ولأنما يصح أن يقال فيه : إنه كثر في شعر شاعر ، وقل في شعر شاعر آخر ،  
وأنه حسن في شعر هذا ، وقبح في شعر ذاك .

أما وصفه بالقدم فهو من اللغو ؛ لأنه لا بد أن يكون كذلك ؛ فهو  
سمة شعرية ولدت مع الشعر ، وسائرته في جميع عصوره ، ولا يمكن أن يخلو  
منه شعر شاعر ، بل قل أن تخلو قصيدة ، بل مقطوعة من اللزوم ، مادامنا  
نقنع بوقوعه في البيتين أو الثلاثة ، وأى شعر يخلو من مثل هذا القدر  
اليسير يجيء عن طريق المصادفة ؟

ودونك الشعراء من أقدم العصور إلى يومنا هذا ، فإنك لا تعدم في  
القصيدة الواحدة منه أبياتاً وقع فيها اللزوم ، دون أن يفتن له الشاعر ،  
لأنه لم يرتكبه قصداً .

(١) العارم : الشديد .

(٢) أعنت نباتت . والجزع يفتح الجيم ويكسر : الحرز الجاني الصبي ، فيه سواد  
وياس تشبه به العيون .

(٣) البديع — ١٣٣ .

(٤) العارص : السحاب المعترض في الأفق . وينهل : يسقط .



ولكنى أعود فأقول : إنى لا أعتبر هذا النوع القليل ، من اللزوم ،  
فليس من الصواب أن يمثل له بالبيتين المتواليين ، أو الآيات المتفرقة  
المتناثرة فى تضاعيف القصيدة .

فاللزوم عمل فنى ، يعد من أشق صناعة الكلام مذهباً ، وأبعدها مسلماً  
— كما يقول ابن الأثير (١) — وهو — من أجل هذا — يحتاج إلى نية  
سابقة ، يظهر أثرها بتوخيها فى آيات القصيدة كلها أو جلها على الولاء ، كما سنراه  
فى نتائج عشاقه من الشعراء والكتاب المحدثين ، الذين ولعوا به وسكنوا إليه .  
الملتزمون :

من أشهر شعراء اللزوم فى العصر الإسلامى : « كثير عزة » ، فقد نظم  
قصيدته الثائية المشهورة (٢) على هذا النمط ، وهى القصيدة التى أولها (٣) :  
« خليلي هذا رُبُّ عَزَّةٍ فاعقلا قلوبكما ثم ابكيا حيث حلت (٤) »  
والقصيدة تبنى على عشرين بيتاً ، ولكنك لا ترى فيها أثراً للتكلف  
والتعقيد ، وضعف النسج ، بل ترى آياتها تترادف فى بجاحة أخاذه ، واطراد  
ساحر ، كأنما كان يغترفها من بحر .

وفىها يقول الأستاذ الدكتور طه حسين : لا تتردد فى أن الشاعر قد  
تعهد التزام اللام والتناء ، ولكنك فى الوقت نفسه لا تشعر بأن « كثيراً »  
قد لقي فى ذلك جهداً ، أو احتمل فيه عناء ، وإنما يخيل إليك أنه دعا الألفاظ  
فاستجابت له ، وأهاب بها فأسرعت إليه .

وأوضح من ذلك وأظهر : أنك لا تحس فى بيت من آيات هذه القصيدة :  
أن القافية هى التى نظمت البيت ودبرت أمره ، ووضعت بعض ألفاظه  
يأزاء بعض ، وأجرته على الأسلوب الذى جرى عليه ، وإنما تشعر : بأن  
البيت قد نظم ، فألفت ألفاظه ، واطرد أسلوبه ومضى حتى انتهى إلى قافيته

(١) المثل السائر — ١١٦ .

(٢) أمالى القالى — ٢ — ١٠٩ .

(٣) ويروى : خليلي هذا رسم عزة فاعقلا قلوبكما ثم انظرا حيث حلت

(٤) القلوس : الناقة الشابة .

انتهاء هادئاً مطمئناً مريحاً : تشعر معه بأن البيت هو الذى دعا القافية ،  
لا بأن القافية هى التى دعت البيت (١) ...

ولا شك أن صدور هذه القصيدة من شاعر غزل ، وعاشق متهالك ،  
ومحب مدله مؤله ، وصب مهجور محروم ، أضفى عليها هذه التهاويل البيانية ،  
ورقرق فيها هذه الدماعة الندية ، وسبكها هذا السبك السلس الوديع ، وجعلنا  
نلمس فى ثناياها تباريح القلب الملتاع ، والكبد الحرى ، ونكاد نغفل عن هذا  
الـزوم المتتابع المستوعب ؛ لأن الأداء النفسى الصادق التابع من قرارة  
الوجدان ، أذهلنا عن كل ما سواه !

ولعل هذه القصيدة اللزومية — من حيث طولها — أول أثر من هذا  
اللون فى الشعر العربى كله ؛ فإننا لا نجد لها نظيراً فيما سبقها من الشعر الجاهلى  
والإسلامى ، وإن تجد لها نظيراً إلا فى لزوميات أبى العلاء الذى جعل من  
وكده هذا الضرب من الشعر .

وكان أبو العلاء المعرى يذهب إلى أن اللام قد التزمت فى جميعها ، فلما  
سأله تلاميذه عن البيت الذى يروى فيها ، وهو :

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى

وَجَنِّ اللّوَاتِي قَلْبِي : عَزَّةُ جُنَّتْ

قال : إن هذا البيت ليس من القصيدة (٢) .

وأحسب أن تعصب المعرى ، هو الذى دعاه إلى نفي هذا البيت عنها .

وكأنه يعتذر عن نفسه بأن من الشعراء من سبقه إلى هذا العمل .

وهبه محققاً فى ذلك ، فماذا يقول فى هذا البيت ؟ :

فما أنصفت أمّا النساءُ فبَغَضْتُ إلىّ وأما بالنّوال فضنّنت

وقد أشار داود الإنطاكى إلى : أن من أول القصيدة إلى قوله « فما

أنصفت » ، لزوم ما لا يلزم (٣) .

(١) مع أبى العلاء فى سجنه .

(٢) سر الفصاحة — ١٢٧ .

(٣) تزئين الأسواق — ٤١ .

وعلى هذا يكون البيت المتقدم فاصلاً بين لزومين وقعا في القصيدة .  
 وإذا صح أن هذين البيتين الخاليين من اللزوم قائلها « كثير » فإنى أرجح  
 أنه لم يفتن إلى هذا اللزوم الذى شاع وذاع في قصيدته ، وإلا لما هان عليه  
 أن يترك هذه الثلبة في القصيدة ، ولما شق عليه أن يأتى بلزومين آخرين ، ليسد  
 هذا النقص الذى يلفت النظر ، وتجرى القصيدة كلها على نظام واحد .  
 كما أنى أعتقد أن المعرى قد اتخذ من « كثير » قدوة له وإماماً فى ارتكاب  
 اللزوم الكامل ، وقد تقدم لنا أن هذه القصيدة كانت من مروياته ، وأنه  
 فكر فيها وقدّر ، وشغلت ذهنه ، وملكته خاطره ، وحاول أن ينفي عنها  
 ما ليس من اللزوم ، لأنه شغف فيها باللزوم .  
 ويقول ياقوت (١) : وقد ألزم « كثير » فى قصيدته اللام قبل التاء ، وذلك  
 لا يلزمه ، ولم يفعل كما فعل الشنفرى فى قصيدته التى على التاء ؛ لأنه لم يلزم  
 فيها إلا حرفاً واحداً ، ولكنه خالف بين الحروف التى قبل الروى ، فقال :  
 أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها يوم ولت  
 وقال فيها :  
 بريحانة من بطن حلية نورت لها أرجح ماحولها غير مُسْنَت (٢)  
 وقال فيها :  
 لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً إذا آنست أولى السعدة استقرت (٣)  
 وكان ابن الرومى — على قوة طبعه ، وقلة تكلفه ، وامتداد نفسه —  
 مغرمًا باللزوم .  
 يقول فيه الخفاجى : إنه يلتزم الحرف . وحركة ما قبل الروى ، وإن  
 ذلك كثير فى شعره (٤) .

(١) معجم الأدباء — ٣ — ١٥١

(٢) المسنن : المجدد وحلية بالفتح : ثلاثة مواضع .

(٣) الوفضة : حبة السهام . وانسجف : النصل العريض ، وقيل : الطويل ، وفى المفضليات

أشهرت : أى انتفضت . (٤) سر الفصاحة — ١٧٢

ويقول ابن رشيق : كان ابن الرومي خاصة من بين الشعراء ، يلتزم  
مالا يلزم في القافية ، حتى إنه لا يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره ،  
قدرة على الشعر واتساعاً فيه .

فمن ذلك مطولته :

شاب رأسى ولات حينَ مشيب وعجيبُ الزمان غير عجيب  
فقد التزم فيها الياء قبل الروى .  
كما التزم الواو في مقنلو عته :

وجهك يا عمرو فيه طول وفي وجوه الكلاب طول  
ويقول في موضع آخر :

وكان ابن الرومي : يلتزم حركة ما قبل الروى في المطلق والمقيد ، في  
أكثر أشعاره اقتداراً (١) .

ويقول النويرى : وكان ابن الرومي أولع الناس بذلك (٢) .  
فمن ذلك قصيدته القافية في « السوداء » (٣) ، ومنها :

أكسبها الحب أنها صبيغت صبغة حب القلوب والحدق (٤)  
فأقبلت نحوها الضمائر والأبصار يُعِنُّنَ أَيَّمَا عَنَقِ (٥)  
يفترّ ذاك السوداء عن يَنَقُّ في ثغرها كاللؤلؤ النشق (٦)  
كانها - والمزاج يُضحكها - ليل تفرّى دجاء عن فلق (٧)  
وقصيدته في مدح صاعد بن مخلد :

أبين ضلوعى جمرة تنوقد على مامضى أم حسرة تتجدد  
وهى طويله التزم فيها فتح ما قبل الروى .

(١) العمدة ١ - ١٠٢

(٢) نهاية الأرب - ٧ - ١١٣ (٢) المصدر نفسه ٢ - ٣٦ (٤) حب القلوب بالفتح :  
جمع حبة وهى سويداء أو مہجته أو ثمرته ؛ أو هنة سوداء فيه .

(٥) يمنقن : يسرعن والعنق : نوع من سير الإبل . (٦) الينق محرقة : شدة البياض .

(٧) تفرى : انشق . والفلق : الصباح .

وقصيدته في ذكرى ولديه : « محمد » و « علي » التي يقول فيها :

لم يسترح من له عين مؤرقة وكيف يعرف طعم الراحة الأبرق  
فقد التزم فيها كسر ما قبل الروى .

ويبدو حب ابن الرومى للالتزام فى قصيدته الطويلة التي مدح فيها أبا  
أحمد الموفق العباسى ، بعد قضائه على ثورة الزنج ، وأولها :

أبا أحمد أبليت أمة أحمد بلاء سيرضاه ابن عمك أحمد (١)  
فإن الصولى يقول : افتتح ابن الرومى هذه القصيدة على ما يلزمه من  
فتح ما قبل حرف الروى اقتداراً ، فحمله ذلك على أن قال :

مُتاح له مقداره فكأنما تقوض شلان عليه وصندد (٢)  
وهذا لا يصح ، إنما هو صندد بكسر الدال ، لأن « فعلل » بفتح اللام  
لم يجر إلا فى أربعة أحرف : درهم ، وهجر راع ، وهبلع ، وقلم كدرهم (٣) .

وقد التزم الدال فى قصيدته التائية التي مدح بها المهتدى بالله ، ومطلعها :  
رأت وخط شيب من قريب فصددت  
ولم ينتظره بي نوى قد أجدت (٤)

وقد يقع الالتزام فى أول الأبيات ، كالترام الدال فى قول أبى جعفر  
الالبيرى (٥) :

دفاع لمكروه ، أمان لخائف

سحاب لمستجد ، هلال لمستعدى

(١) أبيات أمة أحمد . . . أى بذلت لها غاية ما تستطيع .

(٢) زهر الأدب - ٣ - ١٩٦ .

(٣) شلان بالفتح جبل بمكة . وصندد بكسر الصاد والدال : جبل بتهامة

(٤) الجرع كدرهم وجعفر . من معانيه . الأحن والطويل المشوق . وهبلع كدرهم .

من معانيه : الأكل المعاييم اللقم ، الواصب الحنجور . وقلم كدرهم : جبل .

(٥) نفع الغائب ٢ - ٤٢

— ٢٢ —

دُرُوب على الحسنى ، عَفُوفٌ مَنْ جَنَى  
مُثِيبٌ لِمَنْ أَثْنَى ، مَجِيبٌ لَذَى قَصْدِ  
دَعِ الْغَيْثَ إِنْ أَعْطَى ، دَعِ اللَّيْثَ إِنْ سَطَا  
دَعِ الرُّوضَ إِذْ أَهْدَى ، دَعِ الْبَدْرَ إِذْ يَهْدَى  
وَلَا بِي ذُوَيْبٍ فِي وَصْفِ حَمْرِ الْوَحْشِ وَالصَّائِدِ ، مَقْطُوعَةٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ  
أَيَّاتِ التَّرَمُّمِ الْفَاءِ فِي أَوَّلِهَا (١) .

والآيات فيها حوشية وخرابة كسائر الطرديات لهذا لم تثبتها ، ولكنه  
— كما يقول ابن رشيق — : اطرَّد له هذا النسق بالفاء ، ولم ينحل عقده ،  
ولا اختل بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه ، لما تمكن له هذا التمكن .

ثم يقف على ذلك بكلمة جليلة في الصنعة مطلقاً ، فيقول : واستطرفوا  
ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد . يستدل بذلك  
على جودة شعر الرجل ، وصدق حسه ، وصفاء خاطره ، فأما إذا أكثر من ذلك  
فهو عيب يشهد بخلاف الطبع ، وإيثار الكلفة ، وليس يتجه ألبتة أن يأتي  
من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد . . .

المعرى والالتزام .

يعد المعرى شيخ الالتزام بلامراء ، وديوانه « اللزوميات » جاء كله على  
هذه الطريقة ، وكذلك سلك هذا النهج في أكثر منشوره .

فلم يكن فنه كله تأملاً مستوحياً ، واستشفافاً نافذاً ، وتقبلاً للإيحاء  
وأنفعالا بتأثير ، واستجابة لنداء الحسن ، وروعة السحر ، والتباساً لهم  
الوجود وما فيه ، بل لا تلبث أن تغلبه قوة تلك الدوافع القاهرة المخدلة من  
بيئته ، فتراها ولعاً بالظواهر من زخارف الحسن السطحي الشكلي (٢) .

(١) العمدة - ١ - ٨٤

(٢) الفران لأبي العلاء ٤٢ نقلاً عن التفسير الأدبي لتاريخ مصر للإستاذ أمين الحولى

ولعله من العجب العاجب: أن المعري — وهو معروف بعمق الفكر، وبعد النظر، وقوة النفس، واستقلال الشخصية، وعشقه للحرية في مظاهرها المختلفة، وتساميه على نوائب الزمن بكبريائه ومصابرته، وتحديه لمعاصريه بمعتقداته وآرائه — ينساق في هذا الطريق الوعر الشائك، ولا يكتفي بذلك بل يزيد في الطنبور نغمات: بما يضيف إليه من الغرابة والتعمق، والرموز والألغاز في كتابه «الفصول والغايات» (١)، حتى ليجتاح قراؤه إلى من يبرجه لهم من العربية إلى العربية، بل اضطر المعري نفسه أن يترجمه للقراء، فأنشأ — كما يقول ياقوت — كتاب الشاذن (٢) في ذكر غريب هذا الكتاب، وما فيه من اللغز؛ مقداره: عشرون كراسة، وكتاب «إقليد الغايات» لطيف مقصور على تفسير اللغز، مقداره: عشر كرايس (٣).

وهذا اعتراف منه بأنه ألفه لنفسه أولاً، لا للناس !!

وقد فعل ذلك في شعره اللزومي؛ فقد ألف كتاباً سماه: راحة اللزوم؛ يشرح فيه ما في لزوم مالا يلزم من الغريب نحو مائة كراسة (٤)، وكتاب الراحلة؛ ثلاثة أجزاء في تفسيره أيضاً (٥) وكتاب سماه: زجر النابح يتعلق كذلك بلزوم مالا يلزم، وذلك أن بعض ذوى الجهالة، تسكلم على أبيات من لزوم مالا يلزم؛ يريد بها التشعر والأذية، فالزم أبا العلاء أصدقاؤه؛ أن ينشئ هذا الكتاب وهو كاره (٦).

---

(١) ألفه المعري في سبعة أجزاء تمجيداً لله — تعالى — ولكن خصومه الواقفين له بالمرصاد اتهموه ظلماً وزوراً: بأنه عارض به القرآن، ويسبوا إليه في ذلك قولاً مدسوساً؟ والكتاب في ذاته رفيع القيمة، جليل الشأن، وهو عنوان عبقرية المعري، ومقدرته الضخمة الهائلة؛ وقد قيل: إنه بدأ به قبل رحلته إلى بغداد، ثم آتمه بعد عودته إلى مرة النعمان.

(٢) في كشف الظنون ١ السادر، وعند الذهبي: السادن.

(٣) معجم الأدباء — ٣ — ١٤٧

(٤) معجم الأدباء — ٣ — ١٥٩

(٥) المصدر نفسه ٣ — ١٦١

(٦) المصدر نفسه — ٣ — ١٥٣



وقد رأينا الأستاذ الدكتور طه حسين يشرح بعض مختارات من أشعاره في كتاب «اقرأ» (١) وأحسب أنه لو كان يترجم شعراً عن الفرنسية ، ما لقي فيه هذا الجهد والعناء .

وأظن أنه لا يوجد في عصرنا الحاضر أديب — 'مهما بلغ محصوله اللغوي — يستطيع أن يستغنى عن عدة معجمات مطولة ، يستظهر بها في فهم هذه العقدة ، وليس ذلك بغريب على من كان يحفظ للكاتب سبعين اسماً !

ولاحلاف في أن المعري من نودار الزمن ، وفلتات الدهر ، ومن مفاخر العربية الكبرى ، ومن قادة الإنسانية وفلاسفتها .  
وهو نسيج وحده في الذكاء والفهم وقوة الحافظة ، وأعجوبة من العجائب في اللغة ، وحفظ شواهدا ، وتقيد أوأبدها (٢) .

ولكننا لا نقره على الإيغال في الصنعة إلى هذا الحد المتجاوز الحد !  
ولو أن هذه الشخصية العبقرية الفذة ، لم تجر في آثار هذا الركب المتعمل وصاحت في وجوههم صيحة مدوية : أن ارجعوا إلى الطريق المستقيم ، كما صاح ابن خلدون من بعده بثلاثة قرون ، لم يكن بعيداً أن يقيم ذلك من هذا الجري الملتوى ، ويرده إلى الوجهة الصالحة (٣) .

وشعر المعري منه الجيد معنى ومبنى ، والجيد معنى والردى مبنى ، وليته إذ شدد على نفسه في النثر ، رفق بها في النظم ، وتركها على سجيته ، فسلم شعره الفيلسفي الاجتماعي العميق مما التاث به من هذا التكلف الذي لم تكسب منه الصياغة فائدة ، وما كان ضرره أن يقدم لنا هذه الأفكار العميقة الدقيقة في سلاف رقرق شهى ، بدلا من مزجها بالصواب والعالم ١١ .

(١) صوت أبي العلاء

(٢) أبو العلاء لأحمد تيمور باشا — ٢٢ .

(٣) فن الاسجاع — ١ — ١٢٩ .

بل ما كان أخرى هذه الأفكار الحرة الملهمة ، التي أنزلت صاحبها منازل  
الخالدين ، وجعلته في نظر الغربيين شاعراً ، يضاهي أعظم شعرائهم  
الاجتماعيين ، ما كان أخرى هذه الأفكار أن تكون بنجوة من هذا  
الغلاف السميكة ، الذي حجب سناها عن الأفهام ؟

فهل أراد الشيخ أن يسجنها كما سجن نفسه ؟

يظهر أنه كان مضطراً لذلك تحت تأثير العوامل المختلفة التي أحاطت به  
وحببت إليه هذه العزلة القاسية ، فكان أن وجد في هذه اللزوميات السجينة  
ترفيحاً وترويحاً من الضجر والضيق ، والكبت والحerman ، والتبرم بالناس  
والزمان ، وسجين يتأسى بسجين ١١ .

فاللزوميات - كما يقول الأستاذ الدكتور طه حسين (١) - ليست  
بنتيجة الجسد والسكد ، وإنما هي نتيجة العبث واللعب ، وإن شئت فقل : إنما  
هي نتيجة عمل دعا إليه الفراغ ، ونتيجة جد جرد إليه اللعب ... ولم أخدع  
نفسى حين اعتقدت : أنى شهادته يعبث بالألفاظ والمعاني ألواناً من العبث ،  
لأنه لم يكن يستطيع أن يصنع غير هذا : ألواناً من العبث كثيرة الاختلاف  
نثر مرسل ، ونثر مسجوع ؛ وشعر حر ، وشعر مقيد ، والشعر الحر هو  
الذي يقوله الناس جميعاً ، فيلتزمون أوزانه وقوافيه المعروفه ، والشعر  
المقيد هو الذي يقوله أبو العلاء ، فيلتزم فيه مالا يلتزم .

وهو لا يلتزم مالا يلتزم في القافية وحدها ، وإنما يلتزم مالا يلتزم في  
المعاني أيضاً .

وهو لا يلتزمها في المعاني التي أودعها ديوان اللزوميات ، وإنما يلتزمها  
في المعاني التي أودعها كتاب الفصول والغايات ، أيضاً .

ويقول : لقد حكم - أبو العلاء - قانونه الفلسفي الصارم في نثره ، كما حكمه  
في شعره وحياته ، فالنظم في الكتابة مالا يلزم من إشار الغريب ، وتصريف

(١) انظر كتاب مآل العلم في سجنه فقيه دراسات عميقة متشعبة مستوعبة لهذه المتخصصة  
الاجتبية في جميع نواحيها .

اصطلاحات العلم في التعبير عن العواطف ، والدلالة على الميول ، فهو يؤدي كثيراً من الأغراض بتلك الضروب العروضية ، التي ما أراد « الخليل » بها إلا أن تدل على مجرد الأوزان والتفاعيل (١) .

ومعانيه لا تحصى كثرة ، وهي نتاج عقل نافذ ، وفكر ثاقب ، ونظر شامل محيط ، ولكنه إذا نصرف إلى صنعتته اللفظية ، وعبثه بالجمال والكلمات شغله ذلك عن العناية بصحة المعنى ، والاكتراث بسلامة الفكرة ، فصدرت عنه مبالغات لا يسيغها الذوق ، ولا يقبلها المنطق (٢)

ومن الكتاب المكثرين من اللزوم : محمد بن يوسف التميمي السرقسطي فقد صنف خمسين مقامة بناها على لزوم ما لا يلزم (٣) .  
كما كان أبو النجيب المراهي يشكف في شعره اللزوم ، فقال فيه  
الأيوردي :

شعر المراهي وحوشيتم كعقله . أسلته أسقمه  
يلزم ما ليس له لازماً لكنه يترك ما يلزمه (٤)

وبما لا خلاف فيه : أن ما يأتي من اللزوم عفو البديهة ، يعلى من قدر الكلام ، ويزيد فواصله تناسباً ، وقوافيه تنغياً ، ويضفي عليه بشاشة من الموسيقى العذبة المنسجمة العميقة الدسمة .

فهذه القيود التي أضافها الشاعر إلى قيود « البحر والقافية » تكثر العناصر المكونة لموسيقى اللفظ ، ويكون لذلك صدى في النفس مركب أيضاً ، متعدد العناصر ... ومثل هذا الشعر يحمل العقل على أن يؤلف نموذجاً محدوداً من النغم ، ويكون له في النفس صدى موسيقى محدوداً أيضاً

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء - ٢٣٢

(٢) الغفران لأبي العلاء - ٥٧

(٣) معاهد التنصيص - ٢ - ١٠٦

(٤) وفات الأعيان - ٢ - ١٧

كأنما صب في قالب ذى أبعاد محدودة معينة ، إذا تغير بُعد منه ، أحسّت به النفس ، وأخل بموسيقاها<sup>(١)</sup> .

وعند جوتيه<sup>(٢)</sup> : أن جوهر هذا الفن هو القافية الغنية ولزوم ما لا يلزم ، حتى لقد كان من عاداته أن يقول للشعراء الشباب الذين يستنصحوونه : ابدعوا أولاً بتكوين قاموس من القوافي .

وقد دافع عنها « دى بانفيل » دفاع مؤمن ، وكان يرى أن الشاعر لا يملك أفكاراً في عقله ، بل أصواتاً وقوافي وجناسات ، وهذه الجناسات تلازمه وتلح عليه ، وتهى له معاني ، أو ما يشبه المعاني<sup>(٣)</sup> .

ورأى في اللزوم : أنه من الأنواع القليلة التي لا تعاب بكثرتها في الشعر ، لأن الكثرة هنا لا تنبو عنها الأذن ولا يضيق بها الصدر ، إذ ليست إلا الانسجام السارى في مقاطع الكلام : من قواف وفواصل ، وهو مطلوب ومحبوب .

ولذلك لا نجد من يقول : إن هذا القصيدة مثلاً كثر فيها الالتزام ؛ لأن هذه الكثرة لا تحس مادامت طبيعية غير متسكفة ، وإنما الذى يقال عادة : إن هذه القصيدة كانت أحلى جرساً ، وأبدع إيقاعاً ، لو أن الشاعر استطاع أن يوحد فيها الحركات ، أو الحروف التي سبقت الروى .

والذى أخذ على المعري ليس هو اللزوم نفسه ؛ بل هذا الإسراف الفاحش الذى حداه أن يبني عليه ديواناً ضخماً ، لا يسلم العقل أنه برىء من التسلف ، فجعله ديدنه الأول والأخير ، واستهلك في سبيله معانيه وأفكاره وإلا فقد كان ابن الرومى — كما تقدم — يغرّم باللزوم ، ولكن لم يكن له الشأن الأول عنده ، فلم يطغ على شعره ، ولم يهجن معانيه ، بل لا يكاد يحسه

(١) دراسات في علم النفس الأدبى — ٩٤

(٢) مسائل في فلسفة الفن المعاصر — ١٥١

(٣) المصدر السابق — ١٣٤ — ١٥٤

إلا الدارس الفاحص الخبير ، ومن هنا عداه الملام الذى وجه إلى  
أبى العلاء .

فأفة هذه الحلية — إذن — هى اجتلابها وتكلفها، ومتى تجنب الشاعر  
ذلك، فليس من العدل أن يوصف بأنه التزم ما ليس بـ لازم ؛ لأنه أتى بما هو  
أدخل فى صناعة النظم ، وأمت به صلة ، وأدنى إليه نسباً ، بل الأولى أن  
يقال : إنه فعل ما هو لازم ؛ بتوفيره للقافية كل عناصر الجمال .

ولهذا كان على الشاعر أن يعرف أنه أدخل نفسه فى هذه المسالك  
الضيقة ، ورمى بها فى هذه المآزق المتلاحمة ، دون أن يطالبه أحد بذلك .  
فمن حق الفن الذى تعبد له — وقد كان حُرّاً — أن ينهض بتكاليفه  
الباهظة ، ويؤدى حقوقه كاملة غير منقوصة ، ويراعى شرائطه حق رعايتها ،  
لا يخرم منها شرطاً واحداً ، حتى يبلغ نهاية الشوط الذى قدره لجريه من غير  
أن تنبهر أنفاسه ، أو تعثره فترة ، أو يتخوننه ملل ، أو تنزل به قدم ،  
وإلا حوسب حساباً عسيراً على معاناة مالا يحسنه ، وتعاطى مالا تناله قدرته ،  
والتورط فيما يصعب عليه الخروج منه ، وخـ طبة ما يعجزه الإنفاق عليه .  
وفى ذلك يقول الخفاجى : وليس يغتفر للشاعر — إذا نظم على هذا  
الفن لأجل ما ألزم نفسه مالا يلزمه — شئ من عيوب القوافى ؛ لأنه إنما  
فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إكراه ولا إكراه . ونحن نريد الكلام  
الحسن من أسهل الطرق ، وأقرب السبل ، وليس بنا حاجة إلى التكلف  
المطرح ، وإن ادعى علينا قائله مشقة نالته ، وتعباً مر به (١) .

وما من شك فى أن الحرص على اللزوم يسوق حتماً إلى عيوب القافية  
— وإن كره الشاعر ذلك — فأولى به أن يدع المعنى يختار اللفظ الذى  
يريده ، وهو حرى — إذا فعل هذا — أن تستقر أبياته على قواف قوية  
متينة فى موضعها ، غير قلقة ولا نائية ، بحيث يلحها السامع من أول البيت  
فيرددها قبل الشاعر .

ولكن الإسراف في العناية بالقافية — وأهم مظهر له هذا اللزوم — يفقد الشاعر عادة ربط المعاني بعضها ببعض ربطاً منطقياً ، ومعنى هذا أنه يفقده عادة التفكير ، والتفكير — كما قال — كنت — : توحيد وربط . وإذا غرق الشاعر في العناية بالقافية وحدها ، فسرعان ما يصبح عاجزاً عن متابعة معنى من المعاني إلى النهاية ، فإذا شعره يقفز من معنى إلى معنى بضربات مضرب القافية ، ويفقد جناحيه الإلهيين اللذين كانا ينبغي لهما أن يمتصيا به قدماً في رحب السموات — على حد تعبير هوجو — ويصبح طيرانه متذبذباً كطيران الخفافيش .

إن عبادة القافية في ذاتها يُدخل في عقل الشاعر نفسه شيئاً بعد شيء نوعاً من الاضطراب ، والفوضى الدائمة ، تحطم القوانين المعتادة التي يخضع لها تداعي المعاني : أي تحطم منطق الفكر ليحل محل ذلك — صدفة — تلاقى الأصوات ، ومن عقل من هذه حاله تخرج المعاني تترى خروج الرصاصات من مسدسات جنود أغرار ، لم يعرفوا بعد كيف يسددون نحو الهدف ، ويفقد الفكر زمام نفسه وراء هذه الضجة المتقطعة ، التي تحدشها اللفظة الرنانة حين تنفجر في نهاية البيت ! تلك هي « الغنائية » — كما حققها « بوالو » مع فوضى حلت محل الإلهام .

هذا إلى أن عبادة القافية ، تبطل عادة الكلام البسيط ، عادة استعمال العبارة المناسبة الدقيقة ، فالشاعر مضطر دائماً أن ينفخ المعنى فيطيله ، ويمدده من بيت إلى بيت ، حتى يلتقي بسلسلة القوافي الغنية التي ينشدها ، والتعويض عن الكلمة الواحدة بجملته برمتها .

ثم إن ذلك يؤدي إلى فقدان الصدق فالفنان الذي يسرف في العناية بالالفاظ ، يفقد القدرة على التقاط العاطفة غضة حارة قبل أن تفترا ! إنه لا يحترم الفكر لذاته ، وهذا الاحترام أول ميزة يجب أن ينعم بها الكاتب .

إن موقف الشاعر — وهو يقف آلامه وأفراحه — موقف مستغرب

في حد ذاته ، فكيف إذا أضفت إليه حيرة الشاعر ، وهو يطلب إلى القافية حرفاً أكثر مما ينبغي في السابق .

وثبت خطر آخر — وليس هو أهون الاخطار — هو أن يُقفر الشاعر عقله ويستنفده ، ويفرغه بطريقة آلية صرفة ، فإن الألفاظ التي تصلح للقافية الغنية قليلة ، ومتى انحصر الشاعر في عدد ضئيل من الألفاظ . انحصر في عدد ضئيل من المعاني ، ومتى التزم الشاعر هذا الشكل الفقير جداً ، صعبت عليه الجودة والأصالة<sup>(١)</sup> .

ألوان من اللزوم .

يلحق باللزوم ألوان من الكلام يصعب حصرها ، ويجمعها هذا التشدد الذي يرتكبه القائل ، ويعنت به نفسه ، تعشيقاً للزينة ، وكلفاً بالتصنع وحباً في التفاصيل .  
فمن ذلك :

١ — تصغير الكلمة الأخيرة من الشعر ، أو من فواصل المنثور ؛ فإن ذلك ملحق باللزوم — عند ابن الأثير<sup>(٢)</sup> . — ويكون التصغير عوضاً عن تساوي الحروف التي قبل روى الآيات الشعرية ، والحروف التي قبل الفاصلة من الشعر ،

وهذا كقول بعضهم :

عزّ على ليلى بذي سُديّر	سوء مبيتى ليلة الضمير
مُقبضاً نفسى في طُميرى	تنتهن الرعدة في ظميرى <sup>(٣)</sup>
حتى بدت لي جبهة القمر	لأربع خلون من شهر

(١) اقرأ مسائل فلسفة الفن المعاصرة — ١٧٢ إلى ١٧٦ .

(٣) المثل السائر — ١١٠

(٣) طمير : تصغير طمر بكسر الطاء ؛ وهو الثوب الخلق . وتنتهن : نهض وتتحرك .

ومثله قول أبي نواس لعنان جارية الناطق .

أما تَرْبِقُ لَهْـبَ يَكْفِيهِ مِنْكَ قُطَيْرُهُ<sup>(١)</sup>  
ولا شك أن في التصغير خفة ورشاقة وحلاوة ، ولكن يجب ألا يكثر  
حتى لا تتسم القوافي بالتخنث .

ويذكرون في ذلك : أن ابن قيس الرقيات أنشد عبد الملك قوله :  
إن الحوادث بالمدينة قد أوجعني ، وقرعن مَرْوِيَّةَ<sup>(٢)</sup>  
وجيبُنِّي نَجَبَ السَّنام ولم يترك ريشا في مناكبيهِ<sup>(٣)</sup>  
فقال له أحسنت لولا أنك خنثت في قوافيك .

وقد دافع الشاعر عن كلامه : فقال : ما عدوت كتاب الله « ما أغنى عني  
ماليه . هلك عني سلطانيه » .

ولكن الفرق جسيم بين أواخر هذه الفواصل في النغم والروح ، وبين  
قوافي ابن الرقيات .

وهو قد أراد أن يحتذى القرآن ، إلا أنه لم يكن موفقاً في ذلك<sup>(٤)</sup> .  
ويذكر السيوطي : أن رجلاً من أهل المدينة ، أنشد أبا عمرو بن العلاء  
قول ابن الرقيات المتقدم ، فأنتهره أبو عمرو ، وقال : مالنا ولهذا الشعر  
الرخو ، إن هذه الباء لم تدخل في شيء من الكلام إلا أرخته ! ؟

فقال له المدني : قاتلك الله ! ما أجهلك بكلام العرب اقال — تعالى — :  
« ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » . وقال : ياليتني لم أوت كتابيه ،  
ولم أدر ما حساييه » .

فأنكر أبو عمرو إنكاراً شديداً<sup>(٥)</sup> .

(١) الفطراء بالضم : التافه اليسير الحقيق ، نقول : أعطني منك قطرة ، وقطيرة .

(٢) قرع : دق . والروة : الحجارة البيض ، كناية عن استذلاله .

(٣) جبّه : قطعه ؛ كناية عن استئصال عزه .

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب — ٣٧ .

(٥) المزهري — ٢ — ٢٣٣ .



ولواواء الدمشقي قصيدتان تعدان الغاية في البرود والركاكة (١) .  
مطلع الأولى :

طاف بشمسنيين من عُقَارَيْن في ذهبَيْن جوهريَيْن  
ومطلع الثانية :

صولج لامين في عذارين في ذهبين جوهريين  
ولصنى الدين الحلى قصيدة سخيفة ، عددها أربعة وعشرون بيتاً (٢) ، أولها  
نُقْطِيط من مُسَسِّيك في وُرَيْد خَوَيْلِكَ ، أو وَسِيم في خُحْدِيد  
وذيالك اللّثَوَيْمِج في الضَّحْحِيَا وَجَيْهُكَ أَم قُفَيْر في سَعِيد  
يريد أخالك : نقط من المسك في الورد ، أو هو وسم في الخد ؟  
وذاك اللامع في الضحا وجهك ، أم قر السعد ؟  
ولا مزيد على برده وضعفه !!

ولابن منير الطرابلسي قصيدة طويلة من هذا النوع المختلث القوافي أولها (٣)  
من ركبّ البدر في صدر الردينيّ وموّه السحر في حدّ اليمانيّ (٤)  
أما وذائب مسك من ذوابسه على أعالى القضيب الخيزرانيّ  
وما يُجِن عقيق الشفاه من الريق الرحيق والشعر الجماني  
ومنها :

مَنْ مُنْقَذَى أو مُجِيرَى من هَوَى رَشَا  
أَفْتَى وَأَفْتَك من عمرو بن معدى (٥)  
لباء فارس في لين الشّام مع الظرف العراقي والنطق الحجازيّ  
وما المدامة بالآلِباب أَفْتَك من فصاحة البدو في أَلْفَاظ تركيّ  
ويتصل بهذا النوع المتهافت قول الشاعر :

(١) ديوانه - ٢٢٠ - ٢٢٤

(٢) فوات الوفيات - ١ - ٣٥٨ .

(٣) نهاية الأرب - ٢ - ٢١٠ - وفات الأعيان - ١ - ٨٧ .

(٤) الرديني : الراج : يريد : أن وجهها بدر على قوام كالرمح .

(٥) أفتى : من الفتوة ، وعمرو هو : ابن معد يكرب الزبيدي .

أيا تملك يا تَمَلِّي صليني وذري عدلي  
 ذريني وسلاحي ثم تُشدي الكفّ بالغزل  
 ومُني نظرة بعدى ومُني نظرة قبلي  
 وثوبان جديدا ن وأرخى مُشرك النمل<sup>(١)</sup>  
 وإمامت يا تَمَلِّي فكوني حرة مثلي  
 ومن الغريب : أن هذا الشعر بما اختاره الأصمعي بخفة رويه  
 وكقول الآخر :

ولو أرسلت من حُبِّك مبهوتا من الصين<sup>(٢)</sup>  
 لوافيتك قبل الصبح أو حين تُصلين  
 وكان الأصمعي يتمثل به كثيرا<sup>(٣)</sup> .

وهذا دليل على أن ذوق العلماء واللغويين والنحاة ومن إليهم ، غير ذوق  
 الأدباء والشعراء والفنانين .

ويجب أن يقع التصغير موقعه ، كأن يراد به التعبير عن لطافة الشيء أو  
 خفائه أو قلته ، أو مايجرى مجرى ذلك كقول الرضى :

يُوالع الطل بُرْدِينَا وقد نسمت رُوَيْحَةَ الفجر بين الضّال والسّم<sup>(٤)</sup>  
 فحسن تصغير الريح هنا ، لإرادة النسيم المريض الضعيف .  
 وقول أبي العلاء صاعد الكاتب :

إذا لاح من برق العقيق وَمَيْضَةٌ تَدِيقٌ على لمح العيون الشوائم<sup>(٥)</sup>  
 صغرها لأنه أراد : أنها خفية تدق على من ينظرها .

(١) شرك للنمل : ككتب : جمع شرك كسحاب : سير النمل .

(٢) المبهوت : الذى يرسل قبل أن يدرج من الطير .

(٣) الشعر والشعراء - ٢٢

(٤) التوليم : التبييض . والضال : السدر البرى • والسلم كسب : شجر العضاء .

(٥) الشوائم : النواظر .

وقول الرضى :

زال وأبقى عند ورائه جذيم مال عرقته الحقوق<sup>(١)</sup>  
فصغر لها أراد القلة .

وقول ابن أبى ربيعة (٢) :

وغاب قير كنت أرجو غيوبه وروح زعيان<sup>٣</sup>، ونوم سمر<sup>(٣)</sup>  
فإنه جعله هلالا غير كامل ، بدليل : أنه غاب فى أول الليل وقت  
نوم السمر .

والقمر — إذا كان هلالا — غاب فى ذلك الوقت .

فهذا تصغير مختار فى موضعه ، فأما الأسماء التى لم ينطق بها إلا مصغرة  
كالبحين والثريا وأغيلة وأصيبة ، وما أشبهها ، فليس للتصغير فيها حسن  
يذكر ؛ لأنه غير مقصود به ما قدمناه<sup>(٤)</sup> .

ومثلها أسماء الأناسى التى وردت مصغرة ، وأغرب مثال لها : عمر بن  
هبيبة ، بن معيبة ، بن سكين ، بن حديج الفزارى<sup>(٥)</sup> فقد وردت هذه  
الأسماء الأربعة بالتصغير على التتابع ، وليس لها نظير .

ومما يذكر هنا : أن سعيد بن المسيب أنشد قول عمر السابق :

فقال : ماله قاتله الله ! لقد صغر ما عظم الله ؛ يقول الله — عز وجل — :  
«والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعُرْجُونِ القديم»<sup>(٦)</sup> .  
وهذه نظرة فقيه ناسك إلى الشعر ، لانظرة نقادة ذو آفة .

٢ — الخيف بفتح الخاء والياء ، أو الخيفاء .

وهو أن يأتى الكاتب فى ثره ، أو الشاعر فى شعره ، بكلمة معجمة

(١) عرقته : أصل العرق بالإسكان : أكل اللحم من العظم ، والمراد : أسكات طيباته  
والجذيم : تصغير جزم بالكسر وهو الأصل .

(٢) من قصيدته المشهورة : أمن آل نعم أنت غاد فبكر .

(٣) لى ديوانه : كنت أهوى غيوبه ، ونوم . نام ، والتضعيف للمبالغة .

(٤) سر الفصاحة — ٨٢ — ٨٣ وانظر المصباح مادة حذب .

(٥) رغبة الأمل — ٥ — ١٦٨

(٦) الأغاني — ١ — ٨٦

الحروف ، وأخرى مهماتها ؛ أخذاً من الخيف في الفرس وغيره ، وهو :  
زرقة إحدى العينين ، وسواد الأخرى .

وقد قال فيه العلوى : وهو فن من فنون البلاغة ، حسن التأليف  
والانتظام ، هـشتمل على ما يجوز فيه من السكيم الإهمال والإيجام (١) .  
مثاله من النثر قول الحريري (٢) : الكرم — ثبتت الله جيش سعودك —  
يزين ، واللؤم — غص الدهر جفن حسودك — يشين ، والأروع يُثيب (٣)  
والمُعور يُخيّب (٤) ، والحُلّاحل يُضيّف (٥) ، والماحل يخيف (٦) .  
ومن الشعر قوله أيضاً (٧) .

اسمح قُبْتُ السماح زين ولا تُخبّ آملًا تضيّف (٨)  
ولا تُجز ردّ ذى سؤال فتن أم في السؤال خفف  
٣ — الرقطاء :

وهي : أن يرد في النثر أو الشعر كلمات يكون أحد حروفها معجماً ،  
والآخر مهملاً ، أخذاً من الرقطة كنزها ، وهي : سواد يشوبه نقط  
بيضاء وبالعكس .

وقدمدح هذا النوع العلوى بقوله : وليس وراء هذا شيء مخرّجاً ما ذكرناه —  
من الإحكام في البلاغة ، وعلو مراتب الفصاحة ، وسلطنة اللسان ،  
وجودة التريجة ، وصفاء الذهن ، إلى غير ذلك من المواد التي يجعلها الله  
في بعض الأشخاص دون بعض (٩) .

(١) الطراز — ٣ — ١٧٧

(٢) المقامة المراضية — ٢٢٥

(٣) الأروع : الذي يعجبك .

(٤) المعور : الفارس بدأ فيه موضع خلل للضرب .

(٥) الحلال بالضم : السبد الفجاع ، أو الضخم الكثير المروءة .

(٦) الماحل : المجذب ، والمتغير البدن ، والساعي بالشعر .

(٧) المقامة الحلبية — ٢٥٨

(٨) تضيّف : نزل عليك ضيفاً .

(٩) الطراز — ٣ — ١٧٨

مثاله من النثر قول الحريري (١) :

أخلاق سيدنا تُحسبُ ، وبِحقوقه يُلبَّ (٢) وقرُّ به تُحف ، ونأيه تلف ،  
وُخَلَّته نسب (٣) ، وقطيعته نصب . . .

وكقول الطواط : سيدنا ذوُ خلق وخلق ، وظرف ونطق .

ومن الشعر قول الحريري :

سيد ، قَلْب ، سبوق ، مُسِرُّ فطن ، مُغرب ، عزُوف ، عيوف (٤)  
نُخاف ، مُتلف ، أغرُّ ، فريدُّ نابهُ ، فاضل ، زكيُّ ، أنوف (٥)  
مفلق ين أبان ، طَبَّ إذا نا ب هِيَا ج ، وحلَّ خطب مخوف

٤ — الموصل :

وهو : أن يقول الشاعر بيتاً من الشعر ، لا تقبل كلماته التقطيع في الكتابة  
والرسم كقول الحريري (٦) :

فَتَسَنِّى ، فَجَسَنَتْنِي تَجْنِيُّ      بِتَجَسَّنِيَّةً غَبَّ تَجْنِيُّ (٧)  
شَغَفَتْنِي بِجَفْنِ ظَبِي غَضِيض      غَنَجٍ يَقْتَضِي تَفَاضِ جَفْنِي (٨)

(١) المقامة السادسة والعشرون — ٢٧٤

(٢) القوة كمنفعة : المحلة ، وما حول الدار . ويلب : يقام .

(٣) الخلة بالضم : الصداقة .

(٤) القلب : البصير يتقلب الأمور والمبر : الزائد في فضله . والمغرب . الذى يأتى .

بالبدايع . والعزوف : الزاهد فى الشيء والمنصرف عنه .

(٥) الخلف : الذى يعوض عن المفقود . والمتلف : الذى يتلف ماله فى الكرم . والأنوف :

الذى لا يقبل الضيم .

(٦) المقامة السادسة والأربعون الموسومة بالحليية .

(٧) تجنى : اسم امرأة . والتجنى : ادعاء ذنب لم يفعل .

(٨) الفنج بكسر النون : ذو الدلال والفرل .

٥ — المقتطع .

وهو: أن يورد الشاعر بيتاً من الشعر لا تتصل حروف كلماته في الكتابة كقول الوطواط (١) :

ولأى يعظُّ منى كلُّ حر ويلبسنى من أياديه بُرداً  
وأدرك إن زرت دار ودود كَرّاً ، وُدراً ، وِرداً ، وورداً (٢)  
وقول بعضهم :

زار داود دار أروى ، وأروى ذات دلّ إذا رأت داودا  
٦ — الحذف .

وهو في اللغة : الرمي بالشئ ؛ يقال : حذف رأسه بالسيف من باب ضرب : ضربه ، فقطع منه قطعة .

وفي الحديث : « أتى إليه ببيضة من ذهب ، فحذفها ، فلو أصابته لعقرته » .  
وحذف الأرنب بالعصا : رماها بها .

وفي حديث عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : إياى وأن يحذف أحدكم الأرنب .

نهى المحرم عن ذلك .

ويقال : الحذف بالعصا ، والحذف بالخصي .

ومن المجاز : حذفه بجائزة : وصله بها .

وفي مصطلح البلاغة : أن يطرح الشاعر أو النثر حرفاً أو أكثر من حروف المعجم من ثره أو نظمه .

وذلك كحذف جميع الحروف المعجمة ، مثل قول الحريري من خطبة (٣) ، أولها : الحمد لله الممدوح الأسماء ، المحمود الآلاء ، الواسع العطاء ...

---

(١) حقائق السحر — ١٨٥

(٢) الدر الأول بفتح الراء : اللب .

(٣) المقامة السمرقندية ،

ومن خطبة أخرى ، أولها : الحمد لله الملك محمود ، المالك الودود ،  
مصدر كل مولود ، ومآل كل مطرود . . .

ومن المنظوم قول الحظيري الورّاق :

صدودُ سعادٍ أحدر الدمع مرسلًا وأسارَ حرّاً لم أحاوله أولاً<sup>(١)</sup>  
محلة صدأ أراه محرّماً محرمة وصلأ أراه محلاً  
وقول الحريري :

أعَدَد لحسادك حد السلاح وأورد الآمال ورد السماح  
وصارم اللهب ووصل المها وأعمل الكُوم ، وسمر الرماح<sup>(٢)</sup>  
واسع لإدراك محل سما عمادهُ ، لا لادّراع المِراج  
وقول بعضهم :

دار لمهدّد دارس أعلامها طمس المعالمُ مورها ورها<sup>(٣)</sup>مها  
وكذّف جميع الحروف المهمة في قول الحريري المتقدم :  
فتلتسنى فجنتسنى تجنى . . .

وكذّف الرأء والسكاف من قصيدة للحسن بن طباطبا العلوى ، تبلغ  
عدتها تسعة وثلاثين بيتاً — مدح بها ابن أبي البغل — وكان ابن أبي البغل  
يلشع بالرأء والسكاف ، فيضع مكان الرأء غيناً ، ومكان السكاف همزة ؛ ولهذا  
أسقطهما من القصيدة ، وأولها :

ياسيداً دانت له السادات وتتابعن في فعله الحسنات  
ومنها في وصف القصيدة :

(١) أسأر : أبقي .

(٢) الكوم بضم الكاف : النياق العظيمة السنام .

(٣) مهديد بوزن منهل : اسم أسراه . والمور بالضم : التراب تثيره الرياح : والرهام كجبال :  
الأمطار الضعيفة الدائمة ، جمع رهمة بالكسر .

خذها الغداة أبا الحسين قصيدةً ضيمنت بها الرأى والكافات  
فاسعد أبا عبد الإله بها إذا شقيت بلثغة منشد أبيات  
نقصت فتمت في السماع والغيت منها التي هي بينها آفات  
إلى أن يقول :

ميزانها عند الخليل مُعدّل متفاعِلن . متفاعِلن . فعِلات  
لو واصلُ بن عطاء الباني لها مُنليتُ مُتوَّهم أنها آيات  
وكان ابن طباطبا يقول : والله لأننا أقدر على أبي الكلام من واصل  
ابن عطاء . (١)

وكخلف الرأى من كلام واصل بن عطاء ، وذلك : أنه كان يلثغ بالرأى  
لثغة فاحشة ، فلم يزل يروض نفسه على تركها ، ويكابد ذلك ويغالبه ، حتى  
استوى له ، وصار فيه طبعاً وملسكة ، وهذا من الأحاجيب .

وفيه يقول الجاحظ (٢) . ولولا استفاضة هذا الخبر ، وظهور هذه الحال ،  
حتى صار لغرابته مثلاً ، ولظرافته معلماً ، لما استجزنا الإقرار به ، والتأكيد  
له ، ولست أعنى خطبه المحفوظة ، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ،  
ولمّا عنيت بحاجة الخصوم ، ومناقلة الأكفاء ، ومفاوضة الإخوان .

و «لواصل» خطبة مشهورة ضافية الذبول ، منزوعة الرأى ، ارتجلها  
في مجلس وإلى العراق : عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، بعد أن سبقه بالخطابة  
شبيب بن شيبه ، وخالد بن صفوان ، والفضل بن عيسى .

أولها : الحمد لله القديم بلا غاية ، والباقي بلا نهاية ، الذي علا في دنوه  
ودنا في علوه . . .

وختمها بقوله : نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، والوحي المبين

(١) معجم الأدباء - ١٧ - ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) البيان والتبيين - ١ - ١٥ .



وأعاذنا ولما كنتم من العذاب الأليم ، وأدخلنا ولما كنتم جنات النعيم (١) .  
وقال قُطَّابُ رَبِّ: أنشدني ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل بن عطاء :  
ويجعل البُزَّ قحماً في تصرفه      وجانب الرأى حتى احتال للشَّعَرِ (٢)  
ولم يُطلق مطراً والقول يُعجله -      فعاذ بالغيث إشفافاً من المطر  
وقد ضم واصلٌ بشار بن برد، فقال : أما لهذا الملهد المشنّف (٣) المكنى  
بأبي مُعَاذٍ من يقتله ؟

أما والله لولا أن السَّغِيلَة (٤) سبَّجَتْ من سبجايا الغالية ، لبعثت إليه من يبيع  
بطنه على مضجعه ، ويقتله في جوف منزله ، وفي يوم حفله ، ثم كان  
لا يتولى ذلك منه إلا عُقَيْسِيٌّ أَوْ سَدُوسِيٌّ .

وقد علق على ذلك أبو حفص الشَّصَّيْرى قائلاً : ألا تريان كيف تجنب  
الرأى في كلامه هذا ، وأتما للذى تريان من سلامته ، وقلة ظهور التكلف فيه  
لا تظنَّان به التكلف ، مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام (٥) .

ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول : بشار، وابن برد ، والمرعش ،  
جعل المشنّف بدلاً من المرعش ، والملهد بدلاً من الكافر ، وقال : لولا أن  
السَّغِيلَة سبَّجَتْ من سبجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية ، لمكان الرأى ،

- (١) جهرة خطب العرب - ٢ - ٤٨٢ نقلاً عن مفتاح الأفكار - ٢٧٠  
(٢) احتمال للشعر . أى نطق بما هو خال من الرأى كالسبب بالتحريك ، والدلة والخصلة  
وغيرها : انظر المختص لابن سيده . ورواية الكامل للمبرد - ٧ - ١١٦ : وخالف الرأى .  
(٣) المشنّف : لا بس الشنّف - بفتح الشين - وهو القُرْطُ في أعلى الأذن ، والمرعش الذى  
يلبس الرعشة بضم فسكون ، وتحرك ، وهى القُرْطُ .  
(٤) السَّغِيلَة : الاغتياك والحديعة .  
(٥) الرأى والياء واللام والألف : أكثر الحروف دوراناً في الكلام وفي المزمع - ١ - ١١٨ .  
أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة .  
(٦) المنصورية والمغيرية : فرقان من فرق الضلالة ، تنسب الأولى إلى أبى منصور  
العجلي ، والأخرى إلى المغيرة العجلي ، انظر الملل والنحل ، والفرق بين الفرق ، ومفاتيح العلوم .

وقال : لبعثت إليه من يبعج بطنه ، ولم يقل : لأرسلت إليه ، وقال : على مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

وقد أراد جماعة أن يكرهوه على النطق بالراء ، فسألوه : كيف يمكنه أن يقول : اطرَح رَحك ، واركب فرسك ١ .

فأجاب في الحال : ألقى قناتك ، واعل جوادك .  
فعبجوا من ذلك (١) .

وفي رواية : قيل له : رجل ركب فرسه ، وجر رحه .

فأجاب : غلام اعتلى جواده ، وسحب ذابله .

وقد سارت لثغة واصل مسير الأمثال ، وضمنها الشعراء فنون شعرهم .

فمن ذلك قول أبي محمد الخازن في مدح صاحب بن عباد :

نعم تجنب « لا » يوم العطاء ، كما تجنب ابن عطاء لثغة الراء (٢)

وقال آخر في محبوب يلثغ بالراء :

أعد لثغة لو أن واصل حاضر<sup>٣</sup> ليسمعها ما أسقط الراء « واصل »

وقال آخر :

أجعلت وصلى الراء لم تنطق به وقطعتني حتى كأنني « واصل » ،

وأنشد الزمخشري في هذا المعنى :

ولا تجعلني مثل همزة واصل فيسقطني حذف ، ولا راء واصل

وقد خطب أحمد بن الحسن الزيات الأندلسي خطبة طويلة ، أسقط

الآلف من حروفها (٣) :

أولها : حمدت ربّي ، جلّ من كريم محمود ، وشكرته ، عزّ من عظيم

معبود ، ونزّهته عن جهل كل ملحد كفور ، وقدّسته عن قول كل

مفسد غرور (٤) .

(١) حقائق السحر - ١٦٦ :

(٢) سلافة العصر - ٤٩٥

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة - ١ - ١٥٤ .

(٤) الغرور بالفتح : ما غرك ، والشيطان .

وقد عمل الصاحب قصيدة معرارة من الألف، التي هي أكثر الحروف دخولا في المنظوم والمشتور، مدح بها آل البيت، عدتها سبعون بيتاً<sup>(١)</sup> أولها:  
قد ظل يجرح صدرى من ليس يعدوه أمرى  
فتعجب الناس منها، وتداولتها الرواة، فاستمر على تلك المطية، وعمل قصائد، كل واحدة منها خالية من حرف من حروف الهجاء.

وبقيت عليه واحدة تكون معرارة من الواو، فانبرى أبو الحسين الحسنى الحمذاني، فعمل قصيدة فريدة ليس فيها واو، مدح الصاحب في أثنائها، أولها:

برق ذكرت به الحساب لما بدا فالدمع ساكب  
ويروى: أنه حكى بمجلس على — كرم الله وجهه — كثرة دوران الألف في الكلام، وأنه لا يخلو كلام منها، فأنشأ في ذلك خطبة سماها: المونقة، ليس فيها ألف<sup>(٢)</sup>.

ولما عد الحذف من البديع — كما يقول العلوى — لأن ما هذا حاله، إنما يصار إليه عند الاقتدار على البلاغة، والإغراق في الفصاحة، بحيث يمكنه الخوض في كل أسلوب من أساليبها، والجرى في ميدان أعاجيبها.  
٧ — المجاز.

وهو أن يتم البيت ولا تتم الكلمة التي منها القافية، حتى يكون تمامها في البيب الثاني.

وقد ذكره المبرد في كتابه الموضوع في القوافي، وعده من عيوب القافية، مثلما كتب به المعري إلى تليذه ابن سنان الخفاجي:

(١) البيضة — ٣ — ٣٧٤.

(٢) الطرزا — ٣ — ١٧٥.

شبيهه بابن يعقوب ولكن لم يكن يو  
سف يشرب الخمر ، ولا يزنى ولا يو  
سع بالأمواه القهوة (١) مزجا ، لم يكن دو  
ن في صبح وإمساء ، وهذا منكر يو  
شك الرحمن أن يصليه في نار خزي هو  
لها أهل ، فلا يكشف عنه ربنا السو  
ء ، فإن الأخضر الإبطيين ذا الفحشاء لا يو (٢)  
قد النار لأضياف ، ولو قيل له ذو  
دنائير وأموال ، فيا رحمن لا تو  
سع الرزق على هذا الذى منظره لو  
لؤ والفعل سثنوق ، فوزن الريش لا يو (٣)

وقطع الكلام على يو (٤) .

وقال بعض أصحاب الشاعر مظفر الأعمى : رأيت في بعض تأليف أبي  
العلاء المعرى : ماصورته : أصلحك الله وأبقاك ! لقد كان من الواجب  
أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالى ، لكى نحدث عهداً بك يازين الأـخلاء !  
فما مثلك من غير عهداً أو غفل !!

فسأله : من أى الأبحر هذا ؟ وهل هو يبت واحد أو أكثر ؟

فإن كان أكثر فهل أبياته على روى واحد ، أم هى مختلفة الروى ؟  
قال : فأفكر فيه ، ثم أجابه بجواب حسن .

(١) القهوة : الخمر ، قيل : سميت بذلك ، لأنها تقهى بضم التاء : أى تذهب بشهوة الطعام .  
(٢) أخضر الإبطيين : يحتمل أن تكون ذما أى أسود الإبطيين ، كناية عن قذارته وكثافته  
شعر إبطية ، ويحتمل أن يكون وصفاً له بالخصب والنعمة : كقولهم : خضر المناكب : أى مخصبون  
وهو مع ذلك يحيل بدليل بقية الكلام .

(٥) الستوق كمصفور وينبوع ، مع تشديد التاء : الزيف والبهرج ، اللبس بالفضة .

(٤) سـرى الفصاحة — ١٧٧

فلما قال لى ذلك ؛ قلت له : اصبر علىّ حتى أنظر فيه ، ولا تقل ما قاله .  
ثم أفكرت فيه ، فوجدته يخرج من بحر الرجز ، وهو المجزوء منه .  
وتشمل هذه الكلمات على أربعة أبيات على روى اللام .

وهى على صورة ، يسوغ استعمالها عند العروضيين .  
ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ، فإنه ينكرها لأجل قطع الموصول منها .  
ولا بد من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك ، وهى :

أصلحك الله وأبقاك ، لقد كان من ال واجب أن تأتينا ال يوم  
إلى منزلنا ال خالى لى نحدث عهداً بك يازين الأخل لاء فما مثلك من  
غير عهداً أو غفل .

وهذا إنما يذكره أهل هذا الشأن للمعاينة ، لأنه ليس من الأشعار المستعملة  
فلما استخرجته عرضته على ذلك الشخص ، فقال : هكذا قال مظفر  
الأصمى (١) .

#### ٨ — التضمين .

وهو : ألا تستعمل الكلمة التى هى القافية بالمعنى ، حتى تكون موصولة  
بما فى أول البيت الثانى ، مثل قول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ لى (٢)  
شهدت لهم مواقف صادقات أتيلهم بنصح الود منى  
والتضمين : عيب شديد فى الشعر ، وحير الشعر : ما قام بنفسه ، وخير  
الآبيات عندهم : ما كفى بعضه دون بعض ، كقول النابغة نفسه :  
ولست بمنسقب أخا لا تلهى على شعث . أى الرجال المهذب (٣)

(١) وفيات الأعيان - ٢ - ١٢٩ - ثمرات الأوراق - ١٠٠ على هامش المستطرف .

(٢) الجفار ككتاب : ماء لبني تميم .

(٣) اللام : الإصلاح والجمع . والشعث : الفرق ؛ تقول : لم الله شعته ؛ أى أصلحه  
وجمع ما تفرق من أموره ، وبابه رد .

فيكفي أن تتمثل منه بقوله : أى الرجال المهذب ، أو يباقي البيت .  
وعيب النابغة في شعره الأول ، عيب مفرد ، وهو التضمين ، ولكنه  
لم يتكلفه كما تكلفه أبو العتاهية في شعره الآتى ، فجمع إلى التضمين  
تكلفه له (١) .

يا ذا الذى فى الحب يلحى أما      والله لو كلفت منه كما (٢)  
كلفت من حب رقيم ، لما      لمت على الحب ، فذرى وما (٣)  
ألقى ، فإنى لست أدرى بما      بُليت ، إلا أننى بينما  
أناياب القصر فى بعض ما      أطوف فى قصره هو إذ رى  
قلبى غزال بسهام ، فإ      أخطأ بها قلبى ، ولكنما  
سهماه عينان له ، كلما      أراد قتلى بهما سلهما

ولكن من الإنصاف للعتاهى أن نقول : إنه مع قصده لهذا الصنيع  
لم تفارقه دماثة طبعه ، ورقة أسلوبه ، وسلاسة حاشيته ، ولم يتخل عنه هذا  
التدفق والانسجام والعذوبة التى هى كبرى مزاياه ، وأظهر خصائصه .  
ويمكن أن نغفر له ذلك ، إذا جعلنا هذه المقطوعة من باب الأراجيز ،  
فإنها شبيهة بها .

ويجرى هذا المجرى : أن يكون آخر كل بيت من القصيدة أول الذى  
يليه .

وقد تكلفه قوم فجاءوا بالغث السخيف ، ولكنه جاء حسناً بارعاً فى  
تضاعيف مقطوعة الليل الأخيلية — تمدح بها الحجاج — :  
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة      تتبع أقصى دأها فشفاهها

(١) الموشج — ٢٦١ .

(٢) لحاء يلحاه : لاهه .

(٣) الرقيم : الرقيق .

شفها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة سقاها (١)  
سقاها دماء المارقين (٢) وعلاها إذا جمحت يوماً وخيف أذاها  
وفي بعض الروايات (٣) .

سقاها فرواها بشرب سجاله دماء رجال حيث مال حشاها (٤)  
فهذا التكرار زاد في بهجة الكلام ، لأنه جاء فيض الخاطر ، في أسلوب  
قوى متدفق ، وديباجة موفقة مطبوعة ، ولأنه يمكن أن يعتبر كل بيت  
مستقلاً بمعناه ، غير محتاج لما يليه إلا من حيث بسط الكلام ، وتوضيح  
معناه .

٩ — عدوا من اللزوم : الإتيان في الكلام بألفاظ لا تنطبق الشفتان  
في حروفها ، كقول الخطيرى من أبيات (٥) :

هأنذا عارى الجسد أسهرنى الذى رقد  
آه لعين نظرت إلى غزال ذى غيسد (٦)  
أريقنى يا ناظرى صيد الغزال للأسد  
لن الضنى لهجره ياعاذلى هدّ الجسد

أو الإتيان بكلمات في كل منها همزة ، كقوله أيضاً :  
بأنى أعيد أذاب فؤادى إذ تنامى ، وأظهر الإعراضاً  
رشاً يألف الجفاء فإن أقبل أبدى لأمليه انقباضاً (٧)  
أولاً إتيان بكلمات في كل منها سين أو شين .

(١) القناة : الرمح .

(٢) المارقين : يريد الخوارج .

(٣) الأمالى — ١ — ٨٧ — زهر الآداب — ٣ — ٢٦٥ .

(٤) السجال كتاب : جمع سجل كشمس : الدلو العظيمة . ومال حشاها : كناية عن  
الطغيان والبطار . وفي بعض الروايات :

سقاها دماء المارقين وعلاها إذا جمحت يوماً وخيف أذاها

(٥) مهابد التنصيص — ٢ — ١٠٧ .

(٦) الغيد محرّكة : النعومة . والغادة والغيداء : الناعمة . والأغيد : الوستنان المائل العنق .

(٧) الرشأ في الأصل : الظلي إذ قوى ومشى مع أمه ، وجمعه : أرشاء كرجاء .

والله يرى رسالتان مشهورتان في ذلك .  
 الأولى السينية <sup>(١)</sup> ، وقد التزم في كل كُتبه منها السنين نثراً ونظماً .  
 وقد كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقاً له أدخل به في دعوة  
 دعا غيره إليها ، أولها : باسم القدوس استفتح ، ويساعده استنجد .  
 ومن شعرها :  
 و « سيف السلاطين ، » مستأثر بأئس السماع وحسّو الكتوس  
 وختمها بقوله :  
 وحسبنا السلام ، رسول السلام  
 والآخرى : السينية <sup>(٢)</sup> .

وقد كتب بها إلى أبي طلحة بن النعمان الشاعر — لما قصده بالبصرة —  
 يمدحه ويشكره ، ويتأسف على فراقه .  
 أولها : يارشد المرشد المنشئ أنشئ . شغنى بالشيخ : شمس الشعراء ،  
 ريش معاشه <sup>(٣)</sup> ، وفشا رياشه <sup>(٤)</sup> ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت <sup>(٥)</sup> شهابه .  
 ومن شعرها :

فأشعاره مشهورة ومشاعره وعشرته مشكورة وعشائره <sup>(٦)</sup>  
 وقد ألف المعرى « كتاب سيف الخطبة » : جزءان مقداره أربعون

---

(١) معجم الأدياء — ١٦ — ٢٧٦ .  
 (٢) اسم المكتوب له : سيف السلطان .  
 (٣) المصدر نفسه — ١٦ — ٢٧٨ .  
 (٤) ريش معاشه : يريد كثرت نعمته .  
 (٥) الرياش : جمع ريش : وهو : اللباس الفاخر ، والخصب والماش .  
 (٦) المعشوشب : المكان كثر العشب فيه . والشباب : جميع شعبة بالضم : غصن الشجر  
 والناحية .  
 (٧) المشاعر : الحواس : جمع مشعر كمنهل ، والعشائر : أهل الرجل وجماعته ، جمع  
 عشيرة .



كراسة، يشتمل على خطب السنة، فيه خطب للجمع، والعديد، والخسوف والكسوف، والاستسقاء، وعقد النكاح.

وهي مؤلفة على حرف من حروف المعجم، وفيها خطب، عمادها الهزلة، وخطب بنيت على الباء، وخطب على الدال، والراء، واللام، والميم، والنون، وتركت الجيم والحاء وما يجرى مجراها، لأن الكلام المقول في الجماعات يلغى أن يكون سجعاً<sup>(١)</sup> سهلاً<sup>(٢)</sup>.

وقد أشاد البديع بمقدرته الخارقة في هذه الشعبذات<sup>(٣)</sup> البيانية — حين ناظر الخوارزمي — فذكر من ذلك ألواناً عدة، فكتاب يقرأ منه جوابه، وكتاب يقرأ من أسفله، وكتاب إذ قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً، فإن عكست سطره مخالفة كان جواباً، وكتاب لا يوجد فيه حرف منفصل من راء تتقدم الكلمة، أو دال تنفصل عن الكلمة، وكتاب خال من الألف واللام، وكتاب خال من الحروف العواطل، وكتاب أوائل سطره كلها ميم، وآخرها جيم، وكتاب إذا قرئ معرجاً وسرد معوجاً، كان شعراً، وكتاب إذا فسر على وجه كان مدحاً، وإذا فسر على وجه كان قدحاً! وقد رد عليه الخوارزمي: بأن هذه الأبواب شعبذة!

فأجابه البديع: وهذا القول: طرمة<sup>(٤)</sup>! فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها، حتى أباحثك على مكنونها، وأكاثرك بمخزونها، وأشبر<sup>(٥)</sup> فيها قلبك، وأسبر فيها لسانك وفمك.

فقال الخوارزمي: الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان، المتعارفة بين الناس.

(١) السجع: أي وسط، تقول يوم سجع، وهواء سجع: لاجر ولاقر.

(٢) معجم الأدباء — ٣ — ١٥٠.

(٣) الشعبذة والشعوذة: ما يفعله أهل السحر والمخرفة.

(٤) الطرمة: فخر الرجل بالباطل، والتمدح بما ليس فيه، وعدم تحقيقه في الأمور.

(٥) أشبر: أقيسه بالشبر.

فقال البديع : ألا تحسن من الكتابة إلا هذه الطريقة الساذجة ، وهذا النوع المتداول بكل قلم ، المتناول بكل يد وفم ؟ ! .

وتعير البديع للخوارزمي : بأنه لا يعرف غير ماسماه الطريقة الساذجة في الكتابة ، يدلنا على مدى التحول الذي طرأ على أساليب البيان ، ومباغ ما أصاب الأذواق من السقم والانحراف !!

وإن صح ما قاله البديع ، فقد شهد للخوارزمي — من حيث لا يشعر — : بأنه أسلم منه طبعاً ، وأصح ذوقاً ، وأصدق أداءً ، وأفصح بياناً .

ولعله من الطرائف : أن ابن حجة الحموي ، رغب إليه أحد طلبية العلم بحلب : أن يكتب له تقريراً على رسالة مشتملة على حكم ومواظ ، فكتب تقريراً مهمل الحروف ، ليس به حرف منقوط سوى التاء المربوطة !!

منها : والله ما سمعها عالم إلا وهام ، ولا ردع سحرها الخلال مسلماً إلا كره الحرام ، وعاد عاملاً وأعد للصلاح حواصله ، وصار له مع الله معاملة . ما أحلى ما كرر عاطلها المحلى ، وأهلا لسهولة مسلكها وسهلا ... وما يتصل بالزوم : نوع يقال له : « المتزلزل » .

وهو أن يقع في الكلام لفظ ، إذا غيرت حركة من حركات حروفه ، انتقل معناه إلى معنى آخر .

سمى بذلك لتحويله من صورة إلى أخرى .

ومنهم قولهم : فلان متزلزل : إذا كان لا يستقر على حال واحدة . وهو نادر الوقوع ، وقل أن يقع اتفاقاً .

وقد مثل له الوطواط بمثاليين من صياغته يتصلان بالله — عز وجل — ورسوله — عليه الصلاة والسلام — بحيث لو غير إعرابهما لكانا من الكفر الصراح !! فرأيت من الأدب أن أضرب عنهما صفحاً .

(١) رسائل البديع — ٨٥ على هامش خزانة الأدب للحموي .

(٢) خزانة الأدب — ٤٤٠ .

(٣) حقائق السحر — ١٨٣ .

(م ٤ — البلاغة الفنية )

وقد كان للوطواط - مندوحة عن مثل هذا الكلام الموبق، البالغ منتهى  
الجرأة والتهميم - بما حباه الله من القدرة على التصرف والافتنان .  
وليك مثالا له ، تكلفته من نظمي للإيضاح :

أرى ، أسماء ، حجبها أبوها فسحقا ثم سخقا للديج ب  
فإذا كسرت الجيم كان الدعاء على أبيها - وهو المراد - .  
وإذا فتحتها كان الدعاء عليها .

وجعل منه العلوى قوله - تعالى - : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .  
برفع اسم الجلالة ونصب العلماء .  
وعد ذلك من الخطأ ، لأن الله لا يخشى أحدا ، لقدرة على كل الممكنات .  
والخطأ : مقاله العلوى ، فرفع اسم الجلالة قراءة معروفة ، كقوله - تعالى - :  
« فتلقى آدم من ربه كلمات » .

بنصب آدم ورفع كلمات : على أنها استقبلته : بأن بلغنه واتصلت به (١) ،  
وقد قالوا : إنها أبلغ في المعنى .

والمراد في الآية الأولى بخشية الله لعباده : لازم الخشية ، وهو التكريم  
وما شاكله .

وقد ورد ذلك كثيرا ، ومنه الأثر : « إن الله ليستحي أن يخرب  
البيوت العامرة » ، « إن الله ليعجب من شاب لاصبوة له » (٢) .

ولا شك أن أكثر هذه الأنواع المملحة باللزم - ونعد البديع  
والحريري بطليها المجليين - أثر من آثار الفراغ والبطالة ، وعمل يشبه أعمال  
الحواة والسحرة ، ولا ننكر أنه نتاج مقعدة فائقة على التصرف  
في الصياغة ، والتلاعب بالألفاظ ، وأن فيه إيقاظاً للأذهان ، والقرائح ،

(١) الطراز ٣ - ١٦٠

(٢) الكشف ١ - ٥٢ .

(٣) تزيين الأسواق - ٦ .

كتأليف الألفاظ والأحاجي والمعميات ، ولكنه — كما يقول ابن الأثير — لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة ، وإنما يأتي ومعانيه غثة باردة ؛ وسبب ذلك أنها تستكره استكراها ، وتوضع في غير مواضعها ، وكذلك ألفاظه ، فإنها تجيء مكرهة أيضاً غير ملائمة لآخراتها ، وعلم البيان إنما هو الفصاحة والبلاغة في الألفاظ والمعاني ، فإذا خرج عنه شيء من هذه الأوضاع المشار إليها ، لا يكون معدوداً منه ، ولا دخلاً في بابها ، ولو كان ذلك مما يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه ، لورد في كتاب الله — عز وجل — الذي هو معدن الفصاحة والبلاغة ، أو ورد في كلام العرب الفصحاء ، ولم نره في شيء من أشعارهم ولا خطبهم (١) .

#### الزوم في شعر العصريين :

يمتاز البارودي من بين شعراء العصر بالإكثار من الزوم كثرة تسترعى النظر ، وإن كنا لا نستغرب ذلك منه ، فقد كان حفيهاً بأشعار الفحول من السابقين ، يصب على قوالهم ، ويرسم خطاهم ، ويتأثرهم في الدقيق والجليل . ثم هو — إلى ذلك — كان ولوعاً بالتفاسيح والتشادق ، والتفاخر بأنه رب قلم ، كما أنه رب سيف ، وقد حدها هذا أن ينتظم بالروى كل حروف المعجم تقريباً ، فجاءت له قصائد على قافية الحمزة والألف المقصورة ، كما جاءت له أخرى على قواف بغضضة ثقيلة ، وصفها النقاد : بأنها قواف غير شعرية ؛ ينظم منها الشاعر حينما يريد الحذلق ، ويهجنح إلى التنطع ؛ كقافية الشاء والذال ، والزاي ، والشين ، والطاء والظاء ، فزاد في ذلك على أبي تمام والمتنبي وابن هاني الذين سبقوه إلى شيء من هذا الإغراب ، ولكنه أبى إلا أن يبدع جميعاً في هذا المضمار السكريه فكان له ما أراد !

والمتقدمون قلما ينتظمون بالروى كل حروف المعجم ، لأن ماروى من شعر امرئ القيس ، لا نعلم فيه شيئاً على الطاء ولا الظاء ، ولا الشين ولا الخاء ونحو ذلك من حروف المعجم .

وكذلك ديوان النابغة ، ليس فيه روى بنى على الصاد ولا الضاد ولا الطاء ، ولا كثير من نظائرهن .

وأبو عبادة<sup>(١)</sup> له شعر جم ، ولا أعلم — فيما روى له — شيئاً على الخاء ولا الغين ولا الثاء ، إلا أن يكون شاذاً لم يثبت في أكثر النسخ<sup>(٢)</sup> .

فالبارودي حينما يعتمد اللزوم ، إنما يرفده في ذلك كثرة محفوظه من اللغة ، وإدلاله بالقدرة على النظم ، وشغفه بتقليد الأقدمين ، وهى بعينها نوازع قد ساقته إلى ركوب هذه القوافى الصعبة ، التى يعد اللزوم نفسه دونها هجنة وسماجة !

وفى الجزء الأول وحده ، نظم تسع قصائد من اللزوم ، أقلها : خمسة أبيات<sup>(٣)</sup> : وهى قصيدة غزلية ، أولها :

زمى الكأس وهاتى واسقنيها يا مهاتى

وأكثرها : ستة وعشرون بيتاً ، وهى قصيدة زهدية<sup>(٤)</sup> ، أولها :

إلام يهفو بجلدك الطرب أبعد خمسين فى الصبا أرب

وبعض هذه القصائد تجمع بين اللزوم والجناس التام ، كالقصيدة التى عنوانها . الروح بعد مفارقة الجسم<sup>(٥)</sup> ، فتجد جانس فيها بين مصراعى المطلع ، فقال :

بلغت مذاك من أرب فسيحى فأنت اليوم فى جو فسيح

ثم أتى بعد ذلك بستة أبيات تلتها خمسة منها « بالمسيح » ويتخللها بيت ينتهى « بالكسيح » .

(١) أبو عبادة : كنية البحتري .

(٢) مقدمة لزوم مالا يلزم للمرى — ٢٤ .

(٣) ص ٥٠

(٤) ص ٤٦ .

(٥) ص ٦٥

ومثلها قصيدة وعطية جاءت على روى الدال ، عددها ستة أبيات ، تنتهى بكلمة ، عاداً (١) ، وأولها :

وشاخ في ذرا شماء باذخة لا يعرف الصدق إن والى وإن عاداً  
وبالرغم مما عرف عن البارودى من إحكام الصياغة ، وشدة الأسر ،  
ومتانة النسيج ، وسلامة الديباجة ، فإن هذا اللزوم ساقه مرغماً إلى الوقوع  
فى بعض التكلف والغرابة والضعف والتهافت ، وهو مما يبرأ منه سائر شعره  
المرصوف الحصيف ، كقوله من قصيدة همزية ، يصف فيها منزلاً بجزيرة  
كريت (٢) ، أولها :

وخيلة بكرت سماوة أيكها

تحمى الهجير عن النفوس وتدرأ (٣)

وفيهما يقول :

تستن فيها الريح بين منابت	خضراء يغشاها الجبان فيجرأ (٤)
تستوقف الأبصار فى غدرانها	صور تزول مع النسيم وتطرأ
فالورق تهتف والربارب ترتعى	والعين تبغى والبلابل تصرأ (٥)
شجراء تسلسكها السموم فتفتدى	ر هوأ ويسكنها الهجير فيمرأ (٦)
فتح الربيع بها مدارس نزهة	للعين فيها بهجة لا تضرأ (٧)

(١) س ١١٨ .

(٢) س ١٦ .

(٣) السباوة : أعلى الشيء والأيك : الشجر الملتف والهجير : شدة الحر .

(٤) تستن : تجرى .

(٥) الورق بضم الواو : الحمام والربارب : قطعان الظباء ، جمع ربرب كجعفر . والعين بالكسر :

واسعات العيون ، يريد بها بقر الوحش . والبقام بضم الباء : صوت الظباء ، وقد استعمله

ليبد فى بقر الوحش . انظر المخصص لابن سيده . وتصرأ : تصيح .

(٦) شجراء : كثيرة الشجر . والرهو : الساكن .

(٧) تضرأ : تخفى .

وهذه القوافي قلقة غير متمكنة، زيادة على غرابتها وخشونتها في الأسماع !!  
وقد ضيق هذا اللزوم من خطو البارودي، وقصر من عنائه، وكف من  
طماحه، فوقف في أكبر قصيدة لزومية له عند البيت السادس والعشرين،  
وهو المجلى السباق، الموسوم بطول النفس؛ وامتداد الشوط، وبعد الغاية.  
وهناك شاعر معاصر هو الأستاذ أحمد نخيمر؛ قد اصطنع اللزوم في  
بعض شعره، وضمينه ديواناً يشغل النظم منه ثلاث عشرة ومائة صفحة  
من القطع المتوسط جعل عنوانه «لزوميات نخيمر»، وهو الجزء  
الأول منها.

والأستاذ نخيمر شاعر من أبناء دار العلوم المجيدين، وله عدد اللزوميات  
شعر حر مطبوع.

ولأعرف في الشعراء المعاصرين من قصد إلى اللزوم عامداً متعمداً،  
واعتزم أن يكون له ديوان من هذا اللون، ينسب إليه في ثغر وزهو غير  
نخيمر، فهو بحق يعد تلميذاً بارأ مخلصاً للمعري.

وقد حملته حبه لأستاذه، أن يدافع عن آرائه وأفكاره وخلقه، وعن  
منهجه اللزومي في الشعر، فيقول: إنه أراد — أي المعري — أن يضاعف  
التأثير الموسيقي لشعره، ومن المعلوم: أن القافية في الشعر العربي عنصر من  
عناصر موسيقاه، فالتزام حرف آخر بجانب الروي، يجعل للشعر رنيناً خاصاً  
تستعد به النفس، ويشيع فيها طرباً روحياً، يؤكد الإحساس، ويوضح  
الصورة، ويعمق التأثير.

ويقول... ولكن الحقيقة التي لا تنكر: أن هذا الشعر الخالد؛ ما كان  
بممكن أن يكون له هذا التأثير، وذلك النفوذ الروحي، لو أنه جلي لنا في  
أسلوب غير هذا الأسلوب.

وهو يصرح باقتفائه أثر المعري، فيقول: وعلى الرغم من أنني لا أملك  
قدرة المعري اللغوية، ولا تؤثر في نفسي ظروف كظروفه، فتعد رأيت أن

أطارضه فيما ذهب إليه بهذا الضرب من الكلام ، الذى اختاره هو لنفسه ،  
وقيدها به ، وساقها إليه .

وقد دفعنى إلى ذلك : أنى أردت أن أسلك فى التعبير سبيله التى سلكها ،  
وأن أجعل لشعرى نفس التأثير الموسيقى الذى أراد أن يجعله لشعره ، وأنى  
كنت أشعر شعوراً قويا بأن من العجز أن تلقى لزوميات المعرى هكذا ،  
تنتقل من جبل إلى جبل لا يتلفت إليها أحد بالمعارضة أو التأييد ، كأن  
القرايح عقم من بعد أبى العلاء<sup>(١)</sup> .

فخيبر — كما نرى — لا يصوغ الشعر اللزومى عفواً ولا اعتباطاً ،  
لكن ينظمه بنية سابقة ، وإصرار مبيت ، وإخلاص غامر ، يحدوه إلى ذلك  
اعتقاده بأن اللزوم يرفع من درجة الشعر لفظاً ومعنى ، ويسبغ عليه بشاشة  
خاصة : تجعله ساحر الأداء ، عميق التأثير .

ثم هو لا يعارض المعرى حباً فى ترسم خطاه فحسب ، ولكن ليجدد  
هذه السنة الشعرية المجيدة التى أشاح عنها الشعراء ، وأغفلوها وهى حقيقة  
بأن تحيا وتخلد فى رأيه .

ولزوميات خيبر قسمان :

القسم الأول « الحياة والوجود » وهو أنفس القسمين ، وقد أهداه إلى  
روح أبى العلاء ، مصدرأً بأبيات من الشعر .

والقسم الآخر « السياسة والاجتماع » وقد أهداه إلى شهداء الاستعمار  
فى العالم العربى مصدرأً بالشعر أيضاً .

ومعظم هذه اللزوميات قصير منها : البيتان والثلاثة والأربعة إلخ .

وأطولها قصيدة بعنوان « فى القمر » ، عدة أبياتها ثلاثة وثلاثون (٢) .  
وهى فى جملتها خفيفة الظل ، عذبة الروح ، خالية من الأفكار المزدحمة  
المعقدة ، والشحطات الهوجاء ، والأخيلة الجاحمة ، ويقل فيها التكلف والغرابة .



وهي نتاج تأملات فلسفية واجتماعية، وصدى أحداث مختلفة، وانعكاسات  
أحلام وآلام وآمال ، وياحبذا لو أنها خلت من بعض قطع قليلة تتعلق  
بالشخصيات مدحاً وهجاء .

وبما راقى منها - وهو كثير - قطعة عنوانها : لون زهرة :

لون ورَيقاتك يازهررقى ترنيمه من قلبك الناضر  
يدعو بها النحل إلى لمسه ليشر الآلى من الحاضر

وقطعة عنوانها : قذيفة الأطياف :

لا يلبث الدهر أن تترى عجائبه حتى تمتد إلى المريخ أسيافا  
قذيفة الذر مرت . سوف تتبعها قذيفة تجعل المحسوس أطيافا  
إذا صعدنا إلى المريخ بعد غد  
وهزنا الشوق زرنا الأرض أضيافا

وقطعة عنوانها : الخالد :

إذا صبح أنى است في الكون خالداً فإلى صباً بالحياة وبخالدا  
وإن امرأ يحيا ، ويعلم أنه سيفنى لذو قلب على قلبه جلد  
دعوني أستمتع بعيشي خالداً فما أنا - يا للناس - بالحجر الصلد  
ولعل مخيمر في أجزاءه التالية يكون أسد رأياً ، وأعمق نظراً ، وأرحب  
أفقاً ، وأكثر افتناناً ، كما لعله يقصر لزومياته على الأغراض السامية والأفكار  
الخالدة وحدها ، فإنها هي التي تليق بهذه القوافي المترفة الدسمة من الشعر .  
وإذا استثنينا البارودي ومخيمراً من شعراء العصر الذين قصدا إلى  
اللزوم قصداً ، ساغ لنا أن نقول : إن اللزوم يقع في شعر المعاصرين  
فلنات ومن غير إرادة ، لذلك لا نكاد نشعر به ، وهم غالباً لا يفتنون له ،  
وذلك أمر طبيعي ما داموا لم يتعمدوه .

ولولا أن النقاد يعدون لزوماً : ما يقع من تماثل في الحركة أو الحرف

أو هماماً قبل الروى في البيتين المتواليين ، فضلاً عما يزيد على ذلك ، لكان لنا أن نقول : إن الشعراء العصريين لا يأبهون للزوم ولا يعنون به ، وحتى الذين يحرصون على هذا التماثل تحصيلاً للإيقاع والتنغيم ، والانسجام والتلاؤم لا يريدون به هذا الالتزام الاصطلاحي ، وإنما يريدون أن يوفرُوا للشعر عنصراً موسيقياً يزيد في تأثيره وجماله ، يقودهم في ذلك إحساسهم الفنى وحده ، دون الخضوع لنظرية بلاغية مدروسة ، وهو مع ذلك لا يتكرر ولا يتوالى ، ولا يخرج عن نطاق القلة التى لا تلفت النظر ، ومن ثم لا يجيء إلا حسناً راعياً ، لأنه من عمل الطبع لا الصنعة .

وتفريعاً عما تقدم ، يمكن أن نسلم بوقوع اللزوم في الشعر العصرى ، مادامنا نسلم مع الأقدمين بمجيئه في البيتين ، كما يمكن أن نقول : إن الشعر المعاصر في أكثره بنجوة منه ، إذا اعتبرنا أنه يقع فيه لمعاً غير مقصودة ، بل قد لا ينتبه إليها ناظم الشعر نفسه .

## الفصل الثاني

### التطريز

الطراز بكسر الطاء في اللغة : علم الثوب ، وهو فارسي معرب .  
وجمعها : طرز بضمين ؛ مثل كتاب وكتب .

والطراز أيضاً : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ؛ تقول :  
عمل هذا الثوب في طراز فلان .

والتطريز : تفعيل من طرز الثوب ؛ فنطرز : أى أعليه ؛ بأن  
جعل له طرازاً .

وطرز كفرح : حسن خلقه بعد إساءة (١) .  
وطرز كفرح أيضاً في الملبس : تأنق فلم يلبس إلا فاخراً .  
ومن المجاز : قوهم : للوجه المليح : هو مما عمل في طراز الله ١ .  
وهذا الكلام الحسن من طراز فلان (٢) .  
ومن ابتكار الصاحب بن عباد ، تسميته العذار : طراز الله (٣) كما  
قيل للشيب : صبغة الله ١ ؛ قال :  
ولما تبدى لي امتداد عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وما أحسن طرز فلان « بفتح الطاء » ١

وطرزه : طرز حسن ، وهو طريقته في عمله ، ونيقته (٤) .  
وهو يتطرز في اللباس ، ويتطرس في المطعم : أى يتنوق ، فلا يلبس  
إلا فاخراً ، ولا يأكل إلا طيباً .

---

(١) القاموس ، والمصباح . (٢) الأساس . (٣) انظر ثمار القلوب للثعالبي  
(٤) النيقة بكسر النون : اسم من تنيق وتنوق : تجود في الملبس والمطعم وبالع .

وهو من الطراز الأول : أى من النمط الأول ، قال حسان فى أولاد  
جفنة الغساسنة :

بيض الوجوه ، كريمة أحسابهم شمس الأنوف من الطراز الأول  
فالتطريز ومشتقاته - كما نرى - يدل على الزينة ، والحسن ، والجودة ،  
والأناقة المفرطة .

والناظر إلى أمثله فيها - يأتى - يتبين منه ذلك ، بل يتبين : أنه صنعة  
ناعمة مترفة مسرفة فى الترف ، تحتاج إلى عناء وتفكير ، وجد وكد ، ولعل  
هذا ما دعا العسكرى أن يقول فيه : وهذا النوع قليل فى الشعر (١)

وهو فى اصطلاح البلغاء : أن يبدأ الشاعر كلامه بذكر جمل  
من الذوات غير مفصلة ، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة  
بحسب تعداد جمل تلك الذوات ، تعداد تكرر واتحاد لاتعداد تغاير (٢) .  
وعرفه العلوى بأنه : مقول على ما يكون فى صدر الكلام والشعر ،  
مشملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى ، ثم يوتى بالعجز فتكرر فيه الثلاثة  
بلفظ واحد (٣) .

وهو أشبه ما يكون بشرح للتعريف السابق .

ومن أمثله قول أبى نواس - على لسان لابس ثوب أبيض - :  
فثوبى مثل شعرى مثل نحرى بياض فى بياض فى بياض  
وقول ابن شعيب الأصهبانى (٤) :

وساق بت أشرب من يديه مشعشعة بلون كالنجيع (٥)  
فحمرتها ، وحمرة وجنتيه ونور الكأس فى نور الشموع  
ضياء حارت الأبصار فيه بديع فى بديع فى بديع

(١) الصناعتين - ٤١٢

(٢) حسن التوسل - ٧٤ - خزنة الأدب الج. ٢ - ٤٥٨ - نهاية الأرب - ٧ - ١٤٨

(٣) الطراز - ٣ - ٩١

(٤) معجم الأدباء - ١١ - ٢١٣ (٥) مشعشعة: ممزوجة . والنجيع : دم الجوف .

وقال الجوهري صاحب الصحاح (١) :

وهأنا يونس في بطن حوت بنيسابور في ظل الغمام (٢)  
فبئى ، والفؤاد ، ويوم دجن ظلام في ظلام في ظلام (٣)  
وقول اللحام الحراني في بعض الحكماء (٤) :

قلنسوة على رأس صليب مساحته جريب في جريب (٥)  
وإن يدي ، وهامته ، ونعلى قريب من قريب من قريب  
وبما نسب إلى عضد الدولة البويهى (٦) :

طربت إلى الصبح مع الصباح وشرب الراح ، والغمر الملاح  
وكان الثلج كالكاפור نثراً ونارى بين نارنجى وراحي  
فشموى ، ومشروبى ، ونارى وثلجى ، والصبح مع الصباح  
طيب في طيب في طيب صباح في صباح في صباح  
وقول ابن المعتز - على لسان المعشوق - :

فتوبى ، والمدام ، ولون خدى شقيق في شقيق في شقيق (٧)  
ويقول ابن لنكك :

شموعك والكتوس مع الندامى نجوم في نجوم في نجوم  
وقول بعضهم :

فتوبك مثل شعرك مثل بختى سواد في سواد في سواد

(١) معجم الأدباء - ٦ - ١٥٩ - ١٦٠

(٢) نيسابور بفتح النون : من بلاد وراء النهر .

(٣) الدجن كراى : لباس القيم الأرض .

(٤) القيمة - ٤ - ١٠٤

(٥) الجريب بوزن طيب : مقدار معلوم من الأرض والطعام .

(٦) المستطرف - ٢ - ١٨٩ وقد تشكك الثعالبى في نسبتها إليه - القيمة - ٢ -

١٩٦ - ١٩٧

(٧) الشقيق : شقائق النعمان ؟ وهو زهر شديد الحمرة .

وقول عز الدولة:

وخالك في عذارك في الليالي سواد في سواد في سواد

وقول آخر:

أيا قمرأ تبسم عن أقاح ويا غصناً يميل مع الرياح

جيينك ، والمقبّل ، والثنايا صباح في صباح في صباح<sup>(١)</sup>

وقول على باشا رفاعة الطمطاوى لأسود يحمل القهوة ليلاً :

كأنك ، والذي يديك ليلاً سواد في سواد في سواد

ومن يتقصى التطريز ، يظهر له أنه أكثر ما يقع في الوصف والغزل

والشكوى على جهة المبالغة والمفاكحة .

ثم هو لا تكاد تجده في شعر الجاهليين والإسلاميين ، ولا يقع في شعر

الفحول من المحدثين إلا فلتات ، عبد ابن الرومي ، فإنه أكثر منه ، وكان

مجيداً فيه ، شأنه في كل ما تعاطاه من فنون الشعر .

فن بدائع قوله يتغزل :

ويستقيني ويشرب من رحيق خليق أن يشبه بالخلق<sup>(٢)</sup>

كأن الكأس في يده وفيه عتيق في عتيق في عتيق

وقوله — يهجو بني خاقان — :

أمورك — بني خاقان — عندي عجب في عجب في عجب

قرون في رموس في وجوه صلاب في صلاب في صلاب<sup>(٣)</sup>

فأنت تحس ماء الطبع يترقرق في هذا الشعر ، ولا تعثر على كلمة غليظة

أو نابية فيه ، فهو سمح سهل مطرد كالماء الدافق ، هذا إلى دقة الوصف

ولطفه ، وتلاحم نسجه ، وجودة التلائم والمشاكلية بين طرفي التشبيه ،

لخمرة الخمر الصافية ، وحرمة اليد المخضبة ، وحرمة الشفاه النابضة بالشباب

الحار ، أفضل ما يصوره لنا هذا العتيق المثلث !

(١) المقبل كمعظم: الثغر .

(٢) الخلق بالفتح والخلق كسحاب : الطيب .

(٣) القرون: كناية عن الديانة ، ويقال للديوث قرنان بالفتح ، وقد أكثر ابن الرومي في

هجائه بذلك .

وكذلك يروقك هذا التناسب البديع ، الذى وفق لإليه الشاعر فى صلابة  
القرون، وصلابة الروس ، وصلابة الوجوه، فكل منها يوصف بالصلابة.  
والصلابة قد تحمد فى أشياء كثيرة ، ولكنها تبلغ نهاية الدم فى هذه الثلاث !  
لهذا لم يكن عجباً أن تثير فىنا العجب العاجب ثلاث مرات : عجاب فى  
عجاب فى عجاب ١.

ولا تتحقق مثل هذه البراعة إلا بالفكرة الثاقبة ، والنظرة العميقة  
الواسعة ، والملاحظة الدقيقة المستوعبة ، والاستقراء الشامل لخصائص  
الأشياء ومميزاتها ، وإدراك الفروق بينها ، وهى من سمات ابن الرومى .  
وقد كان هذا اللون الطريف نافق السوق فى عهود التصنيع البديعى ،  
فابن إميلسيّ بن أبى طاهر الجليلي يحدثنا (١) : أنه أنشد لعضد الدولة فى أبى  
الفتح بن العميد ومودته ، قوله (٢) :

وداك لازم مكنون صدرى	وحبك جننى ، والعشق زادى
فإن واصلتنى أزداد حبا	وإن صارمتنى يزداد سهادى
وخالك ، فى عذارك ، فى الليالى	سواد فى سواد فى سواد (٣)

فأجابه أبو الفتح :

دعانى فى انبلاج الليل ، صبح ،	فنادى : قم لحنى على الفلاح
فقلت له : ترفق يامنادى	أليس الليل مسودّ النواحي
فثغرى ، والمدام ؛ وحسن وجهى	صباح فى صباح فى صباح (٤)

ويقول ابن سكرة الهاشمى (٥) خرجت إلى الأهواز قاصداً الوزير أبا  
محمد المهلبى ، مادحاً له :

فلما وصلت لإليه أقشدته :

قنى حيث اتهمت من الصدود ولا تتعمدى قتل العميد (٦)

(١) معجم الأدباء - ١٤ - ٢٣٩ - ٢٤٠

(٢) عزى الثعالبى البيت الأول والثالث لبختيار بن معز الدولة. اليثيمة - ٢ - ١٩٨ .

(٣) الحال: الشامة فى البدن . والعذار بال كسر : الحد .

(٤) يلاحظ أن هذا البيت منقطع الصلة بما قبله .

(٥) معجم الأدباء - ٩ - ١٥١ - ١٥٢

(٦) العميد والمعمود : من شاء العشق أو المرض .

فقد — وهواك — وهو أجل حلا في

حيث نظيرتيك من الهجود<sup>(١)</sup>

هجرت مقيمة ، وطلعت غضبي فخرت الحديد على الحديد<sup>(٢)</sup>  
فراق طعينة ، وفراق رأى يكرهها على فراق جود  
ثلاث ما اجتمعن على ابن حب صدود في صدود في صدود  
قال : وانصرفت . فلما كان من الغد استدعاني ، وقال : اسمع ،  
وأشددني لنفسه :

أتاني في قيصر اللاذ يمشي عدو لي يلتصّب بالحبيب<sup>(٣)</sup>  
فقلت له : فديتك ! كيف هذا بلاواش — أتيت — ولا رقيب  
فقال : الشمس أهدت لي قيصاً رقيق الجسم من شفق الغروب  
فتوبى ، والمدام ، ولون خدى قريب من قريب من قريب  
ويلاحظ : أن التطريز في شعر ابن سكرة ، وفي شعر أبي الفتح ، مأخوذ  
من قول ابن المعتز المتقدم :

فتوبى ، والمدام ، ولون خدى شقيق في شقيق في شقيق  
ويقول الأمير تميم ابن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي :

تمتّع بالمسرة والشباب فقد برز الريع من الحجاب  
فحبسك والزمان وأنت فيه شباب في شباب في شباب  
فحى على المدام بكف ساق يُدير الخمر من برد عذاب<sup>(٤)</sup>

(١) الحلف كنف ورفق وكشف : القسم ونظيرتيك : عيناها والهجوم : النوم

(٢) حربة : ضراء وأثارة .

(٣) اللاذ : جم لاذة . وهو ثوب حريري أحمر صيني .

(٤) برد عذاب : يقصد الأسنان العذبة الريق .



يدير بريقه ويديه نحرأ      شراب في شراب في شراب  
يداه ثم وجنته وقلبي      شهاب في شهاب في شهاب  
كأن يديه حاكّت وجنتيه      بنار - يصطلي منها - لهاب (١)  
إذا ما أكثر العذال فيه      وزاد على ترديد العتاب  
عسدتهم وعسلهم جميعاً      سراب في سراب في سراب  
لعمرك إنما الدنيا عروس      جلاها الغيث من تحت النقاب  
بنفسجها ونرجسها وورد      خضاب في خضاب في خضاب  
فأهرق من دم الإبريق راحا      فإن الغيث ممنوع انسكاب  
وإبريق وكاسي والغواذي      سحاب في سحاب في سحاب  
أتم الشرب إن الصحو غبن      وللنيروز حظ في الشراب  
فرأيك ثم شربك والقوافي      صواب في صواب في صواب

ويلاحظ أن هذه القطعة أطول ما جاء في التطريز ، ومن هنا شابهها  
كثير من التكلف والتعمل والاجتلاب ، وبعدت عن نوازع الفطرة والطبع ،  
لأن هذه الحلى إنما هي لمحات قليلة وفلتات تأتي عفواً ١١ .

وقد ذهب العسكرى في التطريز مذهباً آخر (٢) ، خالف فيه ما اصطلاح  
تلميه جمهور البلغاء ، فعرفه : بأن يقع في أبيات متوالية من القصيدة ، كلمات  
متساوية في الوزن ؛ فيكون فيها كالطراز في الثوب .

وذلك كقول زياد الأعجم :

ومنى يؤامر نفسه مستخلياً      في أن يجود لذى الرجاء يقل جد (٣)

(١) لهاب بضم اللام : اشتعال النار .

(٢) الصناعتين - ٤١٢

(٣) مستخياً : خالياً بنفسه .

أو أن يعود له بنفحة نائل بعد الكرامة والحياة يقل عد  
أو في الزيادة بعد جزل عطية للمستزيد من العفا يقل زد  
فالتطيرز هنا في قوله : جد ، وعد ، وزد .

وقول أبي تمام :

أعوام وصل كاد يُنسى طولها ذكرى النوى ، فكأنها أيام  
ثم انبرت أيام هجر أردفت نجوى أسي ، فكأنها أعوام (١)  
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهم وكأنها أحلام  
فالتطيرز في قوله : فكأنها أيام ، فكأنها أعوام ، وكأنها أحلام .  
وقول العسكري في مرثية :

أصبحت أوجه القبور وضاء وغدت ظلمة القبور ضياء  
يوم أضحي طريدة للمنايا ففقدنا به : الغنى والعناء (٢)  
يوم ظل الثرى يضم الثريا فعدنا منه : السنا والسناء (٣)  
يوم فانت به بواذر شوم فرزنا به : الثرى والثراء (٤)  
يوم ألقى الردى عليه جراناً فحرماننا منه : الجدا والجداء (٥)  
يوم أوت به هناة الليالي فلبسنا به : البلى والبلاء (٦)  
ومثل ما تقدم قول المعتمد بن عباد الأندلسي للطبيب أبي محمد المصري (٧):  
أيها الصاحب الذي فارقت عيني ونفسي منه السنا والسناء

(١) أردفت: حلت واستتبعته . (٢) الغناء بالفتح: النفع والاكتفاء.

(٣) السنا: الضوء. والسناء: لرفعة . (٤) الثرى : الخير .

(٥) الجران بالكسر: مقدم عنق البعير من مذهبه إلى منحرة ؛ فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض ، قيل ألقى جرانه ، والجدا بالفتح : العطاء . والجداء بالفتح أيضاً : النفع تقول قل جداء عنك أى غناء الأساس مادة ج د ي .

(٦) ألوى به: ذهب. والهناة بفتح الهاء والياء المربوطة: الداهية وقد أوردها القاموس بالتاء المفتوحة خطأ .

(٧) قلائلا العقيان - ٦

نحن في المجلس الذي يهب الراحة ، والسمع والغنى والغناء  
تتعاطى التي تسمى من اللذة والرقّة الهوى والهواء<sup>(١)</sup>  
فأته تُلّف راحة ومحيطاً قد أعدا لك : الحيا والحياة<sup>(٢)</sup>

والحق : أن ما جاء في شعر العسكري وشعر ابن عباد : أولى به أن  
يسمى جناساً ، كما هو مذكور في محله<sup>(٣)</sup> .

وبما أورده العسكري مثالا للتطريز : قول أحمد بن أبي طاهر :  
إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يحمد الأجودان : البحر والمطر  
وإن أضاءت لنا أنوار غرته تضاءل الأنوران : الشمس والقمر  
وإن مضى رأيه أو حُدَّ عزمته تأخر الماضيان : السيف والقدر  
من لم يكن حذراً من حد صولته

لم يدرك ما المزعجان : الخوف والحذر  
فالتطريز في قوله : الأجودان ، والأنوران ، والماضيان والمزعجان .  
وقد عد هذه القطعة في الصناعتين<sup>(٤)</sup> أحسن ما جاء في التطريز .

وقال عنها في ديوان المعاني<sup>(٥)</sup> : لو استعمل الإنصاف ، لكان هذا  
أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر .  
وسيأتى ذكر هذه القطعة في أمثلة التوشيح .

---

(١) يريد بها : الخمر .

(٢) الراحة هنا : بطن الكف . والحيا : القيث يريد به العطاء . أى تلقى راحة مطاء ،  
ووجها حيا .

(٣) انظر فن الجناس للمؤلف .

(٤) ص - ١٢٢

(٥) ح - ١ - ص - ٤٨

ومن الغريب أن العسكرى في الفصل الذى عقده « للتطريز » لم يسق مثالا واحدا ينطبق عليه في رأى الجمهور .  
ولكنه في فصل آخر عقده « للمجاورة »<sup>(١)</sup> أتى بأمثال ذكرت في التطريز ، كقول الشاعر :

فلونى ، والمدام ، ولون ثوبى      قريب من قريب من قريب  
وقوله :

كان الكأس في يده ، وفيه      عقيق فى عقيق فى عقيق  
وقوله أيضا :

دعونا ضرة البدر المنير      فوافتنا على خضير خضير<sup>(٢)</sup>  
مطرزة الشوارب بالغوالى      مضمخة السوالف بالعبير<sup>(٣)</sup>  
ترى ما شئت من قدٍ رشيق      وما أحبيت من ردف وثير  
ألامسها - وقد لبست حريراً -      فأحسبها حريراً فى حرير  
فأس ، ثم هو ، ثم وصل      سرور فى سرور فى سرور

وعرف المجاورة بأنها : تردد لفظتين فى البيت ، ووقوع كل واحدة منهما بجانب الأخرى أو قريباً منها ، من غير أن تكون إحداهما لغواً لا يحتاج إليها .  
وهذا يتجلى لنا الفرق بين نظره ونظر الجمهور إلى التطريز ، فهو لم يشترط فيه غير تساوى الوزن فى كلمات ، تقع فى أبيات متوالية من القصيدة كما تقدم فى الأمثلة .

(١) الصناعتين - ٤٠١ .

(٢) خضير : شئ يوصف بالخضرة كالعشب والبساط .

(٣) الشارب : الشعر الذى يسيل على الفم ؛ قال أبو حاتم : ولا يكاد يثنى . وقال الكلابيون : شاربان باعتبار الطرفين ، والجمع شوارب ؛ والمراد بالشوارب هنا : الزغب النات على فم المرأة وقد كان بعض الناس يستملحه ، أو المراد : مكان الشوارب من إطلاق الحال ولإرادة المحل .  
والغوالى : أخلاط من الطيب .

## الفصل الثالث

### التفويف

الفوف بالضم في اللغة : البياض في أظفار الأحداث ، واحدته : فوفة  
بوزن غرفة .

وهو أيضاً : قطع القطن ، وضرب من برود الين .

وفي قول ابن أحر : الزهر ، شبه بالفوف من الثياب .  
وحلة أفواف ، وبرد أفواف : رقيق .

وشعر كأنه أفواف الوشي (١) .

وثوب مفوف كمعظم : رقيق ، أو فيه خطوط بيض .

ومن هذا الأخير اشتق التفويف البديعي المراد هنا .  
والقصد : تلوينه ونقشه (١) .

وفي اصطلاح البديعيين : إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف  
والغزل ، وغير ذلك من الأغراض التي ينتجها المتكلمون ، كل فن في جملة  
منفصلة من أختها بالسجع غالباً ، مع تساوى الجمل في الزنة (٣)

وقد عرفه الخطيب (٢) بأخصر من ذلك ، فقال هو : أن يؤتى في الكلام

بمعان متلازمة ، في جمل مستوية المقادير أو متقارباتها .

وأرجع بعض أمثاله إلى مراعاة النظير ، وبعضها إلى المطابقة .

(١) القاموس والأساس : مادة فوف .

(٢) خزائن الأدب للحموى — ١٤٠

(٣) بديع القرآن — ٧٦ — نهاية الأرب — ٧ — ١٤١

(٤) الإيضاح — ٢٥٠ — حسن التوسل — ٧٠

ومثّل له بقول أبي القاسم الزاهي أو ابن رشيق في وصف السحاب: (١)  
تسرّبل وشيا من خزوز تطرّزت    مطاريفها طرّز آمن البرق كالنبر (٢)  
فوشى بلا رقم ، ونقش بلا يد    ودمع بلا عين ، وضحك بلا ثغر  
والشاهد في البيت الثاني .

وقول عنتره :

إن يلحقوا أكّزر ، وإن يستلحقوا    أشدّد ، وإن نزلوا بضنك أنزل (٣)  
وقول ابن زيدون :

ته : أحتمل ، واحتكم : أصبر ، وعزّ : أهين  
ودلّ : أخضع ، وقلّ : أسمع ، ومزّ : أطلع (٤)  
وقول ديك الجن الحمصي :

الحلّ . وامرر . وضبر . وانفع . وإن . وانخشن  
ورش . وأبر . وانتدب . للبعالي (٥)  
ومثّل له الحلبي بقول صفي الدين الحلي — وهو أشبهه بقول ديك الجن  
المتقدم في الصورة — :

اقصر . أطل . اعذل . اعذر . نل . نخل . أعن  
نخن . تهن . عن . ترقق . كنف . لج . ألم (٦)

(١) بنية الإيضاح — ٤ — ١٨

(٢) الخزوز بالضم : جمع خز ، وهو الحرير . والمطاريف جمع مطرف بكسر الميم وضمها ،  
وفتح الراء : رداء من خز مربع ذو أعلام . والطرز ككثب في الأصل : جمع طراز .  
وهو علم الثوب وفي رواية . . . . . وشيا من حرير .

(٣) يستلحقوا : يطلبون أن ألحق بهم .

(٤) دل بكسر الدال : فعل أمر من الدلال .

(٥) رش : أمر من راشة : سقاء وكساء وأصابع حاله ونفقه . وأبر من البرى : خسر واقطع .  
وانتدب : أجب وأضمن وتكفل .

(٦) عني : أمر من العناء . ولج : أمر من اللجاج .

ومما جاء في شعر الأعراب : قول أبي العميثيل (١) .  
 فاصدُقْ ، وعِفَّ ، وُجِدْ ، وأنصف ، واحتمل  
 واصفح ، ودار ، وكاف ، واحلم ، واشجع (٢)  
 والطف ، ولنْ ، وتأن ، وارُقْ ، واتند  
 واحزُم ، وجدَّ ، وحام ، واحمل ، وادفع (٣)  
 وقد عجبت أن يكون الأعراب الجارون على السليقة والفطرة ينطقون  
 بمثل هذا الشعر الذي لا يأتي إلا بعسر وكلفة شديدة ، وأحسبه محمولا على  
 أبي العميثيل فيما حمل على الأعراب من الشعر المنحول .  
 ولعلنا نجد الدليل في قول ابن بسام : وهذا الباب صنعه المولدون ،  
 وعدوه تقسيما وتقطيعا (٤) .  
 ولأبي الفرج الأصفهاني في مدح الوزير المهلبى - وكان منقطعا إليه (٥) :-  
 يافرجة الهم بعد اليأس والوجل  
 يافرحة الأمن بعد الروع والوهل (٦)  
 أسلم ، ودم ، وابق ، وأملك ، وانم ، واسم ، وزد  
 وأعط ، وامنع ، وضر ، وانفع ، وُصل ، ويصل (٧)  
 وقد قسم العلوى التفويف إلى قسمين (٨) :  
 ١ - قسم يكون التفويف فيه راجعا إلى المعنى ، وذلك كأن تصف

- 
- (١) العمدة - ٢ - ٢٤  
 (٣) احزم : أمر من الحزم .  
 (٤) الذخيرة - ١ - ٣٢٠  
 (٥) اليتيمة - ٣ - ٩٩  
 (٦) الفرجة مثلثة الفاء : الخروج من الهم . والوهل بفتح الهاء : الغزع .  
 (٧) ضر بكسر الصاد : أمر من ضار به يضره ويضوره ضر . وصل بضم الصاد : أمر من الصولة . وصل بكسر الصاد : من الوصل والصلة : ضدهجر (٧) .  
 (٨) الطراز - ٣ - ٨٥ - ٧٦ .

الممدوح بما يدل على مدحه من صفات المسكارم ، وسمات المحامد ، ثم تورد صفات دالة على ذمه ، ولكن اقترن بها ما يرشد إلى كونها مدحاً ، مثل قول جرير :

هم الأخيار من نسكة وهذيا وفي الهيجا كأنهم مصقور (١)  
بهم حدب الكرام على المعالي وفيهم عن مساوهم فتور (٢)  
خلائق بعضهم فيها كبعض يؤم كبيرهم فيها الصغير  
عن التكراء كلهم غي وبالمعروف كلهم بصير  
فتشبيهم بالصقور على إطلاقه : ذم ، لأن من شأن الصقور الخطف  
والبغي ، وتوصف بالبخر ، ولكن اقترانه « بالهيجا » جعله مدحاً ، لأن  
الإنسان إذا كان في الحرب صقراً ، كان بأسلاً غلاباً .

ووصفهم بالفتور - وهو ضعف وعجز - : ذم ، ولكن اقترانه بعطفهم  
على المعالي ، ولوعهم بها صيره مدحاً سامياً .  
وانتماء الكبير بالصغير نهاية الخنول والفسولة ، ولكن اقترانه بأنهم  
يتساوون في الأخلاق السكريمة ، والصفات العالية ، رفعه إلى الغاية من  
الثناء والمديح : « ذرية بعضها من بعض » .  
والغباوة في ظاهرها صفة ذم ، ولكن لما اقترنت بأنهم بصراء بالمعروف ،  
استحال إلى مدح عظيم .

٢ - قسم يرجع إلى الألفاظ كالشعر المتقدم .

تسر بل وشيا من حرير تطرزت . . . . . « البيتين »  
ويتصل بالتفويف : شيتان .

الأول : التعديد ، ويسمى أيضاً : سياقة الأعداد .

(١) المنسكة : مصدر ميمي ؛ وهو التزهّد والتعبد . والهيجا : بالقصر والمد : الحرب .

(٢) الحدب : بفتح الدال : العطف .



وهو : إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد ؛ بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته ، ويكون اسماً كذلك لشيء آخر . فإن روعى في ذلك ازدواج أو جناس أو طباق أو نحو ذلك ، كان في غاية الحسن .

وذلك كقولهم من النثر : دفعنا إليه ، ووضعنا بين يديه زمام الحل والعقد ، والقبول والرد ، والأمر والنهي ، والإثبات والنفي ، والبسط والقبض ، والإبرام والنقض ، والهدم والبناء ، والمنع والإعطاء .

ومن الشعر قول المتنبي :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن (٢)  
والقسم الآخر : تليق الصفات .

وهو أن يذكر الشيء بحملة أسماء ، أو جملة صفات متوالية .

مثال ذلك من القرآن الكريم : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » .

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

ولا تطع كل حلافٍ مهينٍ همّازٍ مشاءٍ بنميم ، منّاعٍ للخير معتدٍ أثيم ، غيّلاً بعد ذلك ذئبٍ » .

ومن الحديث الشريف . « ألا أخبركم بأحبكم إليّ ، وأقربكم مني مجلس يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً المؤمنون (٤) » أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون .

(١) نهاية الأرب - ٧ - ١٣١ .

(٢) السكن بحركة : من تسكن إليه : أى تستريح .

(٣) العتل : الأكل المنيع الجاف الغليظ . والزئيم : المستلحق في قوم ليس منهم ، والدعى ، والئيم المعروف بلؤمه أو شره .

(٤) المؤمن : اللين المهدى . والكنف بحركة : الحرز ، والستر ، والجانب ، والظل والناحية .

ألا أخبركم بأبغضكم إلى ، وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة : أسوؤكم أخلاقاً ،  
الثرثارون المتفهبون (١) .

ومنه قولهم : فلان حسن السيرة ، نقي السريرة ، طيب الأعراق ،  
كريم الأخلاق ، ظاهر النسب ، زاهر الحسب ، حميد الشمايل ، كثير  
الفضائل .

ومن الشعر : قول البحترى :

تُجمعت أمور الدين بعد تزئيل بالقائم المستخلف والمتوكل (٢)  
بموفق للصالحات ، ميسر ومحجّب في الصالحين مؤمل  
وهو كثير في شعر البحترى : لديابجته الموشية المنقوشة الرائعة .  
ولا فتنانه في الصور البيانية الخلافة المونقة .

ويأتى التفويف على ثلاثة أقسام :

١ - أن يكون بجمل طويلة ، كقوله - تعالى - حكاية عن الخليل -  
عليه السلام - : «الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقئ ، وإذا  
مرضت فهو يشفين ، والذى يمتئى ثم يحمين ، والذى أطمع أن يغفر لى  
خطيئى يوم الدين ، رب هب لى حكماً والحقنى بالصالحين ، » .

وقد حصل فى الآية أغرب أقسام التفويف ، وهو الذى تكون جملة  
متماثلة المقاطع : لأن وقوع ذلك فيه نادر ، والغالب وقوعه بخلافه ،  
إذا لا يجب تماثل مقاطعه إلا فى الزنة دون التقفية .

ومثاله من الشعر قول النابغة الذبياني :

فله عينا من رأى أهل قبة أضرّ لمن عادى وأكثر نافعاً  
وأعظم أحلاماً ، وأكبر سيّداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً

(١) الثرثار : المكثار من الكلام . والمتفهب : المنطع المتوسع فى كلامه ، كأنه ملاه به .

(٢) التزئيل : التفرق .

وقول المتنبي - يمدح محمد بن مساور الرومي - :  
مرجوئ منفعة ، مخوف أذية مغبوق كأس محامد ، مصبوح<sup>(١)</sup>  
ألباسا بجماله مهورة وسحابنا بنواله مفضوح  
٢ - أن يكون بجمال متوسطه ، كقوله - تعالى - : « يُوجَل الليل في  
النهار ويُوجَل النهار في الليل ، ويُخرج الحى من الميت ، ويُخرج الميت  
من الحى » .

ومن الشعر قول المتنبي :  
دار الملم لها طيفٌ تهْدَدُنِي ليلًا فما صدقت عيني ولا كذَّبا<sup>(٢)</sup>  
أنايته فدنا ، أدنيتَه فنأى جمششته فنبأ ، قبلته فأبى<sup>(٣)</sup>  
وقواه في سيف الدولة - حين رضى عنه - :  
معطى الكواعب ، والجُرد السلاهب ، والببيض  
القواضب ، والعسالة الذُّبُل<sup>(٤)</sup>

وقول بعض الشعراء :  
بالجود مغتبق ، بالحمد مصطبح في السبق منقطع ، بالحلم متصل  
وقول ابن زيدون :  
تَهْ : أَحْتَمِلْ ، واستطل : أصبر ، وعِزٌّ : أهن  
وول : أقبل ، وأقل : أسمع ، ومُر : أطمع  
وفي هذا البيت يقول ابن بسام<sup>(٥)</sup> : وأحس - لعمري - ابن زيدون  
في هذا التقسيم ؛ ودفع بالحديث في صدر القديم ١١ ولو قرع سمع أبي منصور<sup>(٦)</sup>

(١) المغبوق : الذى يسقى مساء ، والمصبوح : الذى يسقى صباحا ، والمراد أنه يحمى في  
المساء والصباح .

(٢) دار : خبر عن ضمير محذوف . والملم : الزائر ولم تصدق عينه لأنه رأى خيالا ؛ ولم  
يكذب الطيف لأنه هجره بعد ذلك .

(٣) التجميش : المداعبة .

(٤) الجرد : القصيرة الشعر وهو مدح في الحبل . والسلاهب : الطويلة على وجه الأرض والعسالة :  
الرماح المضطربة لانيها ؛ والذبل : جمع ذابل على غير قياس لضمورها وهو مستحب فيها ،  
والضمير في المعطى : لسيف الدولة .

(٥) الذخيرة - ١ - ٣٢٠

(٦) أبو منصور : عبد الملك الثعالبي ؛ صاحب يتيمة الدهر .

بما في تضاعيف هذا التصنيف من الشذور ، لما كان عنده « ابن وشمكير » (١) ،  
بمذكور ، ولا أغرب بغرائب « صاحب » ، ولا يديع « البديع » .  
(٣) أن يكون بالجل القصيرة ، كقول المتنبي في سيف الدولة من  
القصيدة المتقدمة .

أقل . أنل . أقطع . أحمل . عل . سل . أعد  
زد . هـش . بش . تفضل . أدن . سر . صل  
ونحب أن نقف قليلا عند هذا البيت بخاصة ، لما يتعلق به من قصة ،  
فقد كان المظنون : أن سيف الدولة - وهو شاعر وناقد أريب - ألا يطرب  
لمثله ، ولكن يظهر أنه اهتز للديع ، ولم يلق باله إلى القالب الذي أفرغ فيه .  
فقد روى الثعالبى (٢) : أن سيف الدولة لما تناول من المتنبي نسخة  
القصيدة ، وانتهى إلى هذا البيت : « وقع تحت أقل » : قد أقلناك ، وتحت  
« أنل » : يحمل إليه من الدراهم كذا ، وتحت « أقطع » : قد أقطعناك الضيعة  
الفلانية « ضيعة باب حلب » وتحت « حمل » : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت  
« عل » « من التعلية » : قد فعلنا ، وتحت « أدن » : قد أدنيناك ، وتحت « سر »  
بالضم : قد سررناك ، وتحت « صل » « من الصلة » : قد فعلنا .  
وقد فهم سيف الدولة من قوله : « سر » : أنه من السرور ، فقال :  
قد سررناك .

ولكن المتنبي - كما يروى ابن جنى - كان يريد : « سر » بفتح السين وكسر  
الراء المشددة من الشرية .  
فأمر له سيف الدولة بجارية .

ويذكر ابن جنى أيضاً : أنه كان في حضرة سيف الدولة شيخ ظريف

(١) ابن وشمكير : هو الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير من أدباء طبرستان .

(٣) البيتة — ١ — ٩١

يدعى « المعقل » الحسد المتنبي على ماناله ، فقال لسيف الدولة : يا مولاي ؟  
قد فعلت به كل شيء سألك إياه ، فهلا وقعت تحت هش بش : هي هي هي ،  
ويحكي صوت الضحك ، ١١

فضحك سيف الدولة ، وقال له : ولك أيضاً ماتحب ١١  
وأمر له بصلة .

وسواء أكان المعقل حاسداً أم بريئاً من الحسد ، فما لاشك فيه أن نبيل  
المتنبي مانال من تكريم مادي وأدبي بهذا البيت الفسل ، من شأنه أن يثير  
الحسد من الأعماق ١١

ولكن يخيّل إلى : أن هذا الشيخ الظريف ، أراد من هذه الهاهأة معنى  
لم يدركه ابن جني ، ولا سيف الدولة نفسه .  
أغلب الظن : أنه أراد أن يضحك من الأمير ، لارتياحه إلى هذا البيت  
السخيف ، ومن شاعر الأمير الذي لا يستحي أن ينطق بهذا الشعر المشاكل  
لرُقي الحيات ١

على أن لنا أن نعتقد : أن سيف الدولة - ونحن نقدر مكانته الأدبية -  
قد أجاز المتنبي على القصيدة لا على هذا البيت وحده ، وأن هذا البيت  
لم يكن إلا مظهر من مظاهر اهتزاز هذا الشعر ، فسجل ارتياحه له بهذه  
الصلات السنية المترادفة ، تحقيقاً لأمل الشاعر فيه ، ففي الحق : أن سائر  
القصيدة من سوا من الشعر ومذمباته ، وأن هذه الأعطيات - مع نفاستها -  
فانية في جنب هذه المباح الخالدة ١١

ويذهب القاضي الجرجاني في الوساطة (١) ، إلى أن المتنبي في هذا البيت  
نسج على منوال ديك الجن في قوله المتقدم .

---

(١) رقي الحيات : يضرب مثلاً لشيئين متضادين : الكلام الطويل الذي لا يفهم ، والكلام  
الدين اللطيف ، والمراد : الأول .

أحلّ ، وامرر ، وضرّ ، وانفّع ، ولنّ ، واخشن  
ورشّ ، وابّر ، وانتدبّ للعالي  
وأنا أخالفه في هذا الرأي ، فهذا النوع أقلّ من أن يتنافس فيه  
المتنافسون ، وأحقر من أن يوصف : بأن شاعراً نسج فيه على منوال شاعر  
آخر ١١٠٠

فليس هو ضرباً من الأخذ الحفي أو الظاهر ، وليس هو بما يصح أن  
يصب فيه الشاعر على قالب الشاعر ، ويقع بينهما التفاضل من أجله .  
والشاعر لا يتكلف فيه أكثر من الإتيان بسلسلة من الأفعال أو  
الاسماء معطوفة أو غير معطوفة ، وهو أيسر شيء وأهونه عليه .  
والشعراء في عهد « القرزمة » (١) يفزعون إليه كثيراً ؛ لسهولة نظمه  
وقلة المثونة فيه .

على أن هذا النوع يعدّ لازمة من لوازم المتنبي الكثيرة — ولكل  
شاعر لوازم — فقارى ديوانه يرى أنه أكثر منه ، وبخاصة في زمن الصبا  
فهو حري أن يقال فيه : إنه يقلد في ذلك « بالفتح » ، لا أنه يقلد .  
فمن ذلك قوله في صباه — يمدح محمد بن عبيد الله العلوى — :  
أطعنّها بالقناة ، أضربنها بالسيف ، جججها ، مسودّها  
أفرسها فارساً ، وأطولها باعاً ، ومغوارها ، وسيدها  
شمس ضحاها ، هلال ليلتها دُرّ تقاصيرها ، زبر جدّها (٣)  
وقوله أيضاً في صباه — يمدح عبيد الله بن خلّكان — :

---

(١) القرزمة بفتح القاف : الإتيان بالشعر الرديء والقرزام بالكسر : الشاعر الدون  
وكذلك القرزوم كمصفور .  
(٢) الججج بالفتح : السيد الشريف . والمسود : الذى جعله قومه سيّدا .  
(٣) التقاصير : الفلائد اللاصقة بالعنق ؛ جمع تقصير وتقصارة بكسر التاء ، والزبرجد :  
حجر كريم .

دانٍ . بعيد . محب . مبعوض . بهج  
 أغرّ . حلو . مُمرّ . آيٍ . شرس<sup>(١)</sup>  
 ندرٍ . أبى . غرٍ . وافي . أخى . ثقة  
 جعد . سرى . نه . ندب . رضى . ندس<sup>(٢)</sup>  
 وقوله من غزل قصيدة — يمدح بها على بن منصور الحاجب — :  
 الناعماتُ . القاتلات . المُحييات . المبديات من الدلال غرائبها  
 ثم قال من مدح القصيدة :

إن تلقه لا تلق إلا جحفاً أو قسطلاً . أو طاعناً . أو ضارباً<sup>(٣)</sup>  
 أو هارباً . أو طالباً . أو راغباً أو راهباً ، أو هالكا ، أو نادباً  
 وقوله فى آل بويه :

قدروا . عفوا . وعدوا . وفوا . سُئلوا  
 أغفوا . علوا . أعلوا . ولوا . عدلوا<sup>(٤)</sup>  
 وقوله من قصيدة — يمدح بها شجاع بن محمد الطائي — :  
 عدوية . بدوية . من دونها سلب النفوس . ونازح رب توقد<sup>(٥)</sup>  
 وهو اجل . وصواهل ، ومناصل وذواجل ، وتوعد ، وتهدد<sup>(٦)</sup>

---

(١) البهج : الفرح . والممر : المر على أعدائه . والفرس : الصعب الخلق على خصومه .  
 (٢) الندى : الجواد . والغرى : الحسن وأصله بتشديد الياء . والجعد : الكريم والنهى : العاقل .  
 والندب : السريع . والرضى : المرصى الخلق . والندس : الذكى .  
 (٣) الجحفل : الجيش الكثير . والقسطل : غبار الحرب .  
 (٤) أى قدروا لعفوا وهكذا بترتيب كل ثان من الأفعال على ما تقدمه .  
 (٥) عدوية : نسبة إلى بى عدى . وبدوية : نسبة إلى البادية أو البدو على غير قياس .  
 (٦) الهواجل : الفلوات لا أعلم لها جمع هو جل ككوتر . والصواهل : الخيول . والمناصل :  
 السيوف . والذواجل : الرماح .

وقد ذكر ابن رشيق وابن بسام<sup>(١)</sup> : أن المتنبي زاد في هذا وتباغض حتى صنع ما سماه ابن وكيع : رقية العقرب في قوله :

عش . ابق . اسم . سد . قد . جد  
مر . انه . ره . فه . أسر . نل  
غظ . ارم . صب . احم . اغز . اسب  
زع . زع . د . ل . اثن . بل

وقد تطوع ابن رشيق بشرحها ؛ لأنه لا بد من شرحها — كما قال —  
والشرح كما يلي :

عش . ابق : « دعاء له بالعيش والبقاء » . اسم : من السمو . سد : من  
السيادة : « أى دم هكذا » . قد : من قود الخيل . جد : من الجود والسماح ،  
أو من الجود بوزن قول ، وهو : المطر الغزير . مر : من الأمر . انه :  
من النهى . ره : من الورى بوزن : وعد ، وهو : داء فى الجوف : أى اصنع  
ذلك بأعدائك وحسادك . فه : من الوفاء . أسر : من سرى الليل : « يصفه  
بالعزم والغارات . نل : من النيل والإدراك : أى نل ما تحب . أو من  
الإعطاء ، يقال : نلته : إذا أعطيته . غظ : من غيظ الحسود . ويروى  
« بالعين » من الوعظ . ارم : من رمى العدو بالمكاييد وغيرها . صب : من  
صاب المطر والسهم . احم : من حميت المكان . اغز : من الغزو . اسب :  
من السبي . رع : من الروع . زع من وزعته : أى كففته . د : من الديه .  
ل : من الولاية للأمور . وقد يكون من الولي بوزن غنى ، وهو كل مطرة  
تجىء على أثر مطرة . اثن : من ثنى أضداده : إذا ردهم . بل : من الوابل ،  
وبلت السماء تبل : من باب وعد : أمطرت .

وهذه — كما يقول ابن رشيق — وقد صدق — غاية المقت والبغضة !!  
ولا خلاف أن هذا الشعر أقبح ما روى على الإطلاق فى هذا الباب !!



وأحسب أن المتنبي — إن صح ذلك عنه — كان يقوله على جهة  
المفاكهة والتندر ، لا أن يروى عنه ويحفظ ويؤثر ، ولعله بما يؤيد ذلك  
ما جاء في ديوانه (١) . من أنه سئل يبتا يضم أكثر ما يمكن من الحروف  
فقال

عش . ابق . اسم . سد . جد . قد . انه . اسر . فقه . تسل  
غظ . ارم . صب . حم . اغز ، اسب . روع زع دِل اثن يل (٣)  
وقيل لما أنشده قوله : أقل . أنل . أقطع . احم . عل . سل . أعد  
« البيت »

رأى قوما يعدون ألفاظه ، فزاد فيه مكان « أقطع » « أن . صن »  
وأن يضم الهمزة معناه : ارفق . ومكان « تفضل » : « هب . اغفر » فرآهم  
يستكثرون الحرف ، فقال هذا البيت .

وهذا دليل على أنه كان يقول أمثال ذلك للتفاصح والتفاخر ، ومكيدة  
الخصوم  
ثم قال بعده :

وهذا دعاء لو سكت كُفَيْتَهُ لَأَنَّى سَأَلْتَ اللَّهَ فَيَكْ وَقَدْ فَعَلَ (٢)  
وفي البيت اتفاق مع رواية ابن رشيق في أكثر الألفاظ ، إلا أن الشراح  
خالفوه في بعض ما ذهب إليه من ضبط بعض الألفاظ ، نحدث اختلاف  
في معناها تبعاً لذلك .

فمثلاً : اسر ، رواها ابن رشيق بكسر الهمزة والراء : أمر من سرى الليل  
وأجاز غيره ذلك ، كما أجاز : أن تكون من السروبوزن بدو ، وهو  
المروءة في سخاء ، فيكون الفعل : اسر بالضم مثل . أدع .

(١) العرف الطيب ٣٥٥

(٢) أي لو سكت عن هذا الدعاء لكانت في غنى عنه لأنى قد سألت الله لك هذه الأمور فحقها  
فأغناك عن دعائي .

ودفعه، جعلها ابن رشيق من الوفاء، فرواها بكسر الفاء، وجعلها الشراح من الكلام: أى فاه بالعطايا بضم الفاء نسألك حاجتنا.

وصب بكسر الصاد عند الشراح: من صاب السهم يصيب من باب باع لغة فى أصاب.

وعند ابن رشيق: من صاب السهم يصيب كما تقدم، ومن صاب المطر يصوب بضم الصاد، من باب قال يقول.

ومها يكن، فهذا اللون — كما ترى — قد أغرم به المتنبى، وولع به جهده.

وهو عندى من خمس شعره الردىء، الذى قال فيه ابن الأثير: إنه فى الغاية المتبقرة التى لا يعباها، وعدمها خير من وجودها، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها! فإنها هى التى ألبسته لباس الملام، وجعلت عرضه شارة لسهام الأقوال (١) ١١

فليس هو إذن مما قلد فيه غيره، وإن صح أنه تأثر فى ذلك شاعراً، فلن يكون غير أبى تمام، فقد ركب قبله هذا المركب الخشن، وهو فيه أقبح من المتنبى، لأنه يزيد عليه الغرابة والحوشية.

وقد جاءت له فى قصيدة واحدة فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى، مطلعها: ما كئيب الحمى إلى عَقْدَه ما بال جرعائه إلى جَرْدَه (٢) أنواع من هذا التعسف المقيت، لا مزيد عليه فى الهجئة! فقال منها — يصف سنام الجمل — :

(١) المثل السائر — ٢١٤

(٢) القيد بفتح القاف وكسرهما: التراكم من الرمل. والجرعاء من معانيها: الرملة الطيبة. المنبت لاوعونة فيها. والجرد محركة: فضاء لا نبات فيه.

تامكة . نهده . مُدَاخِلَه ملبومه مُحزَلَّة . أَجْدَه (١)  
ويصف الرمح فيقول :

مارِنَه . ائْدَنَه . مثْقَفَه عرَّاصَه في الأَكْف . مُطَّرَدَه (٢)  
ثم يقول في الممدوح — مشَّجها له بالسحاب — :  
مُسَهَّه . ثُرَّه . مَسْحَسِحِه . وابَّله . مَسْهَلَّه . بَرَدَه (٣)

وقد كفانا ابن الأثير. نقد هذه الآيات ، فقال في الأول : إنه من المعازلة  
التي : يعد قلع الأسنان دون إيرادها .

وقال في الثاني : وهذا كالأول في قبجه وثقله ، فقائله الله !! ما أمتن  
شعره ، وما أسخفه في بعض الأحوال !! .

وقال عقب إيراد الثالث : لو لم يكن لأبي تمام من القبح الشنيع إلا هذه  
الآيات ، لحطت من قدره (٤) .

وقد صدق ابن الأثير ، فإن شيطان أبي تمام لم يكن له ناصحاً في هذه  
الآيات .

وأكثر هذا الالتواء والتعقيد والتنافر ، يسقط له حين يفارق طبعه  
الأصيل ، إلى تمويه ديباجته بهذا التصنيع .

هذا ، وليس معنى قولنا -- فيما مضى -- : إن التفويف من لوازم  
المتنبي : أن جميع ما أتى به قبيح ، فمن الإنصاف أن نقول : إن كثيراً مما وقع  
له يتسم بالجودة ، وقد مر بعضه في التمثيل للنوع الجيد .

---

(١) النامك : الطويل المرتفع المكتنز . والنهد : المرتفع . والمحزئل بوزن مقشعر : المرتفع  
في السير . والأجد بضمهتين : وصف حاس بالنوف ؛ وهي القوة المؤثرة الملقى ، المتصلة فقرات الظاهر

(٢) المارن : الصاب اللدن . والعراس كشداد : اللس .

(٣) المسف : الدافئ . والثر بفتح الثاء وتشديد الراء : الفزير . والمسحسح بصيغة اسم  
الفاعل : الشديد .

(٤) المثل السائر -- ١٢٠ .

ومن ذلك الحسن المطبوع : قوله في سيف الدولة :

الشمس من 'حساده ، والنصر من قرنايه ، والسيف من أسمائه  
أين الثلاثة من ثلاثٍ خلاله من حسنه ، وإبائه، ومضائه  
فانظر إلى هذا التقسيم الجميل ، الذي قرن فيه كل ألف يالقه ، ثم أتى  
إلى هذه المفاضلة التي ترجع كل مزية إلى نوعها المختص بها ، والتي هي أظهر  
شيء فيه .

وقوله :

فتاة تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الدرئ في الحسن والنظم<sup>(١)</sup>  
ونسكتها ، والمندلي ، وقرقف معتقة صهباء في الريح والطمع<sup>(٢)</sup>

وقوله في علي بن إبراهيم التنوخي :

فليس بواهب إلا كثيراً وليس بقاتل إلا قريباً<sup>(٣)</sup>  
وعليّ ، ليس يمنع من مجيء مبارزه ، ويمنعه الرجوعا  
وعليّ ، قاتل البطل المقتدى ومبدله من الزرد النجيعا<sup>(٤)</sup>

وقوله في ابني عضد الدولة البويهى :

ولم أر قبله شبلي هزبر كشبليه ، ولا مهرى رهان  
أشد تنازعاً لكريم أصل وأشبه منظرا بأب هيجان<sup>(٥)</sup>

(١) المبسم بكسر السين : الفم.

(٢) النكبة : رائحة الفم. والمندلي بفتح الميم والذال : عطري ينسب إلى المندل من بلاد الهند.  
والقرقف بفتح القافين ، وكعصفور : الخمر يرد منها شاربها. والصهباء : الحمراء إلى البياض.

(٣) القرع : السيد العريف.

(٤) النجيع : دم الجوف

(٥) التنازع : التجاذب. والهجان بالكسر : الحاصل الصريح .

وأكثرَ في مجالسه استماعاً فلان دقَّ رحا في فلان  
وقوله في المغنيث العجلى :

جاءت بأشجع من يُسَمَّى ، وأسمح من  
أعطى ، وأبلغ من أُملى ومن كُتِبَا (١)  
لو حلَّ خاطُره في نمة - ع - لمشى  
أو جاهل لصحا ، أو أخرس خطبا

والبجترى في هذا النوع سابق لا يجارى ، وله فيه آيات سوائر ، تعكس  
ما تميز به من تدفق الطبع ، ورقة التعبير ، ودماثة الأسلوب ، وأناقة الديباجة  
وصفائها ، وتأخى الكلمات وتوازنها ، في أجراس مطردة عذبة مطربة  
كوسواس الحلى ، وبغام الأطباء ، وهديل الحمام ، وشدو العنادل ١١ .

فن ذلك قوله في الغزل :

لى حبيب قد جَّ في الحجر جدا وأعاد الصدود منه وأبدى  
يتأبى منعا ، وينعم إسعا فا ، ويدنو وصلا ، ويبعد صدا  
أترانى مستبدلا بك - ما عشت - بديلا ، أو واجدا منك بدا  
حاش لله ! أنت أفتن ألفا ظا ، وأحلى شكلا ، وأحسن قدّا  
وقوله - يمدح المعتر - :

أصبحت رتبة الخلافة للمعتر بالله منزلا ومحلا  
ملك ما بدا لعينك إلا قلت : بحر طهما ، وبدر تجلى  
يا جمال الدنيا سناء ومجدا وثمال الدنيا عطاء وبذلا (٢)  
كلما حصلت مساعى قریش طبت فرعا في مفتاها وأصلا (٣)

(١) الضمير في « جاءت » للمحبوبة التي جاءت برجل هذه صفاته .

(٢) الثمال بالكسر: الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

(٣) المساعى: المكارم والمعالى فى المجد . والمنشى: النسب .

بين عم النبي والحبر والسجّاد والكامل الذي بان فضلاً<sup>(١)</sup>  
لهم زمزم ، وأفنية الكعبة والحجر، والصفا، والمُصلّى<sup>(٢)</sup>  
قد طلبنا فلم نجد لك في الشؤ دُد والمجد والمكارم مثلاً  
أنت أُندي كفاً، وأشرف أخلاً قا، وأزكى قولاً، وأكرم فعلاً

ولشعراء الأندلس ولوع بالتفويف، ويظهر ذلك بخاصة في شعر ابن  
زيدون وابن دراج القسطلی .

فمن قول ابن زيدون :

والحلم يرسخ هضبه والعلم يز  
سخر بحره ، ولطى الذكا يتضرّم  
بردت ظلال ، ذارك وأحلوّلى جنى  
نعماك لى ، وصفت جمام تذاك  
تتم به النعمى : وتتسبك المنى  
وتستدفع البلوى ، ويستقبل الصبر  
فما آثر الأولى ولا قلّد الحجا  
ولا شكر النعمى ، ولا حفظ اليدا  
صمصام بادرة ، وطود سكينه  
وجواد غايات ، وجذل حكاك  
لى الله أوّاب ، والله خائف  
وبالله مُعتدّ ، وفى الله مُشتدّ

---

(١) يقصد المباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وحفيده على بن عبد الله.

(٢) الحجر بالكسر: ماحواه العظيم المدار بالكعبة من جانب الشمال.

سَجِيَّتِهِ الْحُسْنَى ، وَشَيْمَتِهِ الرِّضَا  
 وَسِيرَتِهِ الْمُثَلَّى ، وَمَذْهَبِهِ الْقَصْدُ  
 غَمَامٌ يُظِلُّ ، وَشَمْسٌ تُنِيرُ  
 وَبَحْرٌ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ  
 قَسَمِ الْحَيَاةِ ، ضَحْوَكَ التَّسْلِيحِ  
 لَطِيفِ الْحَوَارِ ، أَدِيبِ الْجَدَلِ  
 قَرَرْتَ بِهِ عَيْنَا فِكْمٍ سَادَ عِثْرَتُهُ  
 وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانَا ، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدَا  
 مَحْضِ التَّقَى ، عَفَّ الْهَوَى  
 غَمَرُ النَّدَى ، صَدَقَ الْجَادُ  
 فَابْقِيَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ  
 بَعْضُ حُرَّاسِ كَوَاحِيهَا الْقَدَرُ  
 مُسْتَبْدِلِي مَنْ طَغَا مُسْتَأْصَلِي  
 شَافَةِ الْبَاغِي ، مُقْبِلِي مِنْ عَمْرِ  
 عَلَمِي مَنْ ضَلَّ ، مُزْنِي مَنْ شَكَ  
 نُحْلَةَ الْإِحْمَالِ ، بَدْرِي مَنْ نَظَرَ  
 طَرِيقَتَكُمْ مُثَلَّى ، وَهَدْيَكُمْ رِضَا  
 وَمَذْهَبَكُمْ قَصْدُ ، وَنَائِلَكُمْ غَمَرُ  
 بِالْقَدَرِ يَنْبُعِدُ ، وَالتَّوَاضِعِ يَنْبَغِي  
 وَالبَشَرِ يُشْمِسُ ، وَالنَّدَى يَتَغَيَّمُ  
 لَقَدْ جَدَّ لِمَخْبَاتٍ ، وَحَقَّ تَبَتُّلُ  
 وَبَالِغَ إِخْلَاصٍ ، وَصَحَّ مَتَابُ

والى هنا يمكن أن نقول إن هذا التفويف من النوع الجيد ، وفيه خصائص ابن زيدون من حلاوة اللفظ ، وطلاوة الأسلوب ، وبهاء الديباجة ، ونصاعة المعنى ، وبعده من الغموض واللبس ؛ لأنه استمد من طبيعه ، واستقاه من قريحته ، ولم يقلد فيه المشاركة .

ولكن له نوع آخر نظر فيه إلى صنعة المتنبي فجاء غثا جها ثقيلًا ١١  
اسمع قوله :

أَجْرٌ ، أَعْدٌ ، آمَنٌ ، أَحْسَنٌ ، أَبْدَأُ ، عَدٌ ، أَكْفٌ ، حَطٌ  
تَجَفَّفٌ ، بَسْطٌ ، اسْتَأْلَفٌ ، حُصْنٌ ، أَحْمٌ ، اصْنَعُ ، أَعْلُ  
وقوله :

تَهٌ ، احْتَمَلٌ ، وَاسْتَطَلٌ ، أَصْبَرٌ ، وَعَزٌّ ، أَهْنٌ  
وَوَلٌّ ، أَقْبَلٌ ، وَقُلٌّ : أَسْمَعُ ، وَمُرٌّ : أَطْعُ  
ويقول ابن دراج القسطل :

عطاء بلا مَنٌ ، وحكم بلا هوى  
وَمُتْلِكٌ بلا كِبَرٍ ، وعزٌّ بلا حُجْبٍ  
وبالخير فتاح ، وبالخير عائد  
وبالخير طعان ، وللخير طعان  
حَرَمٌ الهدى سُمُّ العدا ، أمنيّة  
لمسلم ، ومنيّة لمحارب  
فهاؤه في نعله ، وذكاءه  
في رمحهِ ، ومضاؤه في سهمهِ  
حياء ، وحلم ، وفضل ، وعدل  
وعطف ، وعفو ، وبأس وجود



- ٨٨ -

غيث سحاب ، وغيث جود  
 وطيب عارف ، وطيب ذكر  
 فغفروا لهم جهدي ، وحلوا لهم مرّي  
 وصفوا لهم طرق ، ويؤسروا لهم عُسرى  
 فأودق بالحسنى ، وأغدق بالمنى  
 وأثمر بالنعمى ، وأجزل بالصنع  
 وتوجّ من تاج ، وألبس من حلى  
 وقلّد من سيف ، ودّرّع من درع  
 بما رشيت من سهمى وأيدت من يدي  
 وجلّيت من ضرّي ، وأدّيت من نفعى  
 ولن مناه أن تعيش مؤيّدا  
 ومؤيّدا ، ومؤمّنا ، ومؤمّنا  
 ومعظّما ، ومكرما ، ومحكما  
 ومسلما ، ومغنّما ، وممكّنا  
 وفي كل ذكر ، ونحر ، ونشر  
 وشكر ، وشعر ، وشهد ، وشاد  
 فكان الحسام ، وكنت السنان  
 وكان الشعار ، وكنت الدثارا  
 فصنت العلا ، وأبجت الندى  
 وحطّبت الهدى ، وحمّيت الذمارا

فتركت حزبَ الشُّرك بين مصرِّع  
ومعقِّر ، ومجدِّل ، وممرِّمَل  
وثنيت حزب الدين بين مملِّك  
ومظفِّر ، ومغنِّم ، ومنقِّل  
بكرائم لم تُنمِّتْهُن ، وعقائل  
لم تُمثِّل ، ومصونة لم تُنبذل  
فيافتحا المفتوح وبُشرى  
لمنتظر ، ويا مَرأى لراء  
وسنَّيْهَا ، وعليَّها وزكَّيَّها  
وحليمها ، وكريمها ، وجوادها  
المسرَّعون إلى الندى ، والطائرو  
ن إلى الوغى ، والراجحون حلوما  
فغش ، ودم ، وأبق ، واملك ، واقتبل نعماً  
واحلل منيعاً من المكروه مُنتزحاً

ومن تفويف ابن حديس :

فانصر . وافخر . وأدّر . وأشبر  
وأبر . وأجر . وأغر . وسد

رأى الحموى فى التفويف :

للحموى فى التفويف رأى يحسن أن نوره ، ليقف عليه الدارس ،  
ولأنه بما تلذ مناقشته .

يقول : تأملته — يعنى التفويف — فوجدته نوعاً لم يفد غير إرشاد

ناظمه إلى طرق العقادة — يريد التعقيد — والشاعر إذا كان معنوياً — يقصد أنه يعنى بالمعنى — وتجشم مشاقه ، تقصر يده عن التناول إلى اختراع معنى من المعانى الغريبة ، وتجفوه حسان الألفاظ ، ولم يعطف عليه برقها ، وتألف كل قرينة صالحة أن تسكن له بيتاً .

ثم هو يرى أن يجيئه بالجميل القصار أحسن وأبلغ وأصعب مسلكاً (١) . وأول ما نأخذه على رأيه : أنه يتصف بالتعميم ، فليس التفويف دائماً يسوق إلى العيوب التى ذكرها .

وليس كل ما جاء منه لحقته هذه العيوب ، فهو نوع من الكلام يأتي حيناً حسناً ، وحيناً قبيحاً ، وتارة طبعاً ، وآخرى عصياً ، بحسب صياغته وتأليفه ، وموقعه من الكلام ، وبحسب قوة الشاعر وضعفه ، وتحليقه وإسفافه ، والحكم عليه فرع عن تلك الأحوال .

وقد تأملته — كما تأمله الخوى — فوجدته يحسن بأشياء :

١ — ألا يطول حتى لا يثنى الأذن عن تتبعه ، ويصد الفكر عن ملاحقته ، إلا أن يستدعى المعنى ذلك اكقول البحترى :

قف مشوقاً ، أو مسعداً ، أو حزيناً أو معيناً ، أو عاذراً ، أو عذولاً  
فلا شك أن التفويف هنا طويل ، ولكن الذى حسنه ، بل قصره : أن هذه الألفاظ كلها مما يحتاج إليها فى هذا الموقف ، موقف الصب المغرم المقيم ، فلم يدار أحبابه بعد أن فارقها زمناً طويلاً ، فيقف ويستوقف صاحبه معه ، حتى يحدث بها عهداً ، ويطبق غليل الشوق إليها وإلى سكانها ١١

فلا معدى للبحترى إذن عن استخدام هذه السلسلة الذهبية من الألفاظ حين أراد أن يتقصى موقف رفيقه ، ومسعده على بلواه

ولامعدي لهذا الرفيق المسعد عن لباس حال من تلك الحالات السقي  
صورها الشاعر ، وترك له الحرية التامة في اختيار إحداها كما يطيب له .

فليس في هذا البيت — على طوله — لفظة يحسن اطرأها ، لأنها لغو  
أو فضول أو حشو أو تطويل .

وربما قيل : إن «مسعداً» و «معيناً» لفظان مترادفان .

ويسهل الجواب : بأن الإسعاد أخص ، لأنه أكثر ما يستعمل في النوح  
والبكاء ، وأما الإعانة فتنعم كل مساعدة .

وكذلك قول المتنبي :

الخييل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
فكل لفظة من هذه الألفاظ تعرف الشاعر ولا تنكره ، وتمت إليه  
يسبب وثيق ، فلم يكذب المتنبي في إيراد واحدة منها .

فهو شاعر يمتطي الخيل ، وشجاع يركب الليل ، ومغامر يعتسف  
الفلوات ، ومحارب يضرب بالسيف ، ويطعن بالرمح ، وشاعر يصطنع  
القرطاس والقلم .

وفي هذا البيت يقول ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا  
البيت ، ولكن لم يجتمع مثله في بيت ما عليت .

وقال البحرى :

اطلبها ثالثاً سواي فإنى رابع العيس والدجى والبيد

وهذا اللفظ عذب ، ولكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي<sup>(١)</sup>

٢ — أن تكون الكلمات متلازمة في ألفاظها أو معانيها ، أو موضوعها

ولإلا كانت سرداً بلا ضابط ولا حساب .

فنحن نشعر بالصلة القوية بين أجزاء هذا البيت من قصيدة لأبي طالب في ابن أخيه الرسول الكريم<sup>(١)</sup> :

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل<sup>(٢)</sup>  
فمعانيه كلها تدور حول النفس الموسومة بالخير، النبيلة النزعة ، الميمونة الطالع ، المرجوة النفع ، يكشف بركتها السكر العام والخاص .

وفي قول حسان — يمدح آل جفنه الغساسنة — وقد ذكروا — :  
أنه أمدح بيت قالته العرب<sup>(٣)</sup> — :

بيض الوجوة كريمة أحسابهم مُشمُّ الأنوف من الطِّراز الأول<sup>(٤)</sup>  
فإن نباهة الذكر ، وشرف الأعراق ، وعزة الأنفس ، ورفعة المراتب كلها من بابة واحدة ، ولكنك حينما تقرأ قول المتنبي :

منعمة . مُمنّعة . رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا<sup>(٥)</sup>  
يبدو لك أن لفظة « رداح » نائية عن مقرها ، قلقلة في موضعها : لأننا نعرف من سياق القصيدة : أنه لا ينسب بامرأه معينة هذه صفتها ، حتى يقال : إنه يذكر الحقيقة ، وأن هذه بعض سمات جسدها ، ولكنها لفظة عابرة جاءها لوزن البيت ، وليست أولى بهذه المرأة من « عروب » و « شموع »

(١) المواهب الفتحية — ١ — ١٤٤

(٢) أبيض مطوف على « سيد » المنسوب بالمصدر في البيت قبله ؛ « وماترك قوم لأبالك سيداً . . . » هكذا أعربه الزركشى في نكته على البخارى ، وقال لا يجوز غيره وتبعه ابن حجر في فتح البارى والدمامى ، وجعله ابن هشام في المغنى مجروراً برب مقدرة ، وأنها للتقليل والمعنى ليس عليه . والمثال بالكسر : العماد والملجأ والمعلم والمكاف .

(٣) ديوان المعاني — ١ — ٣٧

(٤) بياض الوجوه : مشهورون نبهاء ، وليس المراد البياض المعروف .

(٥) الرداح بفتح الراء : الثغيلة الأوراك .

وه قطوف،<sup>(١)</sup> مما يأتي على وزنها، إذ ليس حتماً أن تكون كل معشوقة رداها.

وهذا بخلاف قول البحترى :

بنت كثرم يُديرها ثم رَهَفَ القَدَمَ غرير الصَّبَا خضيب البنان<sup>(٢)</sup>  
لأن غرارة الصببا تستتبع ما قبلها من رهافة القَدَمِ، وما بعدها من خضاب البنان.

فهذه المحاسن متلازمة، يأخذ بعضها بأعناق بعض، وجميعها من صفات النواشيء الصغيرات السكواعب.

ثم استمع إلى قول المتنبي في ابن العميد :

عربيٌّ لسانه . فلسفيٌّ رأيه . فارسيّة أعياده

تجد هذه الصفات، قد لأم بينها اجتماعها في الممدوح، فالبيت تصوير دقيق موجز لابن العميد في فصاحة لسانه، وحصافة رأيه، وعظم نعمته ورفاهيته، فلا يبعد من يقول : إن هذا البيت هو ابن العميد حساً ومعنى .  
(٣) ألا يتكرر في أبيات على الولاء، وبخاصة في النوع الطويل منه الذي يتألف من الكلمات القصيرة، حتى لا يجلب السآمة والملل، ويوحى بالتكلف، بل الأعم الأغلب في مثل هذا لا يجيء إلا متكلفاً، لأن الحاطر يتعاضله أن يقذف بعدد من الكلمات المفردة على شرط التلاؤم والتعادل دفعة واحدة، فلا سبيل للشاعر إلا أن يتصيد الألفاظ، ويرصها رصاً آلياً استكمالاً للوزن الشعري، وهذا هو التمسك بعينه، كقول المتنبي — يمدح عبد الواحد بن العباس الكاتب — :

(١) المروب كمروس : المتحبة إلى زوجها . والشموع كمروس أيضاً : المزاحة للعب .  
والقطوف بفتح القاف : الضيقة المشى .  
(٢) غرير الصبا : ناشيء غافل ناعم .

الحازم . اليسقط . الأغر . العالم . الفطن  
الألد . الأريحي . الأروعا<sup>(١)</sup>

فلم يكتب بهذا البيت حتى قفّى عليه بقوله :

الكاتب . اللبّق . الخطيب . الواهب . النّدى

الليّب . الهبرزى . المصنّف<sup>(٢)</sup>

فهذان بيتان جاءا على التوالي فبلغا غاية السّماجة ، وأحسب أن « صبي  
المكتب » - إذا كان ملماً بأوزان العروض - لا يعر عليه أن يأتى  
بمثلهما أو أحسن منهما بل أستطيع أن أزعم أن نسبة « مجموع المتون »  
إلى الشعر أصح من نسبتها .

ولا شك أن القارىء يحس أول وهلة : أن المنبى لم يحشد هذه الكلمات  
استقراء لصفات الممدوح ، ولكن توصلاً للوزن .

وهب هذه الصفات اجتمعت فى الممدوح - واجتماعها عسير - فقد  
كان حسن الذوق ، ومراعاة البراعة ، تقضى بإتيانها ملماً فى تضاعيف  
القصيدة حتى يخف وقعها على الأذن .

وقد استتبع هذا الرّكام من الألفاظ أشياء أخرى محظورة ، ما كان أغنى  
الشاعر عنها !

فقد اضطر أن يردد المعنى بألفاظ مترادفة أو قريبة من الترادف دون  
حاجة إلى ذلك ، كالندس والليّب ، والواهب والأريحي .

وأن يجلب ألفاظاً غريبة حوشية ؛ كالندس والهبرزى .

---

(١) نصب الحازم وما بعده بتقدير عامل محذوف : أمدح أو أعى . والأغر : المشهور ،  
ويروى الأعز . والألد : الشديد الخصومة والأريحي : الواسع الصدر الذى يراح للمعروف والكريم .  
والأروع : من يعجبك بجماله أو شجاعته .

(٢) النّدى بفتح فـ : الفطن : والهبرزى بكسر الهاء والراء : الجميل الوسيم ؛ وقيل :  
السيد الكريم . والمصنّف : الخطيب البليغ .

وأن يباين المناسبة بين الألفاظ حتى أصبحت كالضرائر ، فالألد - على الأقل - فقدت شكلها وإلفها في البيت الأول .

والخطيب والواهب لا يجمعها قران .

والواهب تنسك مكانها بين الخطيب والندس .

والمصنع موقعها المختار بعد الخطيب ، فجاءت قسراً بعد الهبرزى .

هذا إلى الطول الفاحش في البيتين ، فقد احتضنا ست عشرة لفظة ، اسكل بيت ثمان منها .

ولعل براعة المتنبي هنا ظهرت في هذا التوزيع العادل بين البيتين .

ولكن تأمل كيف يرى البحترى من هذه العيوب في مدحه الفتح ابن خاقان :

إفضال «فتح» على «جسم» ونيل «فتح» لدى «غمر» (١)

المنعم المفضل المرجى والأبلج الأزهر الأغمر (٢)

فقد تألف هذا البيت الأخير من كلمات منظومة في نسقها المتعين لها ، وكان كل لفظة فيه تمهيد لتاليها ، وفرش لها ، ولإيدان بها ، ومناداة عليها

بقى الشق الثانى من رأى الحموى : وهو : أن أحسن هذا النوع : ما يأتى باللفظ القصير .

ومقطع الحق في هذا : أن حسنه لا يتعلق بالطول ولا بالقصر — كما رأينا — بل باستيفاء الشروط الموجبة للحسن .

وإن كان لابد من المقاضلة ، فرأينا أن ما جاء بالكلم الطوال أحسن ،

(١) النيل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٢) الأبلج : المضيء الواضح . والأزهر : المشرق الوجه ، والأغمر : الشريف الكريم الأعمال الواضحة .



لأن فيها معافاة من التكلف والتكرار ، وفقد الانسجام وبعداً عما سماه ابن الأثير «المعاظلة اللفظية» (١) وسماه غيره «التنافر» .

وهو - كما نعرف - يذهب بفصاحة الكلام ، ويخليه من الرونق والماء .

وكثير من أمثلة التنافر منتزع من هذا النوع القصير السكيات .

ومن النوع الذى حالف المتنبي فيه التوفيق ، وقد سماه الشعالي : حسن سياقة الأعداد (٢) — وقد سبق ذكره - قوله :

على ذامضى الناس : اجتماعٌ وفرقة وميت ، ومولود ، وقال ، وواق  
وقوله :

ألا أيها السيف الذى ليس مُعَصِّداً ولا فيه مراتب ، ولا منه عاصم  
هنيئاً لضرب الهام ، والمجد ، والعلل وراجيك ، والإسلام ، أنك سالم (٣)  
وقوله — من قصيدة يمدح بها سيف الدولة — :

وَرَبْ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ وَعَنَوَانُهُ لِلنَّاضِرِينَ قَتَامٌ (٤)  
حُرُوفٌ هِجَاءُ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ ، وَرَمَحُ ذَابِلٌ ، وَحَسَامٌ (٥)  
لما سمى الجيش جواباً : جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً  
واتساعاً فى الصنعة (٦) .

وقوله :

أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ، ولا وعد ولا مذل (٨)

(١) المثل السائر — ١١٩

(٢) البيهية — ١ — ١٦٨

(٣) القالى : المبعص . والوامق : الحب .

(٤) أنك سالم : فاعل هنيئاً أى هنيئاً لهذه المذكورات سلامتك . وهنيئاً : حال عذوفة العامل ؛ والأصل ثبت هنيئاً .

(٥) القتام : الغبار : أى يبيت الجيش ، بدلا عن الجواب فتكون عنوانه الغبار الثائر .

(٦) أى هذا الجيش مؤلف من هذه الحروف الثلاثة كما يتألف الكتاب من حروف الهجاء .

(٧) البيهية — ١ — ١٦٨

(٨) المذل : الحركة : الضجر والقلق .

وقوله :

بى حَرُّ شوق إلى ترشُّفها ينفصل الصبر حين يتصل<sup>(١)</sup>  
الشعر، والنحر، والمخمل، والمحصم دائى ، والفاسح الرجل<sup>(٢)</sup>  
وقوله :

ولكنَّ بالفسطاط بحرا أزرته حياى، ونصحى، والهوى، والقوافيا  
وقوله - يهجو كافورا من قصيدة له - :  
أمنينا ، وإخلافاً ، وغدرا ، وخسة

وجبنا ١١ أشخاصا - أحتلى - أم مخازيا ١٤<sup>(٣)</sup>

ومن مشهور التفويف: قول ابن درّاج القسطنطينى :

عطاء بلا منرٍ وحكم بلا هوّى ومالك بلا كبر ، وعزّ بلا عجب  
وقول ابن شرف القيروانى :

لختلنى الحاجات جمعٌ يبابه فهذا له فنٌ ، وهذا له فنٌ  
فللخامل العليسا ، وللعدم الغنى وللمذنب الثعثنى، وللخائف الأمن<sup>(٤)</sup>  
وقول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً سكرنا بها من قبل أن يخلّق الكرمُ  
يقولون لى : صفها ، فأنت بوصفها خير ، أجل عندى بأوصافها علم  
صفاء ولا ماء، ولطُف ولا هوّى ونور ولا نار ، وروح ولا جسم

(٣) يريد ترشف فم المحبوبة. والضمير فى « يتصل » يعود على الشوق . والمخلخل بهيمة  
اسم المفعول : مكان المخلخال .

(٤) الرجل يكسر الجيم : الشعر بين السبط والجعد .

(٥) المين : الكذب .

(٦) العتبى بالضم: الرضا ؛ تقول استعتبى فاعتبته أى أرضيعه .

وقول الثعالبي في وصف الريح :

ولما وهى من صيب المزن عقده وأقبل يروى غلالة الذببت بل يشفى  
رأيت به في الروض أعجب منظر يدل على صنع المهيمن ذى اللطف  
فيضحك بلا ثغر ، ونسج بلا يد وحلى بلا صوغ ، ودمع بلا طرف  
ولا يعيب قول ابن شرف وابن الفارض إلا قصر الممدود فيها لضرورة  
الشعر في « العلياء » و « الهوام » .

فإن هذه الضرورة — وإن جازت عروضاً — لا تجوز بلاغة ، وهى  
في هذا النوع من الكلام المترف الأنيق أقبح وأسمج ، والشاعر المتكبر المعتر  
بفنه ينأى عنها .

وقول الرستمى :

ففى حازرق الجند من كل جانب إليه ، وخلاسى كاهل الشكر ذا ثقل  
بعضو بلا كد ، وصفو بلا قذى ونقد بلا وعد ، ووعد بلا مظل<sup>(١)</sup>  
ويرى ابن رشيق<sup>(٢)</sup> : أن امرأ القيس هو فاتح هذا الباب للشعراء ، وأن  
أصل هذا كله قوله :

أفاد ، فجاد ، وشاد ، فزاد وقاد ، فزاد ، وعاد ، فأفضل  
ولبعض العصريين — من قصيدة — (٣) :

تولى زمان اللهو ياهند فاعذرى وأقصر عما كان من غيبه وعمر<sup>(٤)</sup>  
ألم تبصرى فودى تنفس صبحه وكان حبيبا للدثى ليلته العكير  
جنانه على رأسى زمان مدمم يشوب لنا صفو اللذائذ بالكدر  
ربيع ولا خصب ، وظل ولا ندى وماء ولا رى ، وروض ولا ممر

(١) النقد كضرب : إعطاء النقد .

(٢) العمدة — ٢ — ٢٥ .

(٣) ألحان الأصيل — ٢٩٧ .

(٤) أقصر عن الشيء : تركه قادرا عليه . وعمر : ابن أبى ربيعة على التشبيه .

ومن بدائع التفويف ما أوردناه سابقاً في وصف السحاب :

تسرّبل وشيا من مُخزوز تطرّزت مَطارِفها طُطرزا من البرق كالتمر  
فوشى بلا رقم ، ونقش بلا يد ودمع بلا عين ، وضحك بلا ثغر  
وقد عرض الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود لهذين البيتين بالنقد، فقال (١):  
تدرك من فورك : أن هذا الشاعر كاذب في شعوره ، يبحث عن اللفظ  
أولاً ، ثم يترك المعنى تابعاً ، والأصل أن يضطرب المعنى في ذهنه ، فيخرجه  
في ألفاظ ، فلم يتسرّبل السحاب وشياً من حرير مطرز ، وليس البرق تطريزاً  
ولا الرعد ضحكاً ، وكيف يكون ، وهو الذي ماسمعتة يدوى مرة إلا رأيت  
قلوب الناس تنخلع لدويه المخيف !

ولو قاله الشاعر يصف أصيلاً جميلاً هادئاً ، لجاز له أن يرى السحاب  
الخفيف المنتثر على صفحة السماء وشياً من الحرير المطرز ، ولكنه يصف  
السماء وقد زعزعتها العاصفة القاصفة برعدها وبرقها ، فمن كذب الشعر أن  
توحى إليه تلك الطبيعة الخشنة الغليظة بنعومة الحرير ، وزر كشة التطريز ،  
أو أن يوحى له الرعد بالضحك ، مع أنه أدنى إلى الزمجرة الغاضبة .

ويقول في موضع آخر ، فلا شك أن هذه كلها صور جميلة ، فالسحاب  
الذي لبس رداء من حرير ، والرداء الذي طرزه البرق ، والدمع الذي  
ينسكب من غير المحاجر ، ثم الضحك الذي تنحدر قهقهته من غير الأفواه  
كل هذه صور جميلة ، ولكنها تفسد المعنى ، لأنها لا تترك في القارى أثر  
السماء العاصفة يبرقها ورعدها (٢) .

ونلاحظ أن هذا النقد لا يخلو من التناقض ، فالناقد في كلامه الأخير  
يقرر جمال هذه الصور - وإن أفسدت المعنى في نظره - فيقول : فلا شك

(١) فنون الأدب — ١٢ .

(٢) فنون الأدب — ٧٨ .

أن هذه كلها صور جميلة، فالسحاب الذى يلبس رداء من حرير لؤلؤ، على حين يجرد هذه الصور نفسها من الجمال فى أول كلامه حيث يقول : فلم يتسربل السحاب وشياً من حرير مطرز ، وليس البرق تطريزاً لؤلؤ .

ومادامت هذه الأشياء لا تنسجم مع هذه الصفات والحلى التى أثبتتها لها الشاعر - ولو ادعاء - فقد فسد أساس الاستعارة ، وانتفى الجمال عنها جملة وتفصيلاً .

ويكون خلاصة ما رآه : أننا أمام منظر جميل وغير جميل فى وقت واحد !! ونلاحظ أيضاً غلواً فى قوله :- كل هذه صور جميلة، ولكنها تفسد المعنى - ذلك لأن جمال الصورة لا يتفق مع المعنى الفاسد ؛ إلا إذا صح أن يجعل ثوب الخنزير على حمار مثلاً !! والشاعر يقول :

ولو لبس الحمار ثياب خنزير      لقال الناس يالك من حمار  
فالمعنى هو الذى ينضح على الصورة بهذا الجمال؛ أو يمدّها على الأقل  
بكثير من عناصره .

وكون هذه الصور الجميلة «لا تترك فى نفوسنا أثر السماء العاصفة برقها ورعدها» كما يقول - لا يعد إفساداً للمعنى ، ولكن يصح أن توصف بأنها لاتنقل إلينا الحقيقة ، أو أنها غير صادقة الأداء .

ففساد المعنى يرجع إلى شيء آخر ؛ كالمغالطة فى الحقائق ، أو التناقض ، أو الإحالة ، أو فساد المقابلات ، وما إلى ذلك مما أخذه النقاد على الشعراء ، ودونوه فى أبحاثهم؛ كقول أبى نواس فى وصف الأسد :

كأنما عينه إذا نظرت      - بارزة الجفن - عينٌ مخنوق  
فوصف عين الأسد بالجحوظ ، وهى توصف بالغثور (١) .

وقول عبد الرحمن القصيبي :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقه سرًا ملامكا . فالقتل أعفى وأيسر<sup>(١)</sup>  
فأوجب هذا الشاعر للهجر والقتل؛ أنهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله:  
فالقتل أعفى وأيسر .

فكانه قال: إن القتل مثل الهجر وليس مثله<sup>(٢)</sup>.

وكان الأولى أن يقول الأستاذ نجيب: إن الشاعر قد أغفل الجزء المهم  
من المعنى مثلا، لأنه أفسده، لأن الفساد لم يحدث .

على أنه ليس واجبا على الشاعر أن يستقصى في وصف ما يرى،  
وبستوعب الأجزاء كلها، لأن الشعر ليس تأليفا وجمعا وضما، وإنما هو لحاحات  
خاطفة متبلورة مركزة، ووقوف عند جزئيات بارزة متضخمة، تسترعى نظر  
الشاعر، وتستوقف فكره، فيخصها بعنايته، ويتذوق ما فيها من جمال،  
ويستشف ما وراءها من أسرار .

وفي ذلك يقول الباحثى - أكثر الشعراء التزاما لعمود الشعر - :  
كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يغنى عن صدقه كذبه<sup>١</sup>  
ولم يكن ذوالقروح يلج بالمنطق مانوعه ، وما سببه<sup>(٣)</sup>  
والشعر لسمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوالت خطبه  
ولباب التصوير وسره ، وفتنة الخيال وسحره : مردها إلى البراعة  
في التجسيم والتشخيص، وبث الحياة في التعبير، وإلهاب العواطف، واستفزاز  
المشاعر، لا إلى التدقيق في سرد الصفات، واستقراء أجزاء الصورة .

فإذا كان الشاعر أرابا وشى السحاب ، وطاراز البرق ، وضحك الرعد  
في هذا الإطار الأنيق المزخرف المفوف ، ولم يرنا أثر السماء العاصفة

(١) قصر عن الأمر قصورا ، وأقصر بالمشديد ، وتقاصر : انتهى .

(٢) الموشح — ٢٢٦ .

(٣) ذو القروح : لقب امرئ القيس .

برقها ورعدها ، فلأن هذا المعنى لم يستثر شعوره ، ولم يحرك خاطره إلى إبرازه ، وليس هو مكلفاً بغير الصدق في الأداء النفسى الذى يحسه هو أولاً . كما أنه ليس معلوم فى ذلك : فالشأن - كما قال المبرد - : واعلم أن للتشبيه حدّاً ؛ فالأشياء تتشابه من وجوه ، وتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع ، فإذا شبه الوجه بالشمس ، فإنما يراد الضياء والرواق ، ولا يراد العظم والإحراق<sup>(١)</sup> .

وكما قال « جاريت » : إنه لا يقلل من استماعنا بقراءة آثار « دانتى » أو « ملتون » ، افتراضها وجود ألوان لا يمكن أن تكون ، فإننا حين نشعر بجمال شيء لا نفكر فى علاقته بغيره ، أو فى القوانين التى تتحكم فى وجوده ، كما نفعل فى دراسة العلم ، بل نشعر : أن الجمال عالم مستقل بذاته ، له قوانينه الخاصة<sup>(٢)</sup> .

وإنكار الناقد « نجيب » على الشاعر : تسمية صوت الرعد ضحكا ، لأنه يخلع قلوب الناس - وليس من شأن الضحك ذلك - لا يتخذ حجة على الشاعر لعدة أسباب .

منها : أن ضحك الرعد لا يخلع القلوب - كما هو تعبيره - إلا فى بلاد كبلادنا ، أغناها الله بالنيل عن المطر ؛ كما يقول نجيب الحداد فى وصفها<sup>(٣)</sup> :  
بل أنت غائبة عن المطر الذى يهيمى فإن النيل فيك غمام  
فلا تمكّد تراه إلا فى بعض فصول السنة ، فأهلها معذرون إن فزعوا  
لقصف الرعد وجلجلتها ١١

ولكن فى البلاد التى تغاث بالأمطار ومنها بلد الشاعر<sup>(٤)</sup> - يطربون لصوت الرعد ، ويأسون به ، ويعدونه بشيراً بالخير والبركة والخصب والنماء ، فلا بدع أن يسميه الشاعر ضحكا .

(١) الكامل « شرح المرصفي » ٢ - ٧٢ .

(٢) فلسفة الجمال - ٣٩ .

(٣) المنتخب - ١ - ٢٤٧ .

(٤) هو الزاهى ؟ فيكون بلده العراق ، أو ابن رشيق ؟ فيكون بلده : تونس .

بل قد سموا هذا الصوت : هَزَجًا ١١  
يقول الزمخشري : ومن المجاز : سحاب هزج بالرعد « بكسر الزاي » ،  
وسمعت هَزَجَ الرعد والعود.

وهو مأخوذ من الأصل اللغوي : هزج المغنى فى غنائه كفرح ،  
والقارىء فى قراءته : إذا طرأ فى تدارك الصوت وتقاربه (١).

فانظر كيف سموه : هزجا ، وقرنوه بخفق العود ١٩

وسموه : ترنماً ، قال العسكرى : (٢)

والرعد فى أرجائه مترنم  
والبرق فى حافاته متلطب  
كالبساطق ترمح ، والصوارم تلتضى

والجو يدسم ، والأنامل تحسب (٣)

وسموه : زجلا ، قال ابن الرومى (٤) :

متلزل زجل تحن رواعد فى حجر تنيه ، وتستطير بروق (٥)  
ومنها : أنه ليس بغريب أن تتخلع القلوب من الضحك أو بعض الضحك  
على الأقل ، فإن الناس يختلفون فى ذلك اختلافا كبيرا ، فضحك الأطفال  
غير ضحك الرجال ، وضحك الرجال غير تهافت النساء (٦).

وفينا كثير من ذوى الحناجر الغليظة ، والأشداق الواسعة ، والمناسخ

(١) الأساس — مادة هزج .

(٢) نهاية الأرب — ١ — ٨٨ .

(٣) البلق : الخيول فيها سواد وبياض ؛ جمع أبلق ، وتلتضى : تسلى . وتحسب : تعد .

(٤) ديوانه — ٣٠٦ — جمع الأستاذ كامل كيلانى .

(٥) حجر تنيه : ناحيته مثنى حجرة بالفتح .

(٦) التهافت : ضحك فى فتور كضحك المستهزئ ، وهو حاص بالنساء



الضحمة - إذا ضحكوا على حين غرة أو سعلوا أو عطسوا - ألقوا الرعب في النفوس !

ومع هذا نسمى بعض هذه الأصوات المنكرة ضحكا أو قهقهة ١١  
ومنها : أن الشاعر لم يجاوز في هذا سنن من تقدموه في تسميتهم صوت  
الرعد : قهقهة ؛ فقد أثبت الآثار الكثيرة في ذلك ، كقول الشاعر (١) :

إذا ومنت السحب الثقال يحشها من الرعد حاد ليس يبصر أكمه  
أحاديثه مستهولات ، وصوته - إذا انخفضت أصواتهن - مُقهقه  
على أن الشاعر لم يذكر الرعد في بيتيه ، فلعله غير مراد له - وإن كان  
يلازم البرق دائما - .

وعلى هذا النحو يمكن أن انصرف الضحك للبرق .  
وكثيراً ما يوصف البرق بالضحك والتبسيم ، كما يوصف الرعد بالقهقهة .  
قال ابن مطير - وهو أجود ما قيل في السحاب - : (٢)

مستضحك بلوامع ، مستعبر بدوامع لم تَتمرها إلا قذا (٣)  
فله - بلا حزن ولا بمسرة - ضحك يؤلف بينها وبكاء  
وقال العتّابي - وهو أجود ما قاله محدث - (٤) :

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق يخفيه طوراً ، ويبيديه لنا الأفق (٥)  
كأنه غرة شهباء لامحة في وجه دهماء ماني جلدها بلق  
أو غمر زنجية تفتّر ضاحكة تبدو مشافرها طوراً وتنطبق  
وقال ظاهر الدين الحري - من شعراء الخريدة - (٦) :

(١) نهاية الأرب - ١ - ٨٨ (٢) ديوان المعاني - ٦٢

(٣) المستعبر : الذي جرى دمه . ومراه : استخرجه . أى هذه الدموع لم تجر بسبب قذاة في العين .

(٤) ديوان المعاني - ٢ - ٩ .

(٥) خفا البرق : لمع .

(٦) نهاية الأرب - ١ - ١٨٩ .

أست ترى الجو مستعبدا يضاحكه برقه الخلب  
وقال محمد بن عاصم - من شعراء الخريدة أيضاً - (١):  
أضاء بوادي الأثل والليل مظلمُ      بريق كسجد السيف ضربه الدمُ  
فشمته إذ لاح في غسق الدجى -      بأسنان زنجى بدتُ تنبسم  
وقال العسكري :

كثير سرورى فى قليل وفائه      وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد  
وقال شاعر :  
والبرق يضحك كالخبيب وعنده      رعد يُخشِّن كالقريب مقاله  
وقال آخر :

ولما وقفنا للوداع عشيّة      وطرفى وقلبي : داعم ، وخفوق  
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة      كأتى سحاب ، والوشاة بروق  
وقال بعض الرجاز :  
ضحك البر بها ثم بكى .  
وفيما قدمناه ما يغنى .

## الفصل الرابع

### التغاير

التغاير : أن يغاير المتكلم الناس فيما عاينهم أن يمدحوه فيذمه ، أو يذموه فيمدح<sup>(١)</sup>.

واختصره بعضهم فقال : هو تحسين القبيح ، وتقبيح الحسن .

وهو نوع من البديع معروف ، وقد سماه قوم : التغاير ، وسماه العسكري التلطف ، وللأسم من المسمى : نصيب ، فإن الأديب أو الشاعر يتلطف بالمعنى الحسن حتى يهجنه ، وبالمعنى الهجين حتى يحسنه ١١

وهو القياس الشهري المذكور في المنطق ، وقد ورد كثيراً في كلام العرب .  
فن الأول - وهو تحسين القبيح - قول الفرار السلمي في تحسين الفرار :  
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبت نفضت لهايدي<sup>(٢)</sup>  
فتركتهم تقص الرماح ظهورهم من بين مُنجدل وآخر مُسند<sup>(٣)</sup>  
هل ينفعني أن تقول نساؤهم - وقتلت دون رجالهم - لا تبعد<sup>(٤)</sup>  
وقول الحارث بن هشام المخزومي في معناه :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهرى بأشقر مُزبد<sup>(٥)</sup>  
فصُرُفت عنهم - والأحبة فيهم - طمعا لهم بعقاب يوم مُفسد

(١) نهاية الأرب - ٧ - ١٤٥ .

(٢) لبستها : خلطتها .

(٣) الوقص : الكسر . والجندل : المصروع .

(٤) لا تبعد : من البعد بفتح العين وهو الهلاك ، أو من البعد ضد القرب .

(٥) الأشقر المزبد : المراد الدم .

وفيه يقول أبو عبيدة : ما اعتذر أحد من الفرارين بأحسن مما اعتذر به الحارث ! .

وهذا الذى سمعه صاحب رُبَيْل<sup>(١)</sup> ، فقال : يا معشر العرب ، حسبتم كل شيء لحسن ، حتى الفرار !!

ولما فر أمية بن عبد الله بن خالد يوم « مرداء هجر »<sup>(٢)</sup> ، من أبى قديك الحارثى ، وفد عليه أهل البصرة ، ولم يدروا أينثونه أم يعزونه ، حتى دخل عبد الله بن الأهم : فاستشرف الناس له ، وقالوا : ما عسى أن يقال للنهزم ؟ فسلم عبد الله ، ثم قال : مرحباً بالصابر المخذول ، الذى خذله قومه ! الحمد لله الذى نظر لنا عليك ، ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة جهداً ولكن علم الله حاجة أهل الإسلام إليك ، فأبقاك لهم بخذلان من معك لك . فقال أمية : ما وجدت أحداً أخبر بى من نفسى غيرك<sup>(٣)</sup> .

وقول منصور الفقيه فى مدح الموت :

قد قلت : إذ مدحو الحياة وأسرفوا      فى الموت ألف فضيلة لا تعرف  
منها أمان لقائه بلاقائه      وفراق كل معاشر لا ينصف  
وقول شاعر فى إفشاء الأسرار :

وما أكنم الأسرار لكن أنمها      ولا أدع الأسرار تغلى على قلبى  
فإن قليل العقل من بات ليلته      تغلبه الأسرار جنباً على جنب  
وقول أبى العتاهية فى البخل :

جزي البخل على صالحة      عن الخبثه على ظهري  
أعلى وأكرم عن نداه يدي      فعلست ، ونزه قدره قدرى

(١) ربيل : من بلاد التركستان .

(٢) مرداء هجر : موضع بهجر وهجرة قاعدة البحرين .

(٣) العقد الفريد - ١ - ٧٤ .

ورزقت من جدواه عافية      ألا يضيق بشكره صدرى  
وظفرت منه بخير مكرمة      من بخله من حيث لا يدري  
ما فاتنى خيرُ أمرى وضعت      عنى يداه مثونة الشكر

ومن اللطيف فى معنى ما تقدم قول الآخر :

أعتقنى سوء ما صنعت من الرق      فىا بردها على كبدى  
فصرت عبدا للسوء فىك وما      أحسن سوء قبلى إلى أحد  
وقول نهمى بن جري فى الجبن - وهو أحسن ما قيل فيه - :  
فلو كان لى نفسان كنت مقاتلا      بإحداهما حتى تموت وأسلما  
وقول شاعر فى مدح الخنول والذل :  
لذ بالخنول وعند بالذل معتصما      بالله تسلم كما أهل النهى سلموا  
فالريح تحطم إن هبت عواصفها      دون الثمار وينجو الشيع والرتيم<sup>(١)</sup>  
وقول ابن الرومى فى الحلف الكاذب :

وإنى لذو حلف كاذب      إذا ما اضطرت وفى الأمراض  
وما فى اليمين على 'مخرج'      يدافع بالله مالا يطيق  
وقوله فى مدح الإعراض :  
ما ساءنى إعراضه      عنى ولكن سررنى  
سالفناه عوَض      من كل شيء حسن<sup>(٢)</sup>  
وقوله فى الحقد :

وما الحقد إلا توءم الشكر فى الفقى  
وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض  
فحيث ترى حقدًا على ذى عداوة  
فشمّ ترى شكرا على حسن القرض

(١) الرتم كسبب : نبات دقيق بذره كالعدس .

(٢) السالفه : صفحة العنى .

إذا الأرض أدت ربيع ما أنت زارع

من البذر فيها فنهى ناهيك من أرض<sup>(١)</sup>

وقد أخذه من قول عبد الملك بن صالح الهاشمي - وقد قال له يحيى  
البرمكي - : أنت حقود ! فأجابه : إن كان الحققد عندك بقاء الخير والشر !!  
فإنهما عندى لباقيان .

فقال يحيى : مارأيت أحداً احتج للحقد حتى حسنه غيرك !!  
وقد عاد ابن الرومي فذمه بقوله :

يا مادح الحققد محتالاً له شبهها لقد سلكت إليه مسلكاً وعثا<sup>(٢)</sup>  
كم زخرف القول دوزورولتهسه على القلوب ولكن قل ماله ما<sup>(٣)</sup>  
الحقد دام دوى لا دواء له يرى الصدور إداما جمره حرثا<sup>(٤)</sup>  
فاستشرف منه بصفح أو معاتبة فلنما يرى المصدور مائفقا

ويلاحظ : أن ابن الرومي يذم ما يمدح ، ويمدح ما يذم كثيراً توسعاً  
واقتراراً .

وقد يكون ذلك لاعتلال مزاجه .

وفي مدح الشر ذكروا : أن المتوكل قال لأبي العيناه - حين دخل إليه - :  
بلغنى أن فيك شراً !

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشر ذكر المحسن بإحسانه ، والمسيء  
بإساءته ، فقد زكى الله - عز وجل - وذم ، فقال في الزكية : « نعم العبد  
إنه أوّاب » .

وقال في الذم : « همّاز مشاء بنميم . مسّاع للخير معتد أثيم . عثّل  
بعد ذلك زنيم »<sup>(٥)</sup> .

(١) الريع : الزيادة والنماء وفضل كل شيء على أصله . وناهيك به : كلمة تعجب واستفهام  
كما يقال حسبك ، وتأويلها : أنه غاية تنهاك عن طلب غيره .  
(٢) الوعث كنفع : الطريق الشائك المسلك ، حرك للضرورة .  
(٣) لبسه : خلطه .

(٤) يرى بكسر الراء : يحرق ؟ من ورى . وحرث النار : حركها .

(٥) العثل : الأكل المنيع الجاف الغليظ . والزنيم : المستلحق يقوم ليس منهم ، والدمى  
والثيم المعروف بلؤمه أو شره .

وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أئن دائماً ولم أشتم الجبّس اللثيم المذمّماً<sup>(١)</sup>  
ففيهم عرفت الخير والشر باسمه وشقّ لي الله المسامع والفما  
ويقول مسعود بن عبد الله الأسدي في مدح الغدر :  
قالوا غدرت فقلت إن وربما نال العلا وشنى الغليل الغادر  
وبقول بعضهم في مدح الفقر :  
من شرف الفقر ومن فضله على الغنى يا صاح لو تعتبر  
أنك تعصى كي تنال الغنى ولست تعصى الله كي تفقر  
ومن الثماني : أي تقبيح الحسن : أن الحسن رأى على رجل طيلسان<sup>(٢)</sup>  
صوف ، فقال له : أيعجبك طيلسانك هذا ؟

قال : نعم .

قال : إنه كان على شاة قبلك .

فاحتجّه من وجه قريب .

وقال شاعر في حاجب اسمه : سعد :

يا حاجب الوزراء إنك عندهم سعد ، ولكن أنت سعد الذابح<sup>(٣)</sup>  
ويقول العسكري : سمعت والدي — رحمه الله — يقول : لعن الله الصبر  
فإن مضرت عاجلة ، ومنفعته آجلة ، وذلك : أنك معجّل بالصبر ألم القلب ،  
لتنال المنفعة في العاقبة ، ولعلها تفوتك لعارض يعرض ، وكنت قد تعجلت  
الضرر من غير أن تصل إلى نفع .

وما سمعت هذا المعنى من غيره ، فنظّمته بعد ذلك ، وهو :

الصبر عما تجنّبه صبر ونفع من لام في الهوى ضرر<sup>(٤)</sup>

(١) الجبّس بالكسر : الجبان .

(٢) الطيلسان : لباس أسود من أثواب المعجم .

(٣) سعد الذابح : أحد كوكبين ؛ والآخر يسمى سعد السعود .

(٤) الصبر بكسر الباء وبالسكون على ثلّة : عصاة شجر مر .

من كان دون المرام مصطبرا      فلست دون المرام أصطبرا  
منفعة الصبر غير عاجلة      وربما حال دونها الغيّر (١)  
فقم بنا نلتبس ما ربنا      أقام أو لم يقيم بنا القدر  
وابغ من العيش ماتس به      إن عدل الناس فيه أو عذروا

وقد يظن أن الشعراء يركبون التناقض البغيض، ويفزعون إلى الكذب  
الصُّرَّاح، حين يستحسنون ما يستقبح، ويستقبحون ما يستحسن، ويمدحون  
ما يذم، ويذمون ما يمدح .

والحقيقة : أنهم لا يتناقضون ولا يكذبون ، وإنما هم يتناولون بعض  
الجوانب دون بعض في ذلك، كما فعل عمرو بن الأهتم (٢) حين مدح الزُّبرقان  
ابن بدر بين يدي الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأكرم صفات المدح  
ثم ذمه بأدناها .

فلما رأى الكراهة في وجهه حين اختلف قوله ، قال : يا رسول الله ،  
رضيت، فقلت: أحسن ما علمت ، وغضبت، فقلت: أقبح ما علمت، وما كذبت  
في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية .

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إن من البيان لسحراً » (٣)  
وقد أشار إلى ذلك شوقي بقوله .

فامدح على الحق الرجال وذمهم      أو خلّ عنك نصيحة الصَّاح

(٢) الغير كمنب : الأحداث

(٣) زهر الآداب — ١ — ٣٨ .

(٤) إن أريد بالحديث المدح ، فالمراد أنه يستمال به القلوب ، ويرضى به الساخط ،  
ويستسهل به الصعب؛ فالمراد به السحر، بمعنى مارق ولطاف مأخذه على مافي الصَّاح ، أو السحر  
بمعناه الحقيقي المشهور، لكن بعد تجريده عن ملاحظة الجديمة والتويه ، وإن أريد به الذم ،  
فالمراد : أنه يكتسب به من الإثم ما يكتسب الساحر ، أو أنه قد يخدع بزخارفه وحسن  
معارضته ومطالعه .



وقد احتج لهم « المرتضى » في ذلك بقوله (١) : من شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم ، إذا رأى أحدهم مدح شيء ، قصد إلى أحسن أوصافه ، فذكرها وأشار إليها حتى كأنه لا وصف له إلا ذلك الوصف الحسن ، فإذا أراد ذمه . قصد إلى أقبح أحواله ، فذكرها حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك ، وكل مصيب بحسب قصده ، ولهذا ترى أحدهم يقصد إلى مدح الشيب ، فيذكر ما فيه من وقار وخشوع ، وأن العمر منه أطول وما أشبه ذلك ، ويقصد إلى ذمه ، فيصف ما فيه من الإذناء إلى الأجل ، وأنه انحل الآلون وأبغضها إلى النساء ، وما أشبه ذلك .

وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ، ولمدحهم موضعه ، ولذمهم موضعه فن ذم الوداع لما فيه من الإنذار بالفراق وبعد الدار ، قد ذهب مذهباً صحيحاً ، كما أن من مدحه لما فيه من القرب بالحبوب ، والسرور بالنظر إليه . وإن كان يسيراً . قد ذهب أيضاً مذهباً صحيحاً .

يقول البحرى في كراهة الوداع يعتذر لأبي جعفر بن سهل المروزي :

الله جارك في انطلاقتك	تلقاء شامك أو عراقك
لا تعذلى في مسيرك	يوم سرت ولم ألاقك
لانى خشيت مواقفنا	للبن تسفح غرب ماقلك (١)
وعليت أن لقاءنا	سبب اشتياقي واشتياقك
وذكرت مايجد المودع	م عند ضحك واعتناقك
فتركت ذاك تعمداً	وخرجت أهرب من فراقك

ويقول في مدحه :

إن للبين نعمة لا تؤدى ويدا في تماضر بيضاء

(١) آمالى المرتضى ٤ - ١٦٧ .

(٢) الغرب كنهم : عرف في العين يسقى ولا ينقطع ، والدم ، وميله ، أو انهلاله . والملاق : مؤخر العين أو مقدمها .

حججوها حتى بدت لفراق كان دام لعاشق ودواء  
أضحك البين يوم ذاك وأبكى كل ذي صنبوة وسر ، وساء  
لجعلنا الوداع فيه سلاما وجعلنا الفراق فيه لقاء  
وقال آخر :

جزى الله يوم البين خيرا فإنه أرانا - على علاته - أم ثابت  
ومهما يكن ، فهذا مذهب له أنصار من قديم الزمان .

وقد قيل للأصمعي : من أشعر الناس ؟

قال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه ، كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير  
فيجعله : بلفظه ، خسيساً<sup>(١)</sup> .

وقد قالوا : حسن البلاغة : أن يصور الحق في صورة الباطل ، والباطل  
في صورة الحق<sup>(٢)</sup> .

ومن صور البلاغة الرائعة : خطبة علي - كرم - الله وجهه - في مدح  
الدنيا ، مغايراً لأمثاله في ذمها . منها : إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار  
صافية لمن فهم عنها ، ودار موعظة لمن اتعظ بها .

مسجد أحباب الله ، ومصلى ملائكته ، ومهبط وحى الله ، ومتجر  
أوليائه ، اكتسبوا منها الرحمة ، وربحوا منها الجنة ...

وقوله : وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده - فرأى سعة  
داره - : ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا !! أما أنت إليها في الآخرة  
كنت أحوج ؟ وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة : تقرى فيها الضيف ، وتصل  
فيها الرحم ؟ ، وتطلع منها الحقوق مطالعها ، فإذا أنت بلغت بها الآخرة<sup>(٣)</sup> .  
وقد نظمها ابن أبي الأصمعي<sup>(٤)</sup> ، فمن ذلك قوله :

(١) العمدة - ٢ - ٤٦ - ٥٠ .

(٢) المصدر السابق - ١ - ٦٥ .

(٣) نهج البلاغة - ١ - ٥٢٢ .

(٤) خزنة الأدب للعموى - ١٢٩ .

دار زاد لمن تزود منها وغرور لمن يميل إليها  
وقد مدح الحريري الدينار وذمه (١) ، فمن الأول قوله :  
أكرم به أصفر راقص صفرتة جوّاب آفاق ترامت سفرتة  
وقال في ذمه :

تبّاله من خادع ثمّاذق ١ أصفر ذى وجبين كالمناق (٢)  
وقد غاير أبو تمام جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم ، فقال :  
قد بلونا «أبا سعيد» حديثاً وبلونا أبا سعيد قديماً  
فوردناه سائحاً وقلبيّاً ورعيناه بارضاً وجميماً (٣)  
فعلينا أن ليس إلا بشق النفس صار الكريم يدعى كريماً  
وهو مغاير لقوله على الطريقة المألوفة :  
لا يتعب النائل المبذول همته وكيف يتعب عين الناظر الناظر  
وهو كقول بعض العصريين :

ومطبوع الندى يسخو بما يسخو ولا يدرى  
ومن قول ابن الرومي في تفضيل القلم على السيف :

إن يخدم القلم السيوف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمام  
فالموت - والموت لا شيء يعادله -  
كذا قضى الله للأقلام مذ بُريت  
وقال أيضاً :

لعمرك ما السيف سيف الكمي بأخوف من قلم الكاتب  
له شاهد إن تأملته ظهرت على سره الغائب

(١) القامة الدينارية .

(٢) تبّاله : هلاكاً . والمناذك : الذى يشوب الود بالكرم .

(٣) البارض : أول ما يظهر من نبات الأرض . والجميم : النبات الكثير ، وهو ما نهض وانتشر منه .

أداة المنية في جانبيه فمن مثله رهبةُ الراهب  
 ألم تر في صدره كالسنان وفي الردف كالمرهف القاض  
 وقال محمد بن يحيى الصولى من قصيدة وجه بها إلى أبى على محمد بن على:  
 في كفه صارم لانت مضاربه يسوسنا رغبا إن شاء أو رهبا  
 السيف والرمح خدام له أبدا لا يبلغان له جسدا ولا لعبا  
 تجرى دماء الأعادي بين أسطره ولا يحس له صوت إذا ضربا  
 فما رأيت مدادا قبل ذاك دما ولا رأيت حساما قبل ذا قصبا  
 وقال أبو تمام :

إذا ما امتطى الخنس اللطاف وأفرغت  
 عليه شعاب الفكر وهي حوافل<sup>(١)</sup>  
 أطاعته أطراف القنا وتقوضت  
 لنجواه تقويض الخيام الجحافل

وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات  
 نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا مالم ينالوا بحسد المشرفيات  
 وقال البحتري يمدح ابن ثوابه :  
 معظم لم يزل تواضعه لأمليه يزيد في عظمه  
 ما السيف عضبا يضىء رونقه أمضى على النائمات من قلبه  
 وقال آخر :

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم  
 كنى قلم الكتّاب نفراً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم  
 وقال أبو تمام يفاير ذلك :

(١) الخنس: اللطاف كناية عن الأصابع. والشعاب بالكسر: ما عظم من سواقى الأودية  
 واحده: شعبة، وحوافل: مليئة.

السيف أصدق أنباء من الكتب      في حدة الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفائح لاسود الصحائف في      متونهن جلاء الشك والريب<sup>(١)</sup>  
وقال المتنبي :

حتى رجعت وأقلامى قوائلى      المجدد للسيف ليس المجدد للقلم  
اكتب بها أبدأ قبل الكتاب بنا      فإنما نحن للأسياف كالخدم  
وقال ميمار يمدح أبا القاسم بن المسلمة وزير القائم العباسى :  
بيض القراطيس كالبيض الرقاق له      وفى اليراع غنى عن أسمر خطـل  
وقال فى مدح آخر :

يطاول بالأقلام ماتبلغ القنا      ويفعل أفعال الطبأ بالمخاصر  
وقال أيضاً :

إذا خاضت النسفس أقلامه      كفين الذوابل خوض الدماء  
وقال : فى لفظه والخط مندوحة      من صارم الحدين ذلاق  
وقال المركيز منروز<sup>(٢)</sup> :

إذا كان غيرى يخاف القدر      وقللت فعال عليها قدر  
فيجادك من ذا اليراع الأغر      وصيتك من ذا الحسام الأغر  
فسوى بينهما .

وقد قال فيه ابن أبى الإصبع : وهو تغاير المذهبين :

١ — إما فى المعنى الواحد ، بحيث يمدح لإنسان شيئاً أو يذمه ، أو يذم  
مامدحه غيره وبالعكس .

٢ — وإما أن يفضل شيئاً على شئ ، ثم يعود فيجعل المفضل فاضلاً  
والفاضل مفضولاً .

من ذلك قوله تعالى : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين  
استسضعفوا لمن آمن منهم أتعلبون أن صالحاً مرسل من ربه ، قالوا : إنا بما  
أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون . »

(١) الصفائح : السيوف المريضة ؟ واحتتمها : صفيحة .

(٢) السعادة والسلام لاوردافرى — ٥٤ .

فغاير بعضهم بعضاً في باب الطاعة والعصيان ، بعد التغاير في مقالهم واعتقادهم في نياتهم ، وهذا هو ما يغاير الإنسان فيه غيره .

وأما ما يغاير فيه نفسه ، فمنه قول قريش عن القرآن : « ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين » إنكاراً منهم لغرابة أسلوبه ، وما بهرهم من فصاحته ، وملزوم هذا الكلام إقرارهم بالعجز عنه .

ثم غايروا أنفسهم في وقت آخر ، فقالوا : « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » .

ولو كان القولان في وقت واحد ، لسكان ذلك تناقضاً وهو معيب ، ولم يعد من المحاسن .

لكنه لوقوعه في زمنين مختلفين ، ووقتین متباعدتين لا يعد من العيوب ، واعتدوه من المحاسن ، ولذلك سمي تغايراً لا تناقضاً .

وذكر ابن أبي الأصعب نوعاً من التغاير ، وهو تغاير المعنى لمغايرة اللفظ ومثّل له بقوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، فإن ذلك غير قوله — سبحانه — في سورة الإسراء . « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

وسبب هذه المغايرة : أن الخطاب في الآية الأولى للفقراء بدليل قوله : « من إملاق » فاقترضت البلاغة تقديم وعده للآباء المملقين بما يعينهم من الرزق ، وتكميل المعنى بوعد الأبناء بعد وعده الآباء ، لتسكين الأنفس .

وفي الآية الثانية ؛ كان الخطاب لأبناء بني إسرائيل بدليل قوله — عز وجل — : « خشية إملاق » فإنه لا يخشى الفقر إلا الغنى ، لأن الفقير فقره واقع ، فاقترضت البلاغة تقديم وعده الأبناء بالرزق ، ليشير هذا التقديم إلى أنه — سبحانه — هو الذي يرزق الأبناء بزول توهم الأغنياء : أنهم ينفقونهم

على الأبناء يصيرون إلى الفقر بعد الغنى ، ثم كمل الطمأنينة بوعدهم بالرزق بعد وعد أبنائهم<sup>(١)</sup>.

وباب التحسين والتقييح مدخل واسع مهد لتهديب الطباع ، وصقل العواطف ، وتصفية الأذواق ، وتربية النفوس على الفضيلة ، وقدعها عن الرذيلة ، وتحبيبها في الخير ، وتبغيضها في الشر ، وحثها على كل عمل صالح نافع ، وملئها بالحماسة والإقدام ، وحب التضحية والفداء ، والوقوف في وجه الظلم ، ومجاهدة الموت بلا خوف ولا وجل .

انظر وقع هذا البيت على ضمير المرائي ، الذي يأمر بالخير ولا يعمل به :  
وغير تقى يأمر الناس بالتقى      طيب يداوى الناس وهو مريض  
أو قول أحمد بن يوسف :

وعامل بالفجور يأمر بالبر      كهاد يقود بالظلم  
أو كطيب قد شفقه سقم      وهو يداوى من ذلك السقم  
يا واعظ الناس غير متعظ      ثوبك طهر أو لا فلا تلم

وقدّر أثر هذا الشعر في نفس غافل لاه ، لا يجزى ذكر هاذم الذات<sup>(٢)</sup>  
على لسانه ، ولا يخطر له على بال — وهو مما نسب إلى ابن عباس — :

الموت باب وكل الناس داخله      ياليت شعري بعد الباب ما الدار ؟  
الدار جنة عدن إن عملت بما      يرضى الإله وإن خالفت فالنار

وهل تسكر من شرة الجشع الحريص إلى جمع المال من الحلال والحرام  
وتحسم مادة تكالبه على زهرة الدنيا بأحسن من هذا القول ؟ :

انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها      مغالياً ثم بعد الجمع يرميها  
كالمرء يكدر الدنيا ويجمعها      حتى إذا مات خلاها وما فيها

(١) بديع القرآن « مع التصرف » — ٨٢ .

(٢) الهادم القاطع ، كناية عن الموت .

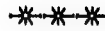
وهل تكفُّ شهوة النهم الرغيب<sup>(١)</sup>، الحوتى الالتقام ، الفيلى الالتهام ،  
بأفضل من هذا الشعر ؟ :

يا آكلا ما اشتهاه      وشاتم الطب والطبيب  
نمار ما قد غرست تجنى      فانتظر السقم عن قريب  
يجتمع الداء كل يوم      أغذية السوء كالذنوب .

وهل كان الشاب المصرى يؤثر اللصوق بأرضه ، حتى ليسكره التوظيف  
فى غير مسقط رأسه ، ويعمد غيره من بلاد مصر ديار غربة ، فضلا  
عن الهجرة إلى أكناف الأرض الواسعة ، كما يفعل الإنجليز أو اليونان  
أو أشقاؤه السوريون واللبنانيون ، لو أنه غذى فى صغره بمثل قول  
ابن منير الطرابلسى :

وإذا الكريم رأى الخنول نزيله      فى منزل فالحزم أن يترحلا  
كالبدل لما أن تضاءل جدّ فى      طلب الكمال فخازه متنقلا  
فارق ترق كالسيف سلّ فبان فى      متنيه ما أخفى القراب وأخملا

وهكذا يمكننا بتحسين الشيء أو تقبيحه ، أن نحمل النفوس على ما نريد  
بتهيين مشاعرنا ، وإلهاب عواطفها ، وبعث وجداناتها ، فتنتقل إلى الشأو  
المرسوم كالسهم المرسل لا يلوى على شيء .




---

(١) الرغيب : واسم البعز .



## الفصل الخامس

### التوشيع

التوشيع في اللغة<sup>(١)</sup>: إعلام الثوب: أى أن تجعل له علما . وُبردموشّع: ذو رقوم وطرائق .

وقيل : التوشيع : لفّ القطن بعد ندفه ، أو أن يُدار باليد على الإبهام والخنصر ، فيدخل في القصبة .

وقال ابن دريد : التوشيع : رقم الثوب بعلم ونحوه ، ووشّع القطن: لفه بعد الندف ، ووشّع الغزل : لفه على القصب للنسيج ، ونسج الثوب بالتوشيع والوشائع : أى بهذا القصب الملفوف عليه .

وقيل الوشائع : كُسِب من ألوان الخيوط : كبة حمراء ، وأخرى صفراء ، الواحدة : وشيعة .

ويقول الفيومي : الوشيعة : الطريقة في البرد .  
وذهب العلوي إلى أن اشتقاق التوشيع : من توشيع الشجرة ، وهو : تفريع أصلها .

وزاد على ذلك أنه يقال له : التوشيع بالسين المهملة ، فاشتقاقه : من قولهم : وسع في حفر البئر : إذا فسح فيه « بالتشديد » ومنه فسّح في المجلس « بالتشديد » أيضاً : إذا وسع لمن يجلس فيه ، وعرفه على الاسم الأخير - بقوله : هو عبارة عن أن يأتي المتكلم بمثنى يفسره بمعطوف ومعطوف عليه . وذلك من أجل أن التثنية أصلها العطف ، فيوسّع الاسم المثنى بما يدل على معناه ، ويرشد إليه على وجه العطف<sup>(٢)</sup> .

(١) معجمات اللغة المختلفة . (٢) الطراز - ٣ - ٨٩ .

وفي اصطلاح البلغاء : أن يأتي الشاعر أو الناثر في حشو العجز من كلامه باسم مثني ، ثم يأتي باسمين مفردين ، هما : عين ذلك المثني ، يكون الآخر منهما قافية بيته ، أو سجعته كلامه ، كأنهما تفسير لما أسناه (١) .

وأخصر من ذلك وأسهل وأبين : ما ذكره المحبسي (٢) ، وهو : أن يؤتى بمثنى مفسّر باسمين ، ثانيهما معطوف على الأول ، كقواه — صلى الله عليه وسلم — : « الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنب » .

وقد يفسر المثنى بمفرد مضاف إلى متعدد — كما ذكر العلوي — كقول البهتري :

ومنى تساهمنا الوصال ودوننا يومان : يوم نوى ، ويوم صدود (٣)  
وقد يؤتى بمثليين ومثليين ثم بأربع مفردات : اثنين للأولين ، واثنين للآخرين كالحديث : « أحملت لنا ميتتان ودمان : السمك ، والجراد ، والكبد والطحال » .

وقد يأتي المثني مضافاً ، كقوله : ابنا سمير : الليل والنهار ؛ لأنه يُستمر فيهما ، وقيل الغداة والعشي ، وابنا الفواطم : الحسن والحسين .  
والفواطم : فاطمة الزهراء أمهما ، وفاطمة بنت أسد أم « علي » جدتهما ، وفاطمة بنت عبد الله بن عمران بن مخزوم جدة النبي لأبيه .

وابنا قَيْسلة : الأوس والخزرج ، وقيلة أمهم .  
وابنا نزار : ربيعة ومضر . وابنا وائل : بكر وتغلب . وفعلنا المدح : نعم وبئس ، وألحق بهما ساء وحبذا . وجناحا الدنيا : البصرة والكوفة . وملكنا بابل : هاروت وماروت . وملكنا الشعر : امرؤ القيس وأبو فراس الحمداني . وقترنا الحمار : الكذب والباطل ، لأن الحمار لا قرن له .

(١) حسن التوسل — ٧٤ — خزانة الأدب للحموي — ٢١١ — نهاية الأرب

— ٧ — ١٤٨ — بتصرف قليل .

(٢) جنى الجنتين — ١٦ .

(٣) ساهمه الشيء : قاسمه لياه .

وقد يأتى المثني مضافا إليه ، كقولهم : أبو العلمين : العلم الأسود والعلم الأبيض . ويعنون : القطب ابن الرفاعي ، فقد كان له علمان كذلك .  
وحدّ الزمانين : الماضي والمستقبل . ويعنون بحدّهما : الزمن الحاضر ، لأنه يفصل بينهما . وذو الشرفين : شرف الأدب ، وشرف النسب . وذو القلمين : ديوان الخراج ، وديوان الجيش ، ويعنون به : علي بن سعيد بن كَسَنَدَاجِيق ، لأنه كان يتولاها ، أو لأنه كان يكتب بالعربية والعجمية .  
وذو السكفيتين : كفاية أمور الدولة ، وكفاية أمور الجيش ، ويعنون به : أبا الفتح بن أبي الفضل العميد ، لأنه كفى ركن الدولة البويهى أمرها .  
وذو النورين : السيدة رقية ، والسيدة أم كلثوم بنتا الرسول — عليه الصلاة والسلام — وقد لقب عثمان — رضى الله عنه — بذلك ، لأنه تزوج بهما على التعاقب .

وقد يأتى بعد الاسمين المفسرين للمثنى : اسمان آخران مفسران لهما ، كقول بعض العصريين :

عيدان : عيد هدى ، وعيد سعود فطر الصيا . ، وغرة المولود  
وقد ذهب عبد الرحيم بن شيت القرشى فى التوشيع مذهبا آخر ، فقال :  
هو أن يستعمل السكائب فى كلامه كلمة ، يقتضى لفظها بمجرد فى لغة العرب معنيين فصاعدا .

ثم يبنى بعدها فصلا ، ويأتى بعده بالفصل الذى تقتضيه تلك الكلمة ، كقولك : إن فلانا يميل إلى الخير وإتيانه ، وعن الشر واستحسانه .  
فلفظة « يميل » تحتل أن يكون إلى الشيء وعنه (١) .  
وهو فى ذلك يخالف الجمهور مخالفة واسعة .

وإذا وقع المثني فى أول الكلام ، أو آخره ، يحسن أن يسمى مطرف التوشيع ؛ مثال الأول : قول ابن هانئ الأندلسى :

المدنفان من البرية كلاما جسمى ، وطرف بابلي أحور (٢)

(١) معالم الكتاب - ٦٨ - إلى ٨٥ (٢) بابلي : منسوب إلى بابل ، بلد السحر والخبر .

ومثال الثاني : قول ابن الرومي :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان      فيهن نوعان : تفاح ورمان<sup>(١)</sup>  
وقول المتنبي :

إذا صرف النهار الضوء عنهم      دجا ليلان : ليل والغبار  
وقول عبد المطلب :

من كل وضاح المحيا عمره      يومان : يوم ندى ويوم طعان  
ومثال ما يأتي فيه المثني وسط الكلام قول شوقي :

بأيديهم نوران : ذكر وسنة      فما بالهم في حالك الظلمات  
وقول حافظ في ملهى الأربكية :

كم وارث غص الشباب رميته      بغرام راقصة ، وحب هلوك<sup>(٢)</sup>  
ألبسته الثوبين في حالهما      تيه الغنى ، ودلة المفلوك<sup>(٣)</sup>

وقد جمع محمود غنيم بين التوشيع وسط البيت وآخره في قوله — يرى  
المرحوم مصطفى عبد الرازق باشا :

طوى موتك اثنين : المروءة والندى      وأبكي فريقين : الأجنة والسعدا  
واشتقاق التوشيع عند الحلبي والحموي والنويري من التوشية ، وهي  
الطريقة الواحدة في البرد المطلق .

فيكأن الشاعر أهمل البيت إلا آخره ، فإنه أتى فيه بطريقة تعد من  
الحاسن<sup>(٤)</sup> .

وهذا تعليل للتسمية غير مقبول ، وهو يخالف المفهوم من معنى  
التوشيع ، لأن التوشيع لا يختص بآخر الثوب ، إذ هو غزل من اللحمة<sup>(٥)</sup>  
ملفوف ، يجره الناسج بين طاقات السدى<sup>(٦)</sup> عند الدساجة .

وقال ذو الرمة :

به ملعب من معصفات نسجته      كنسج اليماني بُردَه بالوشائع<sup>(٧)</sup>  
وقال آخر :

كنسج الحميري برود عصب      يرد على جوانبها الوشيعا<sup>(٨)</sup>

(١) يريد بالأغصان والكثبان : الفدود والأعجاز ، وبالتفاح والرمان : الحدود واليهود .

(٢) الهلوك كصبور : الفاجرة المتساقطة على الرجال . (٣) المفلوك : الفقير البائس ، تسمية فارسية .

(٤) حسن التوسل — ٧٤ — خزائن الأدب — ١١ . نهاية الأرب — ٧ — ١٤٨

(٥) لحمة الثوب بالفتح والضمة : ما ينسج عرضاً (٦) السدى بفتح السين : ممدطولا في النسج .

(٧) العصب : ضرب من البرود . (٨) المعصفات : الرياح الشديدة .

ولهذا خطئوا أبا تمام في قوله :

شهدت لقد أقوت مغانيكمو بعدى      وحنّت كما حنّت وشائع من بُرد<sup>(١)</sup>  
لأنه جعل الوشائع حواشى البرد ، أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك<sup>(٢)</sup> .  
فالشاعر لم يهمل البيت إلا آخره — كما قالوا — وكذلك الموشّع « بكسر  
الشين المشددة » لم يهمل البرد إلا آخره .  
وإنما سر التسمية : التشابه في أن كليهما وشّى نسجه بالوشائع ، وهى  
هذه الرقوم الخاصة .

ويعد التوشيع من بدائع الحلى إذا وقع موقعه ، ورفد فيه الطبع القوى  
الصنعة المحكمة .

قال الثعالبي يمدح أبا الفضل الميكالى<sup>(٣)</sup> :

بحران : بحر في البلاغة شابه      شعر الوليد، وحسن لفظ الأصمعى<sup>(٤)</sup>  
وترسل الصابى يزين علوه      خطّ ابن مقلة ذى المحل الأرفع  
كائن ور أو كالسحر أو كالبدراو      كالوشى فى برد عليه موشع  
وليست التثنية شرطاً فيه ، وإنما هو الغالب .

قال محمد بن وهيب<sup>(٥)</sup> :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها      شمس الضحا وأبو إسحاق والقمر  
وقال ابن هانئ الأندلسى :

والمشرقات النيرات ثلاثة : الشمس والقمر المنير وجعفر

(١) أقوت : خلت . وحنّ : بليت .

(٢) الموازنة بين الطائيين — ١٧١

(٣) مقدمة بقيمة الدهر — ١ — س .

(٤) الوليد : البجترى .

(٥) ديوان المعاني — ١ — ٢٨ . وأبو إسحاق : كنية المعتصم العباسى .

وقال غانم المالحى :

ثلاثة يجهل مقدارها الأمن والصحة والقوت  
وقال شاعر :

ثلاثة تذهب عنك الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن  
وقال العسكرى :

لم يزل للورى ثلاث شمس وجهك المستضى والقمران  
وفى المثل : أفسد الناس الأحامرة : الخمر واللحم والذهب والزعفران .  
ومن أمثله النثرية البالغة ذروة البلاغة : الأحاديث الشريفة : « يشيب  
ابن آدم وتشيب معه خصلتان : الحرص ، وطول الأمل » . « منهومان  
لا يشبعان : طالب علم ، وطالب مال » .  
« لا يزال الكبير شابا فى اثنتين : حب المال ، وطول الأمل » .  
« خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق »

ومن الحكم المأثورة : دار عدوك لأحد أمرين : لصداقة تؤمنك ،  
أو فرصة تمكنك .  
الصبر : صبران : صبر عما تحب ، وصبر على ما تكره ، والرجل من  
جمع بينهما .

أمران لا ينفكان عن الكذب : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .  
ليس فى ثلاث حيلة : فقر يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ،  
ومرض يمازجه هرم .

ثلاثة يجب مداراتهم : المسلط والمريض والمرأة .  
ثلاثة يعذرون على سوء الخلق : المريض والمسافر والصائم .  
وكان أبو عبد الله المحاسبى الزاهد يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن  
الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .  
وبما جاء متابعا فى الشعر : — ما قال فيه ابن رشيق : ومن جيد ما سمعته  
لمحدث ، وأظنه لابن الرومى فى عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ورأيت من

يرويه لأبي الحسين : أحمد بن محمد الكاتب<sup>(١)</sup> :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يُحمد الأجودان : البحر والمطر  
ولإن أضاءت لنا أنوار غرته تضاءل الأنوران : الشمس والقمر<sup>(٢)</sup>  
ولإن مضى رأيه أوحده عزيمته تأخر الماضيان : السيف والقدح  
من لم يكن حذراً من حدّ صولته لم يدرب المزعجان : الخوف والحذر  
ينال بالظن ما يعيا النعمان به والشاهدان عليه : العين والآثر<sup>(٣)</sup>  
وقد سطا عز الدين الموصل في بديعته على البيت الأول ، فقال :  
ومن عطاياه روض وشمعه يد تُغنى عن الأجودين : البحر والديم  
وقول ابن سارة الشنتريني الأندلسي في الزهد<sup>(٤)</sup> :

يامن يُصبيخ إلى داعي السقاة وقد نادى به الناعميان : الشيب والكبر  
لإن كنت لا تسمع الذكرى فقيم ثوى في رأسك الواعميان : السمع والبصر  
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان : العين والآثر  
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الأعلى ولا النيران : الشمس والقمر  
ليرحلن عن الدنيا ... وإن كرها فراقها — الثاويان : البدو والحضر  
وقول الشيخ حنيف الدين المرشدي<sup>(٥)</sup> :

أُمسى وأصبح من تذكاركم وصبها يرثي لى المشفقان : الأهل والولد  
قد خدد الدمع خدى من تذكركم واعتادنى المضنيان : الوجد والسكد<sup>(٦)</sup>  
وغاب عن مقلتي نومي لبعدهم وخانني المُسعدان : الصبر والجلد

(١) العمدة — ٢ — ١١٢ وفي الصنائع — ٤١٢ نسبها العسكري إلى أحمد بن أبي طاهر .  
وفي زهر الآداب — ٤ — ١١٢ نسبها الحصري لأبي الحسن أحمد بن محمد الكاتب . وفي  
خزاة الأدب — ٢١١ نسبها الجوى إلى ابن الرومي وجاء البيت هكذا .

أبو سليمان إن جادت لنا يده . . .

(٢) في بعض الروايات : النيران .

(٣) العين : ذات الشيء ، والحاضر من كل شيء . والآثر : بقية الشيء .

(٤) فلائذ المعيان لا فتاح بن خاقان — ٢٧٨ — وفيات الأعيان لابن خلكان — ١ — ٤٧٣ .

(٥) سلافة العصر — ١٠٣ .

(٦) المسعد : المعين .

لا تَعْرِوْ للدمع أن تجرى غواربه وتحتنه المظلمان : القلب والكبد  
 كما نما مهجتي شملو بمسبعة ينتابها الضاريان: الذئب والأسد (١)  
 لم يبق غير خفي الروح في جسدي فدى لك الباقيان : الروح والجسد  
 وليست هذه القطعة من الشعر الجيد، ولكن أبتنتاها لنضعها تحت مجهر  
 النقد، وقد وصف الحموى هذه الأبيات: بأنها عامرة بالمحسن في هذا الباب.  
 ثم استدرك فقال: غير أن أهل النقد الصحيح ماسكتوا عن تقصير في البيت  
 الأول حيث قال فيه:

« رثى لى المشفقان : الأهل والولد ،  
 فإن شفقة الأهل والولد معروفة ، والمشفق إذا رثى لشكوى أهله ،  
 أو الولد إذا رثى لشكوى والده ، كان ذلك من تحصيل الحاصل .  
 والمراد هنا: أن يقول: رثى لى العدو، ورق لى الصخر، وأشبه ذلك (٢).  
 وهذا نقد حسن ، ولكن عيبه : أنه وقف عند هذا البيت وحده ، وكان  
 يجب أن يلمسحب على أبيات آخر ، فلامعنى لوصف « القلب » و « الكبد »  
 بالظلام ، لأن هذا ضد المتعارف عندهم فى هذا الموطن ، فقلب العاشق يصور  
 دائماً ، بأنه أبيض متوهج منير ، لا مثلاً له بالحب والعطف والحنان على غيره  
 من القلوب ، لأنه جرب المحنة ، وخبر البلاء !  
 وهذا العباس بن الأحنف يقول :

يرقُّ قلبى لأهل العشق أنهم إذا رأونى وما ألقى يرقونا  
 ويقول المتنبى - وهو من المكثرين فى هذا المعنى - :  
 وعدلت أهل العشق حتى ذقتهم فعبجت كيف يموت من لا يعشق  
 وعذرتهم وعرفت ذنبى أنى غيرتهم فالحقيت منه ما لقوا  
 ويقول :

لا تعذُّل المشتاق فى أشواقه حتى يكون حشاك فى أحشائه

(١) الشلو بالكسر ، والشلا بالفتح : العضو ، والجسد من كل شيء . والمسبعة :  
 الأرض الكثيرة السباع .

(٢) خزنة الأدب للحموى - ٢١١ .



إن القتييل مضرّجا بدموعه مثل القتييل مضرّجا بدمائه  
ويقول سعيد بن سئلم — وقد قيل له : إن ابنك شرع في الرقيق من  
الشعر — دعوه ينظّف ويظرف ويلطف (١) .

يريد لعله يتصف بالعشق ، فيصير إلى هذه الصفات .  
وقد يبلغ من رقة المحب المخلص : أن يتمنى لمحجوبه المعافاة من الحب  
شفقة عليه ، ورحمة به مما يكابده هو ؛ فيقول البحترى :  
أعيذك أن تُنمى بشكوى صباية وإن أكسبتنا منك عطفاً على الصب  
ويقول شاعر عصرى (٢) :

وقى الله « ليلي » أن يعلم بها الهوى وإن ساحت تحت الهوى بوصال  
إذا رحت من ليلي سقيماً وعوفيت فليست أبالي بالسقيم ، لست أبالي  
كفائي من حبي لها وصبايتي بها : أنها باتت عروس خيالي  
ولهذا المعنى سمعنا الشاعر يقول :  
ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى ، وفؤاد من لم يعشق  
فقلب التشبيه مبالغة .

وذلك ، لأنه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره : توصف  
بالسواد ، فيقال : اسودّ النهار في عيني ، وأظلمت الدنيا علي ، جعل يوم  
النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام ، فشبهه به ، ثم عطف عليه  
« فؤاد من لم يعشق » نظراً وإتماماً للصفة .

وقد جرت العادة : أن الإنسان الغزل يدعى القسوة على من لم يعرف  
العشق ، والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فصار هذا القلب عنده  
أصلاً في الكدرة والسواد ، فقاس عليه ، وعلى هذا قول العامة : ليل  
كقلب المنافق أو الكافر .

وكان في الإمكان أن يبرأ من العيب لو قال : « الأبيضان : القلب

(١) تزيين الأسواق لداود الإنطاكي — ١١ — زهر الآداب — ٣ — ٨٩ .

(٢) أغاريد السحر — ٣٢٥ .

والكبد ، على هذا المعنى المتقدم ، وقد جاء في ذلك : قول ابن أبي مرة  
المسكي — كما رواه ثعلب — :

إن وصفوني فناحل الجسد أو فتشوني فأبيض الكبد  
أو لو قال : الأكرمان : فقد جاء وصفهما بذلك . أو « الذائبان »  
أو « المذنفان » أو حتى « الأشيبان » على معنى شيهما من شدة الوجد ، وبرح  
الضباية ، وقد جاء هذا في قول أبي تمام :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد  
وكذاك القلوب في كل بؤس ونعيم طلائع الأجساد  
كما جاء في قول المتنبي (١) :

إن لم يشب فلقد شاب له كبد شيباً إذا خضبته سلوة نصلاً (٢)  
وفي قول ابن زيدون (٣) :

فشببت وما للشيب وخط بمفرقي ولكن لشيب الهم في كبدي وخط (٤)  
ولا عبرة بما أخذ النقاد على هذه الاستعارات (٥) ، فقد أخطئوا من حيث  
أصاب الشعراء ؛ فالقلب يشيب ، والكبد تهرم ، وهما يوصفان بالركة  
والغلظ ؛ والنقاد كثيراً ما يدق عليهم تصور إحساس الشعراء ، وإدراك  
ما يدركونه من المعاني العاطفية .

وقال : « ينتابها الضاريان : الذئب والأسد » .

والضراوة ليست قصراً على هذين الوحشين ، فالضواري كثيرة العدد ،  
وقد يقال : إن الأسد لا بد منه لأنه قافية البيت ، وسيد الوحوش ، فذكره  
يفيد المبالغة ، ولكن لماذا خص الذئب بالذكر ، وهو ليس أضرى من النمر

(١) ديوان المتنبي شرح البازجي — ١٢ .

(٢) فصل : ذهب خضابه : يريد : أن شيب كبده إذا خضبته سلوة لم يثبت خضابها ،  
لأنه سرعان ما يعود إليه الشوق .

(٣) من قصيدة يخاطب بها ولادة ، ويستعطف ابن جهور — فلائد العتابان — ٨٢ .

(٤) وخط الشيب : انتشاره .

(٥) من ، أخذ القاضي الجرجاني على أبي تمام .

والفهد مثلا ١١ ثم ما هذه المهجة التي يبلغ من عظمها أن يجتمع عليها الذئب  
والأسد ١١

ومادة الانتياب تفيد الرجوع مرة بعد أخرى ، ومن عادة الأسد -  
كما يقال- ألا يرجع إلى فريسة أكل منها ، كما أنه لا يأكل من فريسة غيره  
مهما نال منه الطوى ، ولو كانت مهجة هذا الشاعر المضحك ١١  
فهذا الوصف لغو وسخف ومبالغة بلغت حد الإحالة ١ ولكن انظر  
كيف تهش النفس للوصف وتسيغه ، لأنه لا يجافى الطبيعة ، ولا ينبو عن  
الواقع في قول أبي مرة المكي :

كان قلبي إذا ذكرتكمو فريسة بين ساعدى أسد  
وقول عروة بن حزام :

كان قطاة عالتت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان  
وقول المجنون :

كان القلب حين يقال يُغدى بلسلى العامرية أو يُراح  
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح (١)  
وقول بعض العصريين (٢) :

مرايح غزلان تعفّت ولم تسكن سوى متعة الأرواح والسمع والبصر  
ندى بها «ليلي» وريقها الطللا وروحى وريحانى الأحاديث والسمير  
كان فؤادى يُسحر الجمر فوقه إذ أعادت الذكري، ويوخز بالإبر  
هكذا القلب أو الكبد حين تعودها ذكرى الأحباب ، وهكذا .

هما حين يوصفان بالخفوق أو بالانتياح .  
ويدت الشاعر الأخير :

لم يبق غير خفى الروح فى جسدى .. ..

أقبح أبياته ، وأجمعها اضطروب من المثالب ١

فوصفه الروح بالخفاء : حشو وفضول لا داعى له : فالروح لا تكون

(١) عزها : غلبها .

(٢) ألحان الأصيل - ٢٩٧ .

إلا خفيّة ، ولا ترى إلا بآثارها كالكمربى ، والله — سبحانه — يقول :  
 « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » .  
 وإذا كانت هذه الروح الخفية باقية في جسده — كما صرح — فما الذى  
 يشكوه ؟ وماذا يريد وراء ذلك ؟ أليس هذا يساوى قوله : إنه حتى يسعى  
 ويضطرب كسائر الناس الذين عافهم الله من محنة الغرام .  
 وقد نسلم له بالعشق مع بقاء روحه التى تشبه روح القطاط ، فليس من  
 الضرورى أن يموت الصب — وإن برّح به الهوى — ولكن ما معنى بقاء  
 جسده فى قوله :

فدى لك الباقيان : « الروح والجسد »

أما كفاه أن تبقى له روحه حتى يضم لها بقاء جسده ! وكيف يتسق هذا  
 لمن يزعم أنه محب ولهان ، وأقل ما يذكره المحبوب فى هذا المقام : نحول  
 الجسد بل فنأوه ؟

وذلك كقول المجنون (١) :

ألا إنما أبقيت يا أم مالك صدّى أينما تذهب به الريح يذهب (٢)  
 وقول بشار :

إن فى بردىّ جسما ناحلا لو توكت عليه لانهدم  
 وقول نصر :

ضنيت حتى صرت لوزجّى فى مقلة النائم لم ينتبه  
 وقول ابن العميد — وقد أخذه من سابقه — :

لو أن ما أبقيت من جسدى فدى فى العين لم يمنع من الإغضاء  
 وقول ابن عبد ربه :

لم يبق من جثمانه إلا حشاشة مبتس  
 قد رق حتى ما يرى

(١) الأغاني — ٢ — ٢٠ .

(٢) أم مالك : كنية لىل العامرية .

(٣) يتيبة الدهر — ١ — ١٠٢ .

وقول المتنبي — وهو من أكثر وافي هذا المعنى وغالوا فيه — :  
روح تردد في مثل الحلال إذا أطارت الريحُ عنه الثوبَ لم يبين<sup>(١)</sup>  
كفى يحسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى  
وقوله :

وشكىتنى فقدُ السقام لأنه قد كان لما كان لى أعضاء  
وقوله :

حلت دون المزار فالיום لوزر ت ل حال النحول دون العناق  
وقوله :

دون التعاق ناهلين كشكتى نصب أدقهما وضم الشا كل<sup>(٢)</sup>  
وقوله :

ولو قلم ألقيتُ في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب  
فهذا الشاعر حينما يقرر : أن جسده باق ، ولا يتلطف بأن يصفه : أنه  
سقيم أو نحيل — ولو ادعاء — ينادى على نفسه : بأنه خلو من تباريح الصبابة  
ولو اعجب الغرام ، وهو في هذا يخالف مذاهب العشاق قديماً وحديثاً ١١ .

وقد رأينا بعض المغرمين — حينما رأى جسمه صحيحاً معافى  
بخلاف ما جرت به العادة — اخترع لذلك علة طريفة ، تبرئه من جناية  
السلو ، وتدرأ عنه سهام اللوم ، فقال :

وقائله : ما بال جسمك لا يرى سقيماً وأجسام المحبين تسقم  
فقلت لها : قلبي لجسمي لم يُحجج بحجى ، لجسمي بالهوى ليس يعلم  
فلم يبق بعد ذلك ، إلا أن تكون هذه الآليات المتقدمة خالية من  
الحاسن ، لا كما رأها د الهوى ، عامرة بالمحاسن ١١ .

(١) تردد . يجوز أن يكون ملامحياً على أن الروح مذكر وهو الأكثر ؛ أو ملامحاً  
مضارعاً على تأنيثها والأصل : تردد فخذت إحدى التاءين تخفيفاً .

(٢) يصف نحوله ونحول محبوبته من الشوق ؛ فيشبههما بفتحتين دقق السحاب رسمهما  
وقرب إحداهما من الأخرى .

ومن نظم ابن أبي الإصبع في التوشيع قوله (٣) :  
 في محنتان ملام في هوى بهما يرى لى القاسيان : الحب والحجر  
 لولا الشقيقتان من أمنيّة وأسا أودى في المرديان : الشوق والفكر (٢)  
 وقد قال عنهما : وما بشعر قلته هنا من بأس (٣) .  
 وهذا يشعر باستحسانه لهما .

ويقول الحموي : رأيت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع : رحم الله  
 الشيخ ! لوقال : «الشوق والسهر ، لكان أتم وأحسن .  
 ولا مزية في صواب هذا الرأى ، ولكن فأت هذا الناقد : أن الشعر  
 كله لا يصلح بهذا الترقيع ، لأنه فاسد من الأساس ، فهو ركيك النسيج ،  
 واهن التركيب ، متكلف الألفاظ ، غامض المعنى ، خال من البهجة والرشاء ،  
 وأحسن ما يقال فيه : إنه نظم عالم فقهه لا أديب ذواقه ، ترى : ما هما  
 «المحنتان مثلاً؟ ولم لم يقل : في غادتان على نحو ما قال ابن عبد ربه :  
 أطلاب ذحل ليس في غير شادن بعينه سحر فاطلبوا عنده ذحلي (٤)  
 وفي بعض الروايات : لى محنتان (٥) . والتركيب به أشد ضعفا .  
 ولا تكاد يحس رابطة بين المصراعين في البيت الأول .  
 ثم ما هذا الخلط بين الحب والحبيب في القسوة؟ فالحبيب هو الذى يصح وصفه  
 بها ، وأما الحب فيمكن أن يذكر ، فنتمثل فيه كل معاني الرحمة والعطف  
 والشفقة ، وحسبنا أنه « الحب » .  
 ثم أى علاقة بين الحب الرقيق العذب ، وبين الحجر الخشن الغليظ  
 فنقرنه به ! .

- 
- (١) خزائن الأدب للحموي - ٢١١  
 (٢) الأسا : جم أسوة بالضم والكسر فهما ؛ والمراد بها : التأسى والصبر . وفي  
 نهاية الأرب - ٧ - ١٤٩ : الشقيقتان .  
 (٣) لى نهاية الأرب - ٧ - ١٤٩ : وما بما قلته في هذا الباب من بأس .  
 (٤) الذحل كجعل : الثأر .  
 (٥) حسن التوسلى للحلبى .

ثم من قال : إن الأمنية شقيقة الأسوة والصبر ؟ وأى جامع بينهما ؟  
 إن الأمنية : شقيقها الأمل والرجاء وما إلى ذلك .  
 ثم إن العوق قد يردى المشوق ، ولكن من قال : إن الفكر يرديه ،  
 ألا يصح أن يكون تفكره في أشياء لذينة سارة كاللقاء والوصال ، وإذن  
 فالفكر على إطلاقه لا يتسق وصفه بأنه يردى ، وإنما يجب تقييده حتى  
 يدل على المراد .

ومن ينعم النظر في التوشيح ، يرى أنه : شعبة من الإطناب ؛ فالغرض  
 المعنوى منه : الإيضاح بعد الإبهام ، وأن أكثر أمثاله جاءت في النشر ، وأنه  
 — حينما يحى منشورا يحسن دائما ، لأنه يقع موقعه الطبيعي لسهولة إيراد  
 على هذا الوجه دون تعسف في الصيغة ، وتصيد للبعاني الغامضة ، وجلب  
 للروابط المفككة ؛ لأنه إما أن يأتي في صورة حكم تسلم بها العقول ؛  
 كقوله — عليه الصلاة والسلام — : « صنفان من أمتي إذا صلحا صلح  
 الناس ، وإذا فسد فسد الناس : الأمراء والفقهاء » وقوله : « أهلك الرجال  
 الأحرار : الخنزير واللحم »<sup>(١)</sup> ، وقوله : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة  
 الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء  
 لا يحبه إلا الله »<sup>(٢)</sup> . وقول على — كرم الله وجهه — : « شتان بين عاملين :  
 عمل تذهب لذته ، وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مشونته ويبقى أجره »<sup>(٣)</sup> .

أو يكون كلمات واردة على صيغة التثنية حقيقة أو تغليباً ، تلقاها الناس  
 خلفاً عن سلف ، وتعارفوها ، واستفاضت شهرتها لديهم .

فمن المثني الحقيقي : الأمران : الفقر والهرم ، أو العرى والجوع .  
 الكريمان : الحج والجهاد . الأجودان : البحر والمطر ، وكذلك الأغزران .  
 الأصغران : القلب واللسان ، الأعزّان : الأهل والولد . الأعميان : السيل

(١) ديوان الصبابة — ٦٢ .

(٢) فتح المبدى — ٤٩ — ٥٢ ط الحلبي .

(٣) نهج البلاغة ٢١٠ — ٢١٦ .

والحريق . الحياتان : البقاء في الدنيا ، والثناء الحسن بعد الموت .  
 الأكرمان : الدين والعرض ، والقلب والكبد . البازيان : الأعشى  
 وجرير . البحران : البحر المالح والبحر العذب ، أو بحر فارس وبحر الروم .  
 الحرمان : مكة والمدينة . الحجران : الذهب والفضة ، وكذلك .  
 الحبيبان . الحكمان : أبو موسى الأشعري وعمر بن العاص . الحكيمان :  
 أبو تمام والمتنبي . الثقلان : الإنس والجن . الأصفران : الزعفران  
 والذهب ، أو الورس<sup>(١)</sup> والزبيب . السبطان : الحسن والحسين ،  
 وكذلك الشهيدان ، والريحانان . الصادان : الصاحب والصابي . الميتان :  
 الحوت والجراد . الكريمتان : العينان . الكنزان : ملك الشام وفارس .  
 القبلتان : الكعبة والمسجد الأقصى . المسجدان : مسجد مكة والمدينة .  
 العذابان : السفر والبناء . المصران : البصرة والكوفة . الرمانان :  
 الحلوى والحامض . السكرتان : حب العيش وحب الجمل . الكاتبان :  
 ملك الحسنات وملك السيئات . الرافدان : دجلة والفرات . السماكان :  
 السماك الراح والسماك الأعزل<sup>(٢)</sup> . الأطيان : الأكل والنكاح ، أو النوم  
 والنكاح ، أو التمر واللبن ، وقيل غير ذلك . الأعذبان : الطعام والنكاح .  
 الأبيضان : اللبن والماء ، أو الشحم والبيض ، أو الخبز والماء ، أو الملح  
 والخبز ، أو الماء والقمر ، وقيل غير ذلك . الأشهبان : عامان أبيضان  
 ليس بينهما خضرة من النبات . الخافقان : المشرق والمغرب<sup>(٣)</sup> .

والثنى الجارى على التغليب ، معدود من المجاز — كما صرح به ابن  
 شريف الحسيني في شرح الفوائد الضيائية — لأن اللفظ فيه غير مستعمل  
 في الموضوع .

ويغلب أحد المتجاوزين والمتشابهين على الآخر : بأن يجعل الآخر  
 مسمى باسمه ادعاء ، ثم يثنى ذلك الاسم قصداً إليهما جميعاً .

(١) الورس: نبات أصفر يشبه السمسم .

(٢) السماكان : نجمان نيران ، أو هما رجلا الأسد .

(٣) لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .



— ١٣٦ —

ويجب تغليب الأخف إلا إذا كان الأثقل مذكرا .  
وشرط ابن الحاجب أن يغلب الأدنى على الأعلى ، كالقمرين ؛ فالقمر  
دون الشمس ، والعمرين ؛ فأبو بكر أفضل من عمر (١) .  
وعكس الطيبي ، فشرط تغليب الأعلى .

وخالفهما السيوطي في شرح عقود الجمان ، فقال : والذي نختاره خلاف  
قولهما ، بل يكون التغليب للأفضل وللأخف ولغير ذلك .

ويقول المبرد (٢) : تقول العرب : القمران ؛ تعني الشمس والقمر ،  
تفعل ذلك في الشيتين ، إذا جريا في باب واحد : أى لمعنى غلب في الشيتين ،  
كالنور في القمرين ، والنسل في الأبوين ؛ قال الفرزدق :

أخذنا بأطراف السماء عليكم لنا قراها والنجوم الطوالع  
يريد : الشمس والقمر ، لأنهما قد اجتمعا في قواك : النيران ، وغلب  
الاسم المذكور .

وقالوا : العمران لأبي بكر وعمر ؛ لأن عمر : اسم مفرد ؛ فآثروا  
الحقة هنا مع أفضلية أبي بكر ؛ قال جرير :

وما لتغلب إن عدوا مساعيهم      نجم يضىء ولا شمس ولا قمر  
ما كان يرضى رسول الله فعلهم      والقمران : أبو بكر ولا عمر  
وروى : والطيبان .

ثم يقول المبرد : ومن قال : العمران : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز  
لم يصب ؛ لأن أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب — رضى الله عنه — :  
أعطنا سنة العمرين .

ومع ذلك روى أن قتادة : سئل عن عتق أمهات الأولاد ، فقال : قضى  
العمران فما بينهما من الخلفاء بعثتم : يريد عمر بن الخطاب ، وعمر بن  
عبد العزيز .

ومن أمثلة المثني الجاري على التغليب : الأبوان : الأب والأم .

(١) هذا هو المشهور والأرجح ، ولأمانه أن يراد بالعمرين : عمر بن الخطاب ، وعمر بن  
عبد العزيز .

(٢) السكامل للمبرد ، ورغبة الأمل للمرصني — ٢ — ١٣١

الأخوان : الأخ والأخت . الأبيضان : الشحم والشباب ؛ لأن الشباب لا لون له . الأخضران : البحر والليل ، غلب الليل ؛ لأن البحر ليس بأخضر في الحقيقة . الأصيلان : الغداة والعشى ، غلب العشى . الباكران : الصبح والمساء . البصرتان : البصرة والكوفة ، لأن البصرة أقدم ، الحيرتان : الحيرة والكوفة ، لأن الحيرة أقدم . الرجبان : رجب وشعبان . الصفران : صفر والمحرم . العشاءان : المغرب والعشاء . المروتان : الصفا والمروة . المسكتان : مكة والمدينة (١) .

وأما الشعر فقد وقع فيه فلتات ، والمطبوع منه لا يجاوز المرة الواحدة ينفتح بها الإلهام من غير طلب لها ؛ كقول الشاعر :

شيثان لو بكت الدماء عليهما عيناى حق تؤذنا بذهاب  
لم تبلغنا المعشمار من حقيهما : فقد الشباب وفرقة الأحباب

فهذا كلام متسق النظم ، مطرد التعبير ، يشرق بماء الطبع السمع ، تسوده نغمة حزينة هادئة تبعث الشجا ؛ لصدورها عن عاطفة صادقة ، فليس آلم للبر ولا أشد عليه من فقد شبابه وفرقة أحبابه ! !  
وسواء أكان الأحباب بمعنى الحبايب المعشوقات ، أو الخلطاء الأصفياء ، فالمرء واحد ، والرزاءان متكافئان ! !

بل إن بعضهم يرى فراق الصديق أنكى من فراق الحبيب ، كما يقول بعض الشعراء :

فراق أخ يعطى المودة حقها أضر وأنكى من فراق حبيب (٢)  
ففقد الشباب جماع المصائب كما يقول ابن الرومي :

أرى المرء مذيلقى التراب بوجهه إلى أن يوارى فيه رهن المعاطب  
وإن لم يُصب إلا بشرخ شبابه لكان قد استوفى جميع المصائب

(١) انظر جى الجنين للمعجبى ، وأدب الكاتب لابن قتيبة .

(٢) الأوراق للصوى - ١ - ١٦٣ .

ثم أتى المتنبي ، فبكاه قبل فقده ضنا به ، وحرصاً عليه فقال :  
 ولقد بكيت على الشباب ولم تى مسودة ولماء وجهى روتق  
 حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق  
 أما فراق الأحبة ، فهو عندهم أخو الموت ، وفي ذلك يقول الأبيورد  
 ابن المعذر الرياحى - يرثى أخاه بريدا - :  
 وكنت أرى هجراً فراقك ساعة ألا ، لا بل الموت التفرق والهجر  
 وقد أخذه أبو تمام فقال :

الموت عندى والفراق كلاهما مالا يطاق (١)  
 وجعله المتنبي علة الموت فقال :  
 لولا مفارقة الأحباب ما وحدث لها المتنايا إلى أرواحنا سبيلا  
 وحذا السهامى حذوه فقال :  
 حازك البين حين أصبحت بديراً إن للبدر فى التنقل عذرا  
 فارحلى إن أردت أو فأقيمى أعظم الله للهوى فى أجرا  
 لا تقولى : لقائنا بعد عشر لست بمن يعيش بعدك عشرا  
 بل كثيراً ما نجدهم يقرنون فراق الشباب بفراق الحبيب أو الصديق ،  
 لتلاقيهما فى فداحة الخطب !

يقول الأصمعى : أحسن أنماط الشعر : المراثى ، والبكاء على الشباب (٢)  
 ويقول كثير عزة : ذهب الشباب فما أطرب ، وتولت عزة ،  
 فما أنسب ، ومات ابن أبى ليلى ، فما أرغب (٣) .  
 ويقول الشبلى الزاهد :

مضت الشبية والحبيبة فانبرى دمعان فى الأجفان يزدهمان  
 ما أنصفتنى الحادثات رمينى بمودعين وليس لى قلبان

(١) الموازنة - ٩٨ - .

(٢) العقد الفريد - ٢ - ١٧ .

(٣) ابن أبى ليلى : عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - .

ويقول ابن نباته :

فقدت الهوى لما فقدت شبيبتي وأوجع مفقود : هوى وشباب  
ويقول شوقي في رثائه لإسماعيل صبرى :  
ذهب الشباب فلم يكن زرنى به فوق المصاب بصفوة الألاف  
والتوشيع فى الشعر السابق :  
شيثان لو بكت الدماء عليهما . . . . .  
لم يأت حسنه من دقة الصياغة فقط ، ولكن لصحة المعنى ، وصدق  
العاطفة ، وقوة الرابطة بين الاسمين المفسرين لمثناه : « فقد الشباب وفرقة  
الأحباب » .

وانك لو اجد هذا الحسن فى قول ابن المعتز :

سقتنى فى ليل شبده بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب  
فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجى وشمسين من نحر وخذ حبيب  
فالشعر والدجى : ليلان بسوادهما ، وهذا الجامع حسن اقترانهما .  
والنحر وخذ الحبيب : شمسان بحمرتهما وتوهجهما ، فليس فى الجمع بينهما  
بعد ولا استكراه .

وزاد فى جمال الصورة وفتنتها التقاء الأضداد : ليلان وشمسان ! وكيف

يجتمع الليل والشمس ؟ !

ألم يقل إمام العبد لمن سأله عن السبب فى عدم زواجه .

يا خليلي وأنت أى خليل لا تلم راهباً بغير دليل .  
أنا ليل وكل حسناء شمس فالتقائى بها من المستحيل  
وقد سبقه فى ذلك سعيد الكاتب التستري فقال :

قلت : زورى فأرسلت أنا آتيك بسحرة  
قلت : فالليل كان أخفى وأدنى مسره  
فأجابت بحجة زادت القلب حسره  
أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكره

ولكن خلاصة البيان، وسحر الافتنان، الذى يصور المحال ممكنا، والبعيد قريبا، ويؤلف بين المتنافرين، ويواخى بين المتعادين؟

ولا بأس — إذن أن نرى شمسا ساطعة، وليلا دامسا فى تصوير الشعر، بالرغم من نواميس الطبيعة ! ألم يقل المتنبي :

رأت وجه من أهوى بليل عواذلى فقلن نرى شمسا وما طلع الفجر  
وكرر هذا المعنى، فقال :

غصن على تسقوى فلاة نابت شمس النهار ثقيل ليلا مظلم (١)  
لم تجمع الأضداد فى متشابه إلا لتجعلنى لغرمى ممغنا (٢)

وما أعجب به العلوى، ووصفه بحسن النظم، ورقة الجلد، والدقة وحسن الانتظام والفصاحة، قول بعض المتأخرين :

يامن له الأطييان : المجد والكرم	ومن له الماضيان : السيف والقلم
ومن خلائفه كالروض ضاحكة	فطبعه الأحسنان : الجود والشم
أنت الجواد وأنت البدر لا كذب	يمحى بك الأسودان : الظلم والظلم
هناك ربك ما أولاك من نعم	لا مسك المؤذيان : السقم والألم
وعادك الشهر أعواما مكررة	ما عظيم الأشرفان : البيت والحرم

وفى رأينا : أن الآيات لا تستحق هذا الثناء المفرط، ففيها ثغرات تستوجب المؤاخاة :

لحسن قوله : الماضيان : السيف والقلم ؛ فكلاهما يوصف بالنفاد والمضاء، وكلاهما بعيد الأثر فى قيام الممالك وسقوطها، وكلاهما يخشى بأسه

(١) أى هى : غصن، وهى : شمس ؛ فهما خبران لمتدأين محدوفين . والقوافى بفتح النون والقاف : مثى ثقا، وهو الكتيب من الرمل . وثقل : تحمل .

(٢) أراد بالأضداد : ما ذكره فى البيت السابق من الأشياء التى شبهها بها، وبالتشابه : شخصها الذى تشابهت أعضاؤه فى حسن الخلق وتناسبه : أى لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة فى هذا الشخص المتشابه الحسن، إلا لتجعلنى غنيمة لما يصيبى من الغرم فى حبها .

ويرهب حده ، وتهاب صولته ، وكلاهما يسود صاحبه ، ويرفعه إلى أعلى الدرجات ، ويبلغه أقصى الغايات .

هذا إلى أنهما في الأذهان مقترنان ، وإلفان متآلفان ، وصنوان لا يفترقان ، حتى جرت العادة من القديم أن تعقد بينهما المناظرات والمفاخرات ، والموازنات ، كما فعل ابن الوردي (١) ، والقلقشندي (٢) وابن نباتة (٣) ، فضلا عما صاغه الشعراء في تفضيل أحدهما على الآخر ، وهو جملة وافرة في الشعر العربي .

وجميل قوله : الأسودان : الظلم والظلم .  
فكلاهما : أسود ، فالظلام أسود حقيقة ، والظلم أسود مجازا ، وكلاهما شنيع بغيض مخوف ، يملأ النفس وحشة ورهبة وفزعاً .  
ويبينهما جناس جميل خفيف غير متكلف ولا مجلوب : جناس في الصورة الظاهرة والباطنة : في اللفظ والمعنى .  
وقد قويت بينهما الرابطة ، حتى لقد ذكرا مقترنين في الآثار والشعر .  
ففي الحديث : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .  
وقد أخذه أبو تمام فقال :  
جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة      أضاء لها من كوكب الحق آفله  
وأخذه آخر فقال :

والظلم مشتق من الظلمه

ونظر إليه البوصيري في قوله :

ظلمت سُنة من أحيا الظلام إلى      أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وأما ما عدا ذلك فلبس بشيء ، فهو معيب منتقد ،

فالمجد والسكرم لا يوصف أحدهما بأنه : طيب ، ولم يقل ذلك شاعر

(١) ديوانه - ١٥٨ .

(٢) صبح الأعشى - ١٤ - ٣٣١ .

(٣) خزائن الأدب للحموي - باب التفابير - ١٠٣ الخ .

ولا نائر ، وإنما يقال مثلاً : مجد أثيل ؛ ومؤئل ، وتليد وقديم ، ومثله  
الكرم إن أريد به الأصالة والشرف ، فإن أريد به السخاء والجود ، وصف  
بأنه : واسع وغامر وما إلى ذلك .

والجود والشيم ليس يجمعهما قران ، وإنما يقرن الجود بالشجاعة ، وهما  
خلق الفتوة العربية .

يقول مسلم بن الوليد — وهو أصل كل معنى يشبهه — :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها      والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
ويقول أبو تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى      ووغى ، ومُبدى غارة ومعيدا  
أيقنت أن من السماح شجاعة      تدمى ؛ وأن من الشجاعة جودا  
ويقول المتنبي :

هو الشجاع يعد البخل من جُبُن      وهو الجواد يعد الجبن من بَخل  
ويقول أيضاً :

فقلت إن الفقى شجاعته      تريه في الشح صورة الفرق<sup>(١)</sup>  
ويقول مبيار :

سخا بهم أن السخاء شجاعة      وشجعهم أن الشجاعة جود  
ويقول مبيار أيضاً :

وإذا الخلال الصالحات تكاملت      فهي الشجاعة وأخوها الجود  
ويقول البديهي :

ولما اختبرت علمت غير مدافع      أن السماح سجية الأبطال

(١) الفرق : الفرع .

ويقول صرّ دُر في مدح القائم بأمر الله العباسي :

ضمير جلافة صيقل الحلم والتقى وكف حباها الله بالجود والباس  
وهكذا قلّ أن نرى مدحا بالشجاعة إلا مقرونا بذكر الكرم ، ولا  
مدحا بالكرم إلا مقرونا بذكر الشجاعة ؛ لأن الشجاعة جود ،  
والجود شجاعة .

على أن الجود يندرج تحت حسن الشيم التي هي الطبايع ، فذكره  
معا فضول ؛ لأنه ليس أولى من غيره كالحلم والعقل والتقى مثلا ، ولو قال :  
الأحسنان : البأس والكرم ؛ لا تنفي عنه اللوم .

وأنت الجواد وأنت البدر ... « البيت » : بين المصراعين بعض  
تخالف ، فالبدر يمحى به الظلام ؛ ولكن الجواد لا يمحى به الظلم ؛ ولكن  
يمحى به الفقر مثلا ، ولو قال : أنت الضياء وأنت العدل لبرى  
من اللوم .

والسقم والآلم في غاية القبح ؛ لأن السقم قد يمكن وصفه — على  
ضعف — بأنه مما يؤذى ، لأنه مؤثر على كل حال ، ولكن كيف يوصف  
الآلم بذلك ، وهو أثر للسقم أو لغيره .

وكان يمكن أن يقول : الأقباحان : الفقر والحرم .

والأشرفان : البيت والحرم ، مما ينتقد عليه ؛ ماذا يريد بالحرم ؟  
هل هو ما حول الكعبة ؟ أريد مكة والمدينة ، فهما يسميان الحرمين ،  
وحرمي الله ؟

والمتبادر إلى الذهن : أنه يريد ما حول البيت العتيق ، وهو مع شرفه  
لا يسمّى البيت نفسه .

ولو أنه ذكر مع البيت المعظم ، الروضة النبوية ، التي هي روضة من



رياض الجنة كما جاء في الأثر<sup>(١)</sup> ، أو القبر الشريف الذى هو أفضل مكان  
ضم أفضل جسد<sup>(٢)</sup> ١١ لآتى بشيء حسن مختار .

وإنك لتحسن الحسن يترقرق فى قول شوقي<sup>(٣)</sup> :

والناس صنفان موتى : فى حياتهم وآخرون يبطن الأرض أحياء  
تأبى المواهب ، فالأحياء بينهم لا يستوون ، ولا الأموات أكفاء  
فالتوشيع فى البيت الأول ، أتى عفو الخاطر ، وفيض القريحة ،  
ومساواة البديهة ، حاملا إليك حقيقة ناصعة لا يمتري فيها اثنان ، ولا  
يترى به : أن المعنى مطروق أو مسبوق ، فانتظامه فى سلك القافية ، ألقى عليه  
أشعة زاهية من الجودة والطرافة ، فصار أحق به .

وقد وقع لبعض العصريين طرف من ذلك : يقول من قصيدة عنوانها  
شباب العروبة<sup>(٤)</sup> :

عهد الشباب رطيب الظل وارفه فبادرا فوته فالظل متنقل .  
أيامه ولياليه منورة فيها الجمال ، وفيها البشر والأمل  
مضى حيث الخيال المندرك كيف مضى ماضى لو رجعت أيامنا الأول  
ونحن من بعده أنضاء معركة سلاحها الانكدان : الشيب والعلل  
وقوله من قصيدة أخرى عنوانها : جنانية الاسماء : بطّسن فيها الهزل  
بالجد<sup>(٥)</sup> :

قالوا الخطوظ له عن وجهها سقرت وتوجته بتاج السبق والغلب

(١) فى الحديث : « بين يلقى ومنرى روضة من رياض الجنة » .

(٢) قال القاضى عياض : ولا خلاف : أن موضع قبر النبى - صلى الله عليه وسلم -  
أفضل بقاع الأرض .

(٣) من قصيدة له فى ذكرى شكسبير الشوقيات - ٢ - ٥ .

(٤) أغاريد السحر - ١١١ .

(٥) ألحان الأصيل - ١١٤ .

وأن جيبى كبطنى راح منتفخا يكاد ينشقّ عن دأوراقه، القشْب  
وأن لى الدار كالأهرام شاحخة لهنى على أجر ضبّ بينهم خرب  
لله آباؤهم ١١ هل نال ذوجدة مانال بالأجوفين: الشعر والخطب (١)  
أستغفر الله لى بيتان ما جُهِلا بيت القريض، وبيت المجد والحسب  
هذا شرود على الأيام مغترب وذا مقيم يناغى النجم عن كشب  
فأنت لا تشك أن التوشيع فى هاتين المقطوعتين غير مقصود ولا  
مستجلب ، وأن سياق المعنى هو الذى استدعاه ، فلبى طامعاً .  
فالحديث عن ربيع الشباب المونق السمرّيع الطلق النضر، أفضى إلى ذكر  
الشيب والمرض ، وهما الثمرة المرة التى نقطفها كارهين فى خريف العمر  
الذى يذسخ ربيعهم ، فما أحلى الشباب لو كان دائماً ١١  
كما أن الشيب والمرض هما الرحى الثقيلة التى تطحننا بها الأيام فى هذه  
السن العالية ، من حيث لا نملك لها قوة ولا دفعا ١١  
والأجوفان : الشعر والخطب : ترديد لما قرّ فى أذهان الشعراء والادباء  
— إن حقاً وإن باطلاً — عن « حرفة الأدب » وما تجر على أهلها من الشقوة  
والحرمان فى كل عصر ومصر ١١  
ما فيه « لو » ولا « ليت » ، فتنبه له وإنما أدركته حرفة الأدب (٢)  
وبيت القريض وبيت المجد ، لا يخفى ما بينهما من الرحم الواشجة ، والصلة  
الوثيقة ، فلم يجد بيت ، وللقريض بيت لا يقل عنه سناً وسناء ١١  
شاعر المجد خدّنه شاعر اللفظ كلاهما رب المعانى الدقائق  
هكذا يقول المتنّبى الشاعر ، لأبى العشائر الحمدانى الماجد ، إلا أن المجد  
شرف موروث ، والشعر شرف مكتسب ، والشرف كل الشرف  
فى اجتماعهما .

(١) الجدة كزنة : النقى

(٢) من رثاء ابن بسام لآل المعز - وفيات الأعيان - ٢ - ٤٦٢ .  
(م - ١٠ - البلاغة)

وخير الشعر أشرفه رجالا . . . .

كما يقول الفرزدق

ولعلك تستحسن معنى التوشيع في الآيات التالية ، لهذه الأسباب  
التي ذكرناها .

تستحسنه في قول الخلساء ترى أباها صخرأ :

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل المياه وما في ورده عار (١)

مشى السببى إلى هيجاء معضلة له سلاخان : أنياب وأظفار (٢)

وما عجول على بؤ تحن له لها حنينان : إعلان وإسرار (٣)

وتستحسنه في قول عكرمة بن الشغيب يرثى ابنه شغبا :

فارقت شغبا وقد قويت من كبر لبست الخلتان : الشكلى والكبر

وقول بعض الشعراء :

فصبرا على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر

تحالفكم فقر قديم وذلة وبئس الخليفان : المذلة والفقر

وقد عده العسكري أهجى ما قالته العرب (٤)

وقول آخر :

ولا يُقيم على ضيم يُراد به إلا الأذلان : صبر الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برؤيته وذا يُشجع فلا يرثى له أحد

وقول شوقي :

فاجعل صبرك في البسكور سلبية للمنجبين : الكرم والتفاح

---

(١) تناذره : خوف بعضهم به بعضا .

(٢) السببى والسبندى : الجرىء ، وأصله فى النمر والأسد .

(٣) العجول : الواله التى فقدت ولدها . والبو : جلد الناقة ، وجلد الحوار بضم الحاء  
يمشى تبنا ، ويقرب من أم الفصيل فتعطى عليه وتدر اللبن .

(٤) ديوان المعانى - ١ - ١٩٢ .

وقوله أيضاً :

وإن للبعد آفات إذا جُمعت وجدتَهن اثنتين : الحقد والغضب  
وقول الأسمر :

تجسرى القوافي بها في كل ناحية يمدُّها الرافدان : القلب والكبد<sup>(١)</sup>  
وقول محمود غنيم :

تلك المبادئ - وهى شتى - جُمعت في مبدئين : الحق والإنصاف<sup>(٢)</sup>  
ويستبين مما تقدم من الأمثلة : أن الموصوف بالجودة من هذا النوع ،  
لا يمكن أن يأتى إلا لمعاً قليلة ، وأن المكرر كله - بما قصد  
لذاته - تبدو عليه سمة التكلف واضحة ، وإن حسن حيناً لصياغته  
الحكمة الدقيقة .

واليك جزء قصيدة من هذا النمط لأبي عبد الله محمد بن حامد في  
الصاحب ابن عباد ، تُرَبَّى على ثلاثين بيتاً<sup>(٣)</sup> ١١

ويكفى أن يبلغ توشيعها هذا القدر : ليقال : إن ناظمها ركب  
متن الشطط :

ليهنك الأهنيان : الملك والعُمر	ماساير الأسيران : الشعر والأسمر
وطال عمر سناك المستضاء به	ما عمّر الأبقيان : الكتب والسير
يفدى الورى كلهم كافي الكفاة ، فقد	صفا به الأفضلان : العدل والنظر <sup>(٤)</sup>
له مكارم لا تحصى محاسنها	أو يحسب الأكثران : الرمل والشجر
لكيده النصر من دون الحسام وإن	تمرّد الأشجعان : الترك والخزر
ما سار موكب به إلا ويخذه ..	في ظله الأسنيان : الفتح والظفر

(١) ديوان الأسمر - ٢٧١ .

(٢) صرخة في واد - ١٦٦ .

(٣) يتيمة الدهر - ٤ - ٢٣٥ .

(٤) كافي الكفاة : لقب الصاحب بن عباد . والنظر : الحكم بين القوم .

وإن أمّر على طرس أنامله أغضى له الأبهجان : الوشى والزهر  
دامت تقبلها صيد الملوك كما يُقبل الأكرمان : الركن والحجر

ومع وصفنا لصاحب هذه القصيدة بالغلو ، فمن الإنصاف ألا ننكر  
عليه قدرته على اختراع ألوان جديدة من التوشيع لم يسبق إليها .

ومن الإنصاف أيضاً : أن نعتف : بأنها حوت شيآت من الحسن  
في المواضع التي قويت فيها الرابطة بين المثنى وتفسيره من ناحية ،  
وبين الاسمين المفسرين له من ناحية أخرى كقوله : « الأسيران :  
الشعر والسمر » .

و « الأبقيان : السكتب والسير » و « الأكرمان : الركن  
والحجر » .

والتوشيع الأخير أفضل الجميع وأطبعها وأكثرها خطوراً بالبال ؛  
للاتفاق على كرامة الركن والحجر ؛ ولا استدعاء أحدهما للآخر ؛ حين يذكر  
أو يمر بالذهن .

ولكنك تشعر بالضعف والتهافت في قوله : « الأكثران : الرمل  
والشجر ؛ لأن الشجر — وإن كان كثيراً — لا يسامى الرمل في الكثرة .  
وقد جرت العادة أن يقولوا : الرمل والحصى ، والنجم والحصى ، والقطر  
والرمل والتراب .

وقد قال ابن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب<sup>(١)</sup>

---

(١) البهر الغلبة : أى حباً غلبى . وقال ابن الأعرابي : البهر : الحبة والفهر ، وأنشد  
بيت عمر السابق . وقيل معناه : جما ، وقيل : عجباً بفتح الجيم وقال المبرد : يجوز — أن كل  
مأقوله ابن الأعرابي في وجوه البهر — أن يكون معنى لما قال عمر . وأحسنها : العجب . شرح  
ديباجة القاموس — ١ — ٣٧٨ .

وقال المتنبي :

فأقرب من تحديدها رَدُّ فائت وأيسر من إحصائها : الفطر والرمل  
وكذلك نشعر به في : «العدل والنظر» و«الترك والخز» و «الفتح  
والظفر» .

فالنظر وإن كان في المعنى قريباً من العدل ؛ لأن معناه الحكم بين القوم  
إلا أنه ليس مانوساً للعامة ، وهو حائل اللون ، كابي الشماع ، بجوار العدل  
الوضاء المستنير ، وأقرب المعاني انجذاباً إلى العدل : كلمة الحق والإنصاف  
والصدق ، وكثيراً ما يقال : حق وعدل ، وحق وصدق ، وعدل وإنصاف .

والخز : ليس إلا جيلاً من الترك ، وإن غلبت عليهم هذه التسمية  
فهو من عطف الخاص على العام .

والفتح والظفر بمعنى واحد ؛ لأن معنى الفتح : النصر .

وأغرق منه في التكلف قول تاج الدين السكندی :

دع المنجم يكتبو في ضلالتهم أن ادعى علم ما يجري به الفلك  
تفرّد لله بالعلم القديم فلا الإنسان يشركه فيه ولا الملك  
أعد للرزق من إشراكه شركاً فبئست العُدتان الشرك والشرك

فليس المنجم مشركاً وإن ضل وكذب ، وليس كل شرك مذموماً ، فهناك  
أشراك جائزة الإستعمال في صيد السمك والجردان وغيرها .

وهو قد يستعمل في الغزل مجازاً ، فيكون سائغاً عذباً لطيف الموضع ،  
كقول الخضرى<sup>(١)</sup> :

نصبت عيناي له شركاً في النوم فعزّ تصبّيده

---

(١) مقدمة زهر الأديب - ١ - ٦ وانظر معارضات الشعراء للخضرى جمع الأستاذ  
محى الدين رضا .

وقال شوقي :

كَمْ مَدَّةَ لَطِيفِكَ مِنْ شَرِّكَ      وَتَأَذَّبَ لَا يَتَصَيَّدُ  
وقد انتقد المرحوم الدكتور زكي مبارك قول معين الدين بر الخطيب :  
أشكو إلى الله من نارين : واحدة      في وجنتيه ، وأخرى منه في كبدي  
ومن سقامين : سقم قد أحل دمي      من الجفون ، وسقم حل في جسدي  
ومن نومين : دمعى حين أذكره      يُذيع سرّي ، وواش منه بالرّصد  
ومن ضميتين : صبري حين يهجرني      ووده ، ويراه الناس طوع بدي  
فقال في البيتين الأولين :

وهذا شعر منتقد ، فإنه إذا صح أن يشكو المحب إلى الله سقمه ووجده  
أملًا في الراحة من بلاء الحب ، فما الذي يريد يشكوى السقم في جفن محبوبه  
والنار في خديه .

ثم قال : وقد أجاد أو قارب في البيتين الآخرين ، فإنه لا بأس من  
شكوى الواشى ، والود الضعيف .

ونتم نقده بقوله : والشعر ضعيف البنية ، مهمل النسيج ، خال من  
لوعة الحب الصادق ، لهذا لا يلوح عليه صدق الأداء<sup>(١)</sup> .

ولسنا مع المرحوم الدكتور في كل ما قال ، فشكوى المحب من سقم  
جفون حبيبه ، ومن نار خده : أمر متعارف ، فسقم الجفون — من غير  
سقم -- : يضئ عليه سقمًا حقيقيًا ، كما يقول المتنبي :

برحت يامرض الجفون بهُـمَرَضَ      مريض الطبيب لهو عيد العود<sup>(٢)</sup>

ونار الخدود : تشب النار في الجوانح ، وتطوح بالقلوب والعقول كما  
يقول المتنبي أيضاً :

(١) مدام العشاق — ٤٠

(٢) المدرس : يريد نفسه . والمعنى : أن فتور هذه الجفون ، أناخ عليه بالمرض ، حتى  
مرض طبيبها وعواده إشفافاً عليه .

المنهيات عقولنا وقلوبنا وجناتهن الناهيات الناهيات<sup>(١)</sup>  
ويقول الصنوبري<sup>(٢)</sup>

لا النوم أدرى به ولا الأرق يدري بهذين من به رَمَقِ  
إن دموعي من طول ما استبقت كلت فما تستطيع تسبق  
ولي عليك لم تبدُ صورته مذكان الا وصلت له الحدق  
نويت تقبيل نار وجنته وخفت أدنو منها فأحترق  
ومن هنا يظهر لنا : أن التوشيع يقوم على أسس وطيدة من جوامع  
قداعى المعانى .

فالأيضان : الماء واللبن ، والأصفران : الذهب والزعفران ، أو الخمر  
واللحم ؛ تدخل في جامع التشابه ، لوجود التماثل بين صورتى كل منهما في العقل ،  
بحيث تستدعى حضور أحدهما في ذهن حضور الأخرى .  
ودجلة والفرات ، والقلب والكبد ، والركن والحجر ، تجمعهما  
رابطة المكان .

والشيب والمرض ، والأكل والنكاح ، والغداة والعشى ، السعصعران ،  
والليل والنهار ، الجديدان ، تجمعهما رابطة الزمان .  
والبحر والمطر ، والشوق والسهر ، والفاتنان ، الجمال والدلال ، تجمع  
بينهما رابطة السبب بالمسبب ، ولهذا نسمع الشاعر يقول في الأول :  
كالبحر يمحطه السحاب وما له فضل عليه لأنه من ماءه  
والفرزدق يقول في الثانى :  
يقولون طال الليل - والليل لم يطل - ولكن من يبكى من الشوق يسهر

(١) يريد : المنهيات وجناتهن عقولنا وقلوبنا ، فوجنات : مفعول أول ، وعقول : مفعول  
ثان ؛ أى هؤلاء الحسان اللاتي جعان عقولنا وقلوبنا ؛ نهيا لحدودهن والناهيات : امت  
للوجنات ، أى الموصوفة بأنها تنهب الناهيات ؛ وهو الرجل الشجاع .



ويقول عبد المطلب في الثالث<sup>(١)</sup> :

على النيل من سيف الجزير جُؤذُر هفاتها، والحسنُ بالتيه يأمر<sup>(٢)</sup>  
وهذه الروابط الثلاث تدخل في جامع الاقتران في الذهن ، ويقصد  
بها هنا : وجود المعنيين في العقل في آن واحد ، أو لحاق أحدهما الآخر  
على الفور فيه <sup>(٣)</sup> .

وقد تجتمع عدة روابط في توشيع واحد، فالسما كان : الراح والاعزل  
يجمعهما التشابه ، فكلاهما نجم منير ، ويجمعهما التباين ، فهذا ذورح ، وذاك  
أعزل ، ثم بينهما رابطة الزمان والمكان ، فهما يطلعان ليلا في  
صفحة السماء .

وعلى ذلك يمكن أن نقول : إن التوشيع ترتفع قيمته ، ويرداد حسنه  
بقدر ما فيه من قوة الترابط أو قوة التشابه .



(١) النجوم الزاهرة - ٣ - ٢٢٨

(٢) ديوان عبد المطلب - ١١٠ .

(٣) السيف بكسر السين : الساحل .

(٤) انظر ما كتب عن تداعي المعاني في كتاب علم النفس للأستاذين : الجارم ومصطفى

## الفصل السادس

### الاطراد

الاطراد في اللغة بشديد الطاء : مصدر اطراد الامر والماء والنهر : تبع بعضه بعضا ، وجرى من غير توقف .

وعند البلغاء : أن يأتي الشاعر باسم الممدوح أو غيره ، وأسماء آبائه على ترتيب الولادة في بيت واحد من غير تكلف<sup>(١)</sup> .

وعند ابن أبي الإصبع : أن يطرده للمتكلم أسماء لأبائه ممدوحه ، منسوب بعضها إلى بعض ، مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد<sup>(٢)</sup> .

وغالى صفى الدين الحلبي في شرح « بديعته »<sup>(٣)</sup> ، فاشتراط على الشاعر أن يأتي باسم الممدوح ولقبه وكنيته ، وصفته اللائقة به ، واسم من أمكنه من أبيه وجده وقبيلته ، ليزداد الممدوح تعريفاً .

ولا بد من ذلك عنده أن يقع في بيت واحد ، مع الخلو من التكلف والتعسف ، والفصل بالفاظ أجنبية عنه .

وأورد على ذلك قول بعضهم<sup>(٤)</sup> :

مؤيد الدين أبو جعفر محمد بن العلقمي الوزير  
قال ابن طباطبا العلوي : وهذا بيت حسن ، جمع فيه بين لقبه ، وكنيته ،  
واسمه ، واسم أبيه ، وصنعتة<sup>(٥)</sup> .

(١) معاهد التصحيح — ٢ — ٦٧ .

(٢) بديع القرآن — ١٠٩ .

(٣) خزائن الأدب للحموي — ٢٠٠ .

(٤) هو كمال الدين بن البوق يمدح مؤيد الدين العلقمي ، من قصيدة .

(٥) الفخرى — ٢٩٩ .

ويقول النويرى فى تعريفه : هو أن يطرد الشاعر أسماء متتالية ، يزيد المددوح بها تعريفاً ، لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه ، تأنى مدسوقة غير منقطعة ، من غير ظهور كلفة على النظم ، كاطراد الماء وانسجامه<sup>(١)</sup> .

ومع أن خلو الكلام من التكاثر دعامة أساسية فى استحقاقه صفة البلاغة ، إلا أن النص عليه هنا واجب حتم ، حتى يتم التطابق بين الاسم والمسمى ، لأن الاطراد يفيد السهولة والسلاسة والجريان والتدفق والتتابع والولاء ، فيجب إذن أن يكون الكلام موسوماً بهذه السمات ، ليستأهل أن يقال فيه : إنه مطرد لطراد الماء فى تدفقه وإنسيابه .

فتى وقع بناء البيت متعاطلاً معقداً ، أو جانبته السهولة والدمائة ، أو شابه التكاثف والاستكراه ، خرج عن نطاق الاطراد ، وأصبح عاطلاً من هذه الخلية .

ومن شواهد الشعرية القديمة : قول دريد بن الصّمة — يرى أخاه عبد الله — :

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب<sup>(٢)</sup>  
وقد روى : أن سبرة بن عياض الجشمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت .

فلما وصل إليه ، قال كلمة معجب : لولا القافية لبلغ به آدم<sup>(٣)</sup> ، أوقال :  
كاد يبلغ به آدم<sup>(٤)</sup> .

والحق : أن هذا البيت من فرائد هذا النوع ، وأن من حقه علينا أن نطرب له ، وإن كان المقام مقام رثاء .

(١) نهاية الأرب — ٧ — ١٥٥ .

(٢) فى رواية : أبأنا بعبد الله خير لداته ٥٥٠ أى أخذنا بثأره .

(٣) الممددة — ٢ — ٦٧ .

(٤) معاهد التنصيص — ٢ — ٦٧ .

(٥) وقيل قائله : داود بن ربيعة الأسدى . معاهد التنصيص — ٢ — ٦٧ وفى إعجاز

الفرآن لأبلاقانى — ١٦٧ : أنه لأبى دواد الأسدى :

فقد كان الشاعر الرائي موقفا إلى أبعد مدى ، حين أتى بأربعة أسماء في شطر بيت على هذا النسق العجيب البالغ الإحكام ، دون أن نلح أى ضميم شاب بنيته ، ولا سيما إذا أحضرنا في أذهاننا : أن هذا الشاعر كان يرثى أخاه الأثير لديه ، الكريم عليه ؛ فله من حزنه الممض ، وجواه الساعر ، ولطفته العميقة ، ما يشغله عن مراعاة التعبير والتنميق ، هذا إلى أنه شاعر جاهل يجرى على عرق أصيل من الطبيعة السمحة المؤاتية ، البعيدة عن نوازع التصنع ، فلا يمكن أن يقال في مثله وفي موقفه : إنه كانت تعنيه الزينة وتستويهو الحلية ، فلم يبق إلا أن يقال في البيت : إنه نفحة من نفحات الإلهام .

ومثله قول ربيعة بن قَعَيْن يرثى ذؤابا ابنه :

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم      بمُتَيْبَةِ بن الحارث بن شهاب<sup>(١)</sup>  
بأحبهم فقننا إلى أعدائه      وأشدهم فقننا على الأحباب  
والشاهد في البيت الأول .

ويقول الباقلاني : قد بنى قافيته على « الباء » لأجل ذلك الاسم ، فتم له ما أراد في رفق ويسر<sup>(٢)</sup> .

وقول الأعشى :

أفيس بن مسعود بن قيس بن خالد      وأنت أمرؤ ترجو شبابك وائل<sup>(٣)</sup>  
وقد قال فيه ابن رشيق : ومن حسن الصنعة : أن تطرد الأسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ فإنها — إذا اطردت — دلت على قوة الشاعر ، وقلة كلفته ، ومبالاته بالشعر ، وذلك نحو القول المتقدم .

---

(١) اثل : الهدم ، وثل الله عرشهم : هدم ملكهم ، ويقال : لقوم — ذهب عزم والخلل حالهم — : ثل عرشهم .

(٢) إعجاز القرآن — ١٦٧ .

(٣) في بعض الروايات : ترجو بقاءك ، وائل ، وفي بعضها : بقاءك بكسر الحاء ، وهو المعطاء .

ثم يقول فيه : فأتى كالماء اطرادا وقله كلفة ، ويبيّن النسب حتى أخرجه  
عن مواضع الشبه (١) :

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى — وإن نقص عنه اسما واحدا —  
بنصر بن منصور بن بسّام انفرى لناشظف الأيام عن عيشة رغد (٢)  
وقول الحارث بن دؤس الإيادى :

وشباب حسن أوجهم من إياد بن نزار بن معد  
فأطرد ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .

وقول ابن معايا الشاعر — يمدح إدريس بن حمّود ملك  
الأندلس (٣) — :

وكان الشمس لما أشرقت فأنثت منها عيون الناظرين  
وجه إدريس بن يحيى بن عليّ بن حمود أمير المؤمنين  
وقول المتنبي :

يا غصن الدولة من ركنها

أبوه والقلب أبو له

يمدح غصن الدولة بتفضيله على أبيه ركن الدولة ويضرب لهما مثالا  
بالقاب واللب ؛ فالقلب مصدر اللب ولكن اللب هو الأفضل .

(١) العمدة ٢ — ٦٦ — ٦٧ .

(٢) انفرى بوزن اشترى : انكشف .

(٣) كان إدريس في حال الإنشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم في ذلك ، فلما بلغ  
الشاعر إلى قوله :

انظرونا تفتبس من نوركم لأنه من نور رب العالمين  
أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه .

وقول شرف الدين بن راجح الحلبي من قصيدة — يمدح بها السلطان  
الكامل الأيوبي — وكان في حضرته وفد من الصليبيين — :  
أُعْبَاد عيسى ؛ إن عيسى وحزبه موسى جميعا يخدمون محمدا  
يريد بعيسى الثاني : الملك عيسى المعظم الأيوبي ، وبموسى : الملك موسى  
الأشرف الأيوبي ، وهما أخوا السلطان الكامل .

ويقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة : بلغني وقت الإنشاد : أنه أشار  
عند قوله : « عيسى » إلى الملك المعظم ، وعند قوله : « موسى » إلى الملك  
الأشرف ، وعند قوله : « محمد » إلى السلطان الكامل .  
وهذا من أحسن الاتفاق (١) .

ولا مزية في أن البيت حسن : فهو محكم النسيج ، قوى  
الرصف ، جميل النغمة ، والأسماء فيه لم تذكر عبثا ، ولم تأت فضلة ،  
بل يقتضيها المقام .

وزاد في رونقه : هذه التورية البديعة الواقعة موقعها في ثلاثة أسماء من  
أشهر أسماء الرسل الكرام : موسى وعيسى ومحمد .  
وقول الشطر نجى الأهازى في مدح صاحب بن عباد من قصيدة :  
إلى ابن عباد أبي القاسم الصاحب إسماعيل كافي الكفاة  
ويقول الصاحب في ذلك : كنت والله أشتى أن يجتمع كنييتي واسمي  
ولقبى ، واسم أبي في بيت (٢) .

(١) مطالع البدور — ١ — ٢٧٧ .

(٢) معجم الأدباء — ٦ — ٢٥٣ — ٢٥٤ .

ولا شك أن الشاعر وفق في ذلك كل التوفيق ، وحقق له هذه الأمانة  
العزيزة .

وقول أبي القاسم الأليمانى — يمدح ابن عيسى الدامغانى من قصيدة — :  
إلى الشيخ الجليل أبى عليّ محمد بن عيسى الدامغانى  
وقد ذكر الثعالبى<sup>(١)</sup> : أنه لم يذكر : أن أحداً من الصدور وسع دطامه ،  
وتريبته ، وكنيته ، واسمه ، واسم أبيه ، وبلده ، بيت واحد سواه .  
وعندى أنه يكدر صفوه ، تنوين محمد لضرورة الشعر ، وهى ضرورة  
قبيحة .

وبما جاء معيماً قول أبى تمام — يمدح عهد الملك بن صالح العباسى — :  
عبد المليك بن صالح بن عليّ قسيم النبى فى نسبه  
فهذا سهل العنان ، خفيف اللسان — كما يقول ابن رشيق — إلا أن  
الياء فى المليك جاءت ضرورة وتكلفاً .

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الأزدي :  
قالت تفتش عن أولى المجد من فى الأنام لطالب الرّقد؟  
فأجبت قاضينا وسيدنا منصور بن محمد الأزدي  
وقد جاء فيه بالتنوين ضرورة .  
وقول بعض المتأخرين فى ابن أبى الإصبع<sup>(٣)</sup> :

(١) يتيمة الدهر ٤٤ — ١٣٤ .

(٢) العمدة ٢ — ٦٧ .

(٣) خزائن الأدب الجوى — ٢٠٠ .

عبدالعظيم الزكي ابن أبي الإصبع رب القريض والخطب  
وقد اشتمل على اسم الممدوح ، واسم أبيه ، والصفة اللائقة به ، ولكن  
عابه بقطع همزة الوصل .

.. وقول بعضهم :

من يكن رام حاجة بعدت عنه . وأعيت عليه كل العياء  
فلما أحمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء (١)  
وفيه يقول ابن رشيق : لجاء كلامه نسقا واحدا ، إلا أنه قد شغل  
البيت ، وفصل بين الكلام بقوله : « المرجى » غير أن مجانسة رجاء ،  
هونت من خطيئته ، وغفرت ذنبه .

ويقول ابن أبي الإصبع : لقد أرى هذا الشاعر في هذا النوع على من  
تقدمه ، ولو سلم يئنه من الفصل بلفظة « المرجى » ، لكان غاية لا تدرك ،  
وعقيلة لا تملك .

ولإذن عيب البيت هنا في نظر الناقلين : أنه تخولف فيه شروط الاطراد  
وهو الفصل بأجنبي بين اسم الممدوح واسم أبيه ، فهو عيب من خيث الصنعة  
التي ينووا قواعدها ، واشتروا المحافظة عليها ، وإلا فهو من جهة الصياغة  
والفن البلاغى لا عيب فيه .

وقال أبو تمام يمدح مالك بن طوق التغلبى :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتمة ب بن سهم . سهمكم لا يسهم (٢)  
نحاطب بذلك عمرو بن غنم . التغلبيين — وهم بنو عم مالك بن طوق —  
فانتظم له ما أراد من الأسماء إلا أنه ظاهر التكلف غير مطرد .

.. (١) هذه رواية الجوى ، ورواية ابن رشيق : سلم بن رجاء .

.. (٢) لا يسهم : لا يغلب .



ويرى النويرى : أن اطراد الأسماء فى عجز البيت أحسن من اطرادها فى صدره ؛ وهو لذلك يفضل بيت دزید بن الصمة المتقدم :

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب  
على بيت الأعشى :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت الذى ترجو حياءك وائل  
وقد يطول هذا النوع حتى يمل ويصير ممجوجاً ، كقول ابن دريد -  
وقد جمع ثمانية أسماء فى بيت واحد - :

فنعم أخو الجلى ومُسْتَهْطِطِ الندى  
وملجأ محزون ، ومفزع لاهث

عياد بن عمرو بن الحلييس بن عامر بن  
زيد بن مذكور بن سعد بن حارث

وفيه يقول شهاب الدين العلوى الحضرمى : وهذا لا تكون الإجادة فيه إلا مقرونة بتوفيق<sup>(١)</sup>.

والحق : أن التكلف فى هذا ظاهر ، والبيت ثقيل ، ولا يزيد فى قيمته على نظم الضوابط ، ومصطلحات العلوم .

والتوفيق قد جانب صاحبه بالرغم من هذا الاتفاق - على خلاف ما يرى ابن شهاب - لأن التوفيق لا يمكن أن يصاحب بيتاً يجمع بين ثمانية أسماء متلاصقة ، وإن وجد توفيق - على زعمه - فهو القدرة على رصف هذه الأعلام الكثيرة فى سلك واحد ؛ وليس فى مثل هذا عبقة من الهبة ، ولا ومضة من الوحي .

(١) إقامة الحجة على التقي بن حجة - ٢٨ - العمدة - ٦٧ .

وكقول أبي تمام :

مَناسِبٌ تَحسَبُ من ضوئِها منازلُ للقمر الطالع<sup>(١)</sup>  
 كالِدلو والحوت وأشراطه والبطن والنجم إلى التالع<sup>(٢)</sup>  
 نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى ابن الفقى مانع  
 فأحكم التصنيع وقابل ستة بسطة ، لولا أنه نَغَصَ بذكر الفتى فى سادس  
 جَد، فإنه بارد، وركبك ، إذ قديوم أن أباهؤلاء كلهم : فقى : أى صغير السن  
 وإن كنا نعلم : أنه لم يرد فتاه السن ، ولكن الفتوة<sup>(٣)</sup> .

وقول السَّراج الوراق :

فله الجبال غداً بغير مُنازع ولىّ الجوى فيه بغير قسم .  
 وكذا العلا لمحمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم  
 وفيه على طوله : عيب آخر وهو تنوين « على » .

وبما حسن مع طوله : قول الحارث الدؤلى — يمدح عاصم بن عمرو بن  
 عثمان بن عفان — فذكر نسبه كاملاً<sup>(٤)</sup> .

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بن عمرو سرت عيس فطال سراها  
 فالبيت قد حوى أربعة أسماء ، ولكنه لم يذكرها متتابعة ، بل قال :  
 عثمان بن عفان ، ثم قال : عاصم بن عمرو ، تخف وقعها على السمع .  
 وقد خلا من الضرورات التى تقع فى مثله ، وهو — إلى ذلك — لا يخلو  
 من نفحة الطبع ، وفيه إيقاع وتنغيم لا يخفى ، وقد أتى فيه ناظمه على حاجته

(١) فى معاهد التنصيص : تحسب من سردها . والمناسب : الأنساب .

(٢) الدلو والحوت : برجان فى السماء . والأشرط : من منازل القمر . والبطن : يريد  
 بطن الحمل بفتح الحاء ، وهو من منازل القمر أيضاً ، ويسمى : البطن بالتصغير ، والنجم : الثريا  
 وهو من المنازل . والتالع : الدبران بفتح الدال والباء : كوكب أحمر من المنازل . كأنه تلغ  
 جيبه : أى مده .

(٣) المدة ٢ — ٦٧ — ٦٨ — معاهد التنصيص — ٦٧ .

(٤) معجم الأدباء ٦ — ٢٥٤ .

من ذكر المطايا ، وطول سراها إلى الممدوح ، فبلغ غايته من الاستمناح مع التعنف والتصون عن المسألة ، والقصد في الكلام .

ويلاحظ أن كثيراً من أمثلة هذا النوع ، اختيرت فيها القوافي الموافقة للأسماء ابتداءً ، وبخاصة في الآيات المفردة والمقطّعات :

وذلك كقول ابن أبي الإصبع :

أجلٌ ملائكة إلى العلياء منسوب محمد بن أبي بكر بن أيوب  
وقول يعقوب بن أحمد النيسابوري في أبي القاسم علي بن موسى الموسوي :  
يقول صديقي : ألا دلتني على برمك الجود ، أو حاتم  
فقات - وأقسمت - رب العلا علي بن موسى أبو القاسم  
وقول البانحرزي من قصيدة - - يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين  
ابن طلحة - :

أبو الحسن السيد الأريحي محمد بن الحسين بن طلحة  
والقصد إلى القافية هنا واضح لأنها ثقيلة وعسيرة ، واسكنه ركب متن  
التعسف في ذلك ، لأجل اسم الممدوح .  
وقد يفرض الاسم نفسه فرضاً على القافية ، كقول شاعر في الحسن بن  
المنذر بن الجارود (١) :

ياحكم بن المنذر بن الجارود مرادق العز عليك ممدود  
فيأتي سهواً رهواً ، خفيفاً لطيفاً ، متعيناً في مكانه ، وهل كان في إمكان  
الشاعر أن يصنع غير ما صنع مادام يريد أن يدعو ممدوحه ١٩٤

وكقول مطران (٢) في رثاء المغفور له : الأستاذ عبد القادر حمزة :

(١) بدائع البدائنه - ٢ - ٦٨ .

(٢) ديوانه - ٤ - ٢٨٧ .

راع السكتانة رزء عبد القادر وجرى القضاء بأى حكم قاهر  
وقال العقاد فيه أيضاً (١) :

جلّ المصاب بفقد عبد القادر وىج البيان على المبين الساحر  
فقد توافى الشاعران الكبيران على هذا المطلع المحزون مصادفة مع اختلاف  
يسير ، مع أنهما من غير شك قصدا إلى المجدى بالاسم ، وبهذا القافية عليه ،  
فكان بناء مطبوعاً .

وقد تخطب القافية خبط عشواء كلمنا يافى رأى زهير بن أبى سلمى ، فتصبب  
الاسم مصادفة ، فلا يعدم حظه من الحسن والجمال ، شأن كثير بما يقع  
لنا اتفاقاً .

وذلك كقول إسحاق الموصلى فى وصف الخمر :

وصافية تغشى العيون رقيقة سليلة عام فى الدثان وعام (٢)  
أدرنا بها الكأس الروية بيننا من الراح حتى انزاح كل ظلام (٣)  
فما بان قرن الشمس حتى كأننا من العسى نحكى د أحمد بن هشام (٤)  
فقال له ابن هشام : لم هجوتنى مع الصداقة بيننا ؟

فقال : لأنك قعدت على طريق القافية (٥)

والحق أنه ليس يعاب على الشاعر ، أن يختار قافية معينة لغرض يريد

(١) ديوان أعاصير مغرب ١٢٦ .

(٢) سليلة عام : بنت عام .

(٣) فى بعض الروايات : موهنا بدلا من بيننا . والمومن : نحو نصف الليل . وكذلك  
ورد : انجذاب بدل انزاح .

(٤) فى رواية : ذر قرن الشمس : أى طلع ، وقرن الشمس : ناحيتها ، أو أعلاها ، أو  
أول شعاعها .

(٥) ثمار القلوب — ٥٢٩ .

أن يسلكه في نظمه : من سوق خبر ، أو ذكر عدد أو اسم ، أو إشارة إلى حادث أو .

فهذا بما يدخل في مقاصد الشعراء ، وهو من باب التلاؤم بين الأسلوب والغرض .

ولكن ينبغي — كما يقول العسكري — أن تأخذ في طريق تسهيل عليك حكايته فيها ، وتركب قافية تطيعك في استيفائك له ، كما فعل النابغة في قوله (١) .

واحكم تحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام سراع وارد النمد (٢)  
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد (٣)  
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرت حسنة في ذلك العدد  
فحسبوه فالفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد  
فهذا أجود ما يذكر في الباب ، وأصعب مارامه شاعر ، لأنه عمد إلى حساب دقيق ، فأورده مشروحاً ملخصاً ، وحكاة حكاية صادقة ، ولما احتاج إلى أن يذكر العدد والزيادة والنمد ، بنى الكلام على قافية فاصلة « الدال » فسهل عليه طريقه ، واطرد سبيله .

ومثل ذلك ما أتاه البحترى في القصيدة التي أولها (٤) :

هاج الخيال لنا ذكرى إذا طافا وافي يخادعنا والصبح قد وافي

(١) الصناعتن - ١٤١ - ١٤٢ - شعراء النصرانية - ٢ - ٦١٥ .

(٢) في الحيوان للجاحظ - ٣ - ٦٧ « ساسى » شراع بالشين ؛ وشراع بكسر الشين : جمع شرع كعنب ، وشرع : جمع شرع بفتح الشين والراء ، وشرع بكسر الشين وفتحها مع إسكان الراء ، وهو مثل الشيء . أى حمام سواء ومتماثل ، وفتاة الحى : زرقاء اليمامة المشهورة . والنمد يسكون الميم ويحرك : وكتاب : الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب مع الصيف .

(٣) أو نصفه : أى : بمعنى الواو أى ونصفه ، لا بمعنى الشك .

(٤) يمدح بها الطائي . وأولها في ديوانه :

يهدى الخيال لنا ذكرى إذا طافا .

وكان قد احتاج إلى ذكرى الآلاف ، والإسعاف ، والأضعاف ،  
والإسراف والأنصاف ، فجعل القصيدة «فائية» فاستوى له مراده ، وقرب  
عليه مرامه في قوله :

قضيتَ عني بن بسطام صنيعته عندى ، وضاعفت ما أولاه أضعافا  
وَدانَ معروفه قَصْداً إلىَّ ، وما جازيته عنه تبذيراً وإسرافا  
مَثونَ عَيْنِنَا تَوَلَّيْتُ الثَّوَابَ بِهَا حتى انثنت لأبي العباس آلافاً (١)  
قَدْ كان يكفيه بما قدمت يده رَبّاً يزيد على الأحاد أنصافا

وكما يحدث ذلك قصداً قد يحدث عفواً ، كقول « شوقي » من قصيدة  
يرثي بها الشهيد « عمر المختار » البطل الليبي :

إفريقيا مهدّ الأسود ولحدها ضجّت عليك أراجلا ونساء  
والجاهلية من وراء قبورهم يَبْكون «زيد الخيل» «والفلاحاء» (٢)

فالفلحاء هو : عنتر بن شداد العبسي ، وبجىء الكلمة هنا من عمل  
الإلهام وحده ؛ لأن « شوقي » لم يقصد بناء القافية على الهجزة من أجلها ،  
ولكن لم يكن له بد من أن يختم البيت باسم مهموز على وزن « فعلاء »  
وأن يكون مسماه فارسا جاهلياً مشهوراً ، ليتم البيت بعامية — وهو في  
مقام التحدث عن الفروسية — وليلائم «زيد الخيل» بخاصة — وهو أحد  
الفرسان الأنجاد — فاستوى له غرضه بكلمة « الفلاحاء » على أفضل  
وجه وأتمه .

وقد وقع مثل ذلك لشاعر عصرى في قصيدة له ، عنوانها : « معاهدة  
غير ذات موضوع » (٣) .

(١) العين بفتح العين : النقد ، وما ضرب من الدنانير وما لم يضرب .

(٢) زيد الخيل : فارس مشهور ، وقد سماه الرسول الكريم : زيد الخير . والفلاحاء  
كفلحاء : عنتر الفوارس ؛ قيل له ذلك لفلحة كانت به ، ولما ذهبوا إلى تأنيث الشفة ، والأفلاح :  
مشقوق الشفة السفلى ، والأعلم : مشقوق العليا . وليأت الأعيان — ٢ — ٢٤٦ .

(٣) أغاريد السحر — ١٧٠ .

فقد بناها على حرف الراء من غير قصد ، ثم إنساق فيها إلى ذم المعاهدة المصرية ، التي عقدت في بعض العهود السابقة للملكية ، فقال :

قالوا معاهدة فقلت سلاسل يلهو بحُلُو رينها المأسررُ  
حذرت قومي السم في أضعافها لو كان ينفع قومي التحذير  
ثم إذا هو يقول :

قدَرُم تاح لم يُلقَ « جذيمة » ، فيه الصواب ولا أُطيع « قصير »<sup>(١)</sup>

فأتى باسمين تاريخيين مناسبين للغرض ، وأوقع أحدهما قافية بدون تكلف .

على أنه يجب أن يلاحظ أن يكون الاسم رشيق البنية ، حلو الجرس ، يوحى إلى سامعه بمعاني الجمال أو الجلال .  
وكثير من الأسماء يشمل هذه المزية .

وقد ذكروا : أنه لا يستحسن ذكر أسماء النساء في الغزل إلا ما كان خفيفاً على اللسان ، كأبيمة وسعاد .

وقد عابوا على الأخطل تغزله « بقـذور » لما فيها من الثقل في المنطق ، مع أن معنى قدور : المتنحية عن الرجال ، والمتنزهة عن الأقدار .

وعيب على البحتري قوله :

إن للبين مِنَّة لا تُؤدَّى ويداً في ثماضر بيضاء<sup>(٢)</sup>

كما عابوا على جرير قوله :

وتقول « بوزعُ » قد دببت على العصا

هلا همزمت بغيرنا يا بوزع

---

(١) يشير إلى قصة الزباء وجذيمة الأبرش المشهورة .

(٢) الحق أن ثماضر ليس بثقيل ، وقد سميت به بعض الفتيات في عصرنا .

وذكروا أن الوليد بن عبد الملك قال له : أفسدت شعرك ببوزع<sup>(١)</sup> .  
 ويقول ابن رشيق : وأما قول السيد الحميري :  
 ولقد تكون بها أوانس كالدمى هند وعبددة والرباب وبوزع  
 فإنه ثقيل من أجل بوزع ، وقد أنكر هذه اللفظة عبد الملك على  
 جرير ، فما ظنك بالسيد الحميري<sup>(٢)</sup> .  
 وتقع الأسماء الجميلة العذبة للشعراء كثيراً ، في عصور الحضارة : لوفرة  
 هذه الأسماء وانفساح الاختيار فيها .  
 وذلك أنه في عصور الحضارة رقت الأسماء — كما يقول ابن حزم —  
 ووجد أمثال هذه الأسماء اللينة الحلوة كصبح ، وغزلان ، ودعجاء ،  
 وطروب<sup>(٣)</sup> .

كما وجد أمثال الذلفاء والرباب ولميس ، وحسن الورد<sup>(٤)</sup> .  
 وعصرنا يعج بأمثال هذه الأسماء الرقيقة الوديدة ، كآمال وبوال ومهجة  
 وإيناس ، وكوثر ، وإحسان ، وسلوى ، ومها ، ونجلاء ، وسها ، ولواحظ  
 وغصن البان ، وتغريد إلخ . .

والشعراء — كما يقول ابن رشيق<sup>(٥)</sup> — أسماء تخنف على ألسنتهم ،  
 وتحلو في أفواههم ، كثيراً ما يأتون بها زورا : نحو ليلى ، وهند ، وسلوى  
 ودعد ، ولبنى ، وعفراء ، وأروى ، وري ، وفاطمة ، ومية ، وعلوة ،  
 وعائشة ، والرباب ، وجمال ، وزينب ، ونعم ، وأشباههن .

(١) سر المصاحبة — ٦٤ وبوزع كجوهري .

(٢) العمدة — ٢ — ٩٨ .

(٣) مقدمة طوق الحمامة — ق

(٤) الذخيرة — ١ — ١٠٤ — ٢٧٣ — ٢ — ٣٦٥ .

(٥) العمدة — ٢ — ٩٨ .



ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي — أنشدته الأصمعي — :  
وما كان طيباً حُبِّها غير أنه يقام بسلى للقوافي صدورها (١)  
وأما «عزة» و«بثينة»، فقد حاهما «كثير»، و«جميل» حتى كأنما  
حرما على الشعراء .

وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة ، إقامة للوزن وتحلية  
للنسيب كما قال جرير :

أَجْدَ رَوَاحُ الْقَوْمِ بِلَاتٍ رَوَّحُو      نَعَمْ كُلُّ مَنْ يُعْنَى «بُجْ-جِل» مُسَبَّرَحُ (٢)  
ثم يقول بعد يديت :

إذا سائرت أسماءُ يوماً ظعينةً      فأسماء من تلك الظعينة أملح (٣)  
وكلما كانت اللفظة أحلى ، كان ذكرها في الشعر أشهر ، اللهم إلا أن  
يكون الشاعر لم يزور الاسم ، وإنما قصد الحقيقة لإقامة الوزن ، فحينئذ  
لاملامة عليه ، ما لم يجد في الكنية مندوحة .

وقد كشف الجاحظ عن سر دقيق في حب العرب لتكنية البنات  
فقال : (٤) وربما كان اسم الجارية غُلَيْسَمَ وَصَبَّيَّةَ وما أشبه ذلك ، فإذا  
صارت كهلة جزلة ، وعجوزاً شبهة (٥) ، وحملت اللحم ، وتراكب عليها  
الشحم ، وصار بنوها رجالاً ، وبناتها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غليم ،  
كيف أصبحت ؟ ويا صبية ، كيف أمسيت ؟

ثم يقول : ولأمر ما ، كُنت العرب البنات ، فقالوا : فعلت أم  
الفضل وقالت : أم عمرو ، وذهبت أم نعم ، حتى دعاهم ذلك إلى التقدم (٦)  
في تلك الكنى .

(١) طيبى بكسر الطاء : هادئ وشأنى وشهوتى .

(٢) المبرح يتشد يد الرء المفتوحة : من اشتد عليه الأذى .

(٣) الظعينة : في الأصل : المرأة ما دامت في الهودج ، ثم أطلق عليها مطلقاً .

(٤) البيان والتبيين - ١ - ١٣٤ .

(٥) الشبهة : المعجوز ، والنصف العاقلة ، خاس بالنساء .

(٦) التقدم : الإكثار

وعلى كل لا يعاب على الشاعر أن يذكر الاسم - مادام ذلك صحيحا -  
ولنما يكره الثقل في الأسماء المستعارة<sup>(١)</sup>.

ويجب كذلك ألا يقع الاسم حشوا؛ كما وقع في قول أبي تمام :  
يقول أناس في حُبَيْنَاءَ عَيْنُوا عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ<sup>(٢)</sup>  
فليست هناك فائدة في ذكر حَبِينَاءَ ، وليس أبو تمام مضطرا  
لذلك<sup>(٣)</sup>.

ولعل أقبح أمثلة هذا النوع وأنكرها ، وأبعدها من سمات البلاغة :  
قول المتنبي في مدح سيف الدولة :

فَأَنْتَ حَسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ	وَأَنْتَ لَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ
وَأَنْتَ أَبُو السَّمِيجَانِ حَمْدَانُ يَابِسُهُ	تَشَابَهُ مَوْلُودِ كَرِيمٍ وَوَالِدِ <sup>(٤)</sup>
وَحَمْدَانُ سَحْمَدُونُ وَحَمْدُونُ حَارِثُ	وَحَارِثُ لَقْمَانُ ، وَلَقْمَانُ رَاشِدُ <sup>(٥)</sup>
أَوَّلُكَ : أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا	وَسَائِرُ أَمْلَاقِ الْبِلَادِ : الزَّوَانِدُ <sup>(٦)</sup>

ومن الغريب أن الخفاجي لا يرى هذا التكرار قبيحا، لأن المعنى المقصود لا يتم إلا به ، وقد اتفق أن ذكر أجداد الممدوح على نسق واحد من غير حشو ولا تكلف ، لأن أبا الهيثم هو عبد الله بن حمدان بن حمدون ابن الحارث ابن لقمان بن راشد ، ولو ورد هذا الكلام نثرا لم يزد على هذه الصفة ، فلما عرض في هذا التكرار معنى لا يتم إلا به ، سهل الأمر فيه . وكان البيت مرضيا غير مكروه<sup>(٧)</sup>.

(١) الطراز - ١ - ٢٨١ .

(٢) الرجل : المسكن ، وما تستصعبه من الأثاث.

(٣) سر الفصاحة - ٦٥ .

(٤) الهيجا والهيجاء : الحرب تمد وتقصر، وأبو الهيجاء : كنية عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ، يريد أنت أبو الهيجا يا بن أبي الهيجا .

(٥) هؤلاء أسماء أباء سيف الدولة : أي كل واحد هو أبوه في صفاته .

(٦) أي هم للخلافة بمثابة الأنياب للسبع في الحماية والمنعة ، وغيرهم لافائدة منهم .

(٧) سر الفصاحة - ٩٥ .

وعندى أن هذا أقبح القبح ! وليس هنالك عذر واضح للمتنبى في ارتكابه . إلا التفاصيل بنظم مالا يسوغ نظمه .

ولا أرى معنى يفوت بعدم ذكر هذه الأسماء على هذا النسق الغريب المنسك ، فسيف الدولة ، ليس بخامل النسب ، ولا آباؤه منكرات في العرب حتى ينوه بهم على هذه الصورة السمجة ! ومثل ذلك يذكره المؤرخ حين يترجم ، لا الشاعر حين يمدح ، وما للشعر وهذه الخلقاء الجافة ، التي لا تختلف عن سرد الأعداد ، والتي تذهب بغضارته ومائه ، وتلحقه بمسائل الحساب والهندسة .

وقد وسمه ابن رشيق بالتمسيف<sup>(١)</sup> ، وعدّه من التقصير في المعنى : أنه جاء به في بيتين .

ثم تهكم عليه ما شاء : بأنه جعلهم أنياب الخلافة وهم سبعة بالممدوح ، والأنياب في المتعارف : أربعة إلا أن تكون الخلافة بمساح نيل ، أو كلب بحر ، فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ؛ اللهم إلا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة ، فإنه يصح .

والحق : أن د أنياب ، كرهية أينما وقعت ، ولا تعد من الألفاظ الشعرية في مغدى ولا مراح ، وكان للمتنبى مندوحة عنها بقوله : أركان الخلافة أو آساد الخلافة وما إلى ذلك .

وإذا قبحت ( أنياب ) في المدح ، فهي في الغزل والنسيب أقبح ، وقد وقعت في كلام كثير من الشعراء ، كقول ابن ميادة<sup>(٢)</sup> :

كان على أنيابها المسك شابه بعين الكرى من آخر الليل عابق<sup>(٣)</sup>

(١) العمدة - ٢ - ٦٨ .

(٢) نهاية الأرب - ٢ - ٥٦ .

(٣) في رواية : كان على أنيابها الخمر شجبه

جاء الندى في آخر الليل عابق

وما ذقته إلا بعيني تفرّسا كما شيم في أعلى السحابة بارق  
وكقول جميل (١) .

خليل عوجا اليوم حتى تسليما على عذبة الأنياب طيبة النشر  
وقول ابن أبي ربيعة (٢) .

ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت منه الأذى  
وياحبذا برّد أنيابه إذا أظلم الليل واجلوّ (٣)

وقد ذكر ابن رشيق في الشعر المتقدم مزينة للمتنبى على غيره ، وهى :  
أنه جعل كل ابن : هو أبوه في الخلافة إلى أن بلغ راشدا ، ولم يقصد إلى  
ذلك أحد من أصحابه .

وإنما تمّت شعره هذا بتكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهى  
أربعة أسماء (٤) .

وكما يجيء الاطراد في الجد ، كذلك يجيء في الهزل ، ويكون في العادة  
خفيفا لطيفا ، ومن أشهر ذلك قول ابن مهديّ الكسروى في ضرطة سليمان  
بن وهب (٥) :

إن وهب بن سليما	ن بن وهب بن سعيد
حل الضرطة للرّى	على ظهر البريد (٦)

(١) تزيين الأسواق - ٣٥

(٢) الكامل للمبرد - ٨ - ٢٧٨ .

(٣) الحلوذ : امتد . وشجّه : مزجّه .

(٤) العمدة - ٢ - ٦٨

(٥) كانت هذه الضرطة بمحضرة عبيد الله بن خاقان ، وقد تناولها كثير من الشعراء بالقول  
- معجم الأدباء - ٥ - ٩٢ - ٩٦ وانظر آثار القلوب للشمالى .

(٦) الرى بفتح الراء : مدينة . والنسبة إليها رازى .

في مهمّات أمور منه بالركض الشديد (١)

وبما جاء من الاطراد في القرآن الكريم . قوله — تعالى — حكاية عن يوسف الصديق — عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام : « واتّسعت ملة آباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، .

وقوله — عز وجل — حكاية عن أولاد يعقوب — عليه السلام — : « قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، .

وذهب العلوي : إلى أن ذكر الأمهات والجندات ، ليس بمدوحا عند البلغاء وأهل العلم بالمدايح الشعرية : لما فيه من الركة وإنزال قدر الممدوح .

ثم يقول : وقد عيب على أبي نواس في مدحه لمحمد الأمين ، ذكره لأمه في مدحه ، حيث قال :

أصبحت يابن زبيدة بنت جعفر أملا لعقد حباله استحكام  
فإن هذا بما يعد في القبح في مثل هذا المقام .

وكذا قوله :

وليس بجديته أم موسى إذا نُسبت ولا كالحيزُران  
ولإنما كان هذا مكروها ، لأن شرف الإنسان ، إنما يكون بالرجال  
لا من جهة النساء (٢)

وهو كلام ظاهر البطلان ، فليس ذكر النساء في المدح مذموماً على إطلاقه ، فقد مدح كثير من الملوك والأشراف بأمهاتهم ، وهذا حسان بن ثابت يقول في آل جفنة الغساسنة :

(١) معاهد التنصيص — ٢ — ٦٩

(٢) الطراز — ٣ — ٩٤

أولاد جفنة حول قبر أمهم<sup>(١)</sup> قبر ابن مارية السكريم المفضل<sup>(٢)</sup>  
وهي مارية ذات القرط الذى ضرب به المثل ، فقيل : قرط مارية .  
ويقول جرير فى مدح الخليفة عمر بن عبد العزيز :  
فما كعب ابن مامة وابن أروى بأجود منك باعمر الجوادا  
وفى رواية : وابن سعدى .  
وكثير من الخاصة نسبوا إلى أمهاتهم ؛ منهم المنذر بن الأسود اللخمى ،  
وأمه : ماء السماء<sup>(٢)</sup> ؛ سميت بذلك لحسنها .  
وأولاد إلياس بن مضر ينسبون إلى أمهم خندف كزبرج ، وهي ليلي  
بنت حلوان .  
وكثير من الناس ينسب إلى تيجيب بوزن تميم ، وهي امرأة ينسب إليها  
أولادها ؛ وهم حتى ينى عظيم .  
وسلول : نخذ من قيس ، وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول : أمهم .  
ويقال للأوس والخزرج : ابنا قبيلة بفتح القاف وإسكان الياء ؛ وهي  
أمهما وبها يفاخران .  
وحسان بن ثابت يعرف بابن الفريعة بكهينة ، وهي أمه .  
وطلحة بن عبيد الله يعرف بابن الحضرمية .  
ومحمد بن على بن أبي طالب ، يعرف بمحمد بن الحنفية .  
ونسب كثير من الشعراء العشاق إلى محبوباتهم ، حتى غلب ذلك عليهم .

---

(١) يريد « بقر أبيهم » : أنهم ملوك مقيمون لا ينتجعون غيرهم ، ولا يرحلون عن بلادهم

(٢) مروج الذهب - ١ - ٢٩٣ .

وتنوسى آباؤهم ، بحميل بثينة ، وكثير عزة ، وقيس ليلي ، وقيس لبنى .  
 وجرى الفخر **كثيراً** بالنساء : فقال الرسول — صلوات الله  
 وسلامه عليه — : «أنا ابن الفواطم من قريش ، والعواتك من سليم<sup>(١)</sup> .»  
 ومن نثر عبد الله بن الزبير على معاوية : ... وإن أبى أسماء بنت  
 أبى بكر الصديق ، وأملك هند آكلة الأكباد ... وعمى خديجة ذات الخطر  
 والحسب ، وعمتك أم جميل حمالة الحطب ... وجدتي صفية ، وجدتك  
 حمامة ... وحالتي عائشة أم المؤمنين ، وخالتك أشقي الأشقياء<sup>(٢)</sup> .  
 ولما أخبر على بقتل الزبير — رضى الله عنهما — فى وقعة الجمل ، قال :  
 بشروا قاتل ابن صفية بالنار .

وصفية أم الزبير : بنت عبد المطلب بن هاشم .

ويذكرون : أن معاوية أعطى الحسن بن على أعطيات جزية فى بعض  
 ريارته له ، فقال له — وهو يقدمها — : خذها وأنا ابن هند !  
 فقال له الحسن : رددتها عليك وأنا ابن فاطمة !  
 والشواهد على ذلك كثيرة .

فليس شرف الإنسان يكون من جهة الرجال فقط ، بل يكون من جهة  
 النساء أيضاً ، بل لعله من جهة النساء أكثر وأهم .  
 وقد لقبوا من أبوه أشرف من أمه بالهجين .

(١) الفواطم : واحدة قرشية ، وقيسيتان ، ويمانيتان ، وأزدية ، وخزاعية ، والعواتك :  
 ثلاث من سليم ، والبواقي من غير سليم .

(٢) العقد الفريد — ١ — ٣٢ .

وكانت بنو أمية لاتولى الخلافة إلا عريباً أباً وأماً ، لحرم منها لذلك  
« مسلمة بن عبد الملك » وكان يلقب بفقى العرب فروسة ونجدة وهمة وكرما .  
وحينما انتصر العباسيون على الأمويين ، وتها الملائمبايعة أول خليفة  
منهم ، قال أبو مسلم الخراساني : أيكم ابن الحارثية ؟  
فبايع لعبد الله السفاح ؛ لأن أمه كانت عريية من بني الحارث بن كعب  
من اليمن ، ولم يبايع للنصور مع أنه كان أكبر سنّاً منه .  
ومثل هذا حدث للأمين مع المأمون ؛ مع أن المأمون أسن وأرشد ؛ لأن  
الأمين : ابن زبيدة العباسية بنت عم الرشيد .  
والأمين ، بخاصة كثيراً ما كان يضاف إلى أمه ، ولما بايع الرشيد له بولاية  
العهد قال سلم الخاسر :

قل للعنازل بالسكتيب الأعفر      سقيت بقادية السحاب الممطر  
قد بايع الثقلان مهدياً الهدى      لمحمد بن زبيدة بنو جعفر  
لحشت زبيدة فاه درأ ، باعه بعشرين ألف دينار<sup>(١)</sup> .

: ولو كان الأمين رأى في مثل هذا المدح هجنة ، لرده ووبخ الشاعر عليه  
كما كان يحدث من الخلفاء والأمرأ في مثل هذه المواقف ، وقد كانوا عرباً  
يفهمون الشعر ويتذوقونه ، ويفرقون بين غثه وسميته .

ولو أخذ هذا على أبي نواس لرجع عنه ، ولست نناعرف أنه مدح بذكر  
النساء كثيراً ، وهذا يدل على أن عمدوحيه ، ونقاد عصره رضوا  
هذا المدح .

ولو نظرنا في المدح بالنساء ، نجد أن قوام الأمر في ذلك أن يكن  
مشهورات ذوات ذكر سائر ، وصفات حميدة متعارفة ، وأقدار خطيرة :

---

(١) وفيات الأعيان - ١ - ٣٥٤ .



مثل فاطمة الزهراء ، وأسماء ذات النطاقين ، وهند بنت عتبة ، وصفية بنت  
عبد المطلب ، وزبيدة بنت جعفر العباسية ، وأم البنين بنت عبد العزيز بن  
مروان الأموية ، لأنهن معروفات للخاص والعام ، فليس في ذكر أسمائهن عيب ،  
هذا إلى أنهن يشرفن من ينتسب إليهن ، وبعضهن كن ملكات أو شبه  
ملكات وإن لم يلقن بذلك ، فمن يقاسمن أزواجهن أبهة الملك ، وسناء الخلافة ،  
بل بعضهن كان نفوذها يحجب نفوذ زوجها ، كالخيزران زوج المهدي ، وأم  
الهادي والرشيد ، وقبيصة<sup>(١)</sup> زوج المتوكل ، وأم ولده المعتز .

ولا أدري كيف يكون شرف الإنسان من قبل أبيه فقط ، وهو يهجي  
بأمه كما يهجي بأبيه ؟




---

(١) سميت بذلك ، لأنها كانت أجمل أهل زمانها من باب تسمية الأضداد .

## الفصل السابع

### التوهم

هذا الباب مما استنبطه أبو إسحاق<sup>(١)</sup>، وسماه التشريع ، وفسره بأن قال: هو أن يبنى الشاعر البيت من الشعر ، والنثر الفصل من النثر على قافيتين ، إذا اقتصر على الأولى كان للشعر وزن غير وزنه ، إذا أتى بعد الأولى بالقافية الثانية . ولا يختلف الوزن إلا من جهة الضروب ، وإلا فالشعر لابد أن يكون من بحر واحد ، والقافيتان يجوز تماثلهما ، ويجوز اختلافهما ، وكذلك يكون الحكم في الفصل من النثر ، فإنه إذا اقتصر فيه على السجعة الأولى كان الكلام تاما مفيداً ، وإن ألحقت بها السجعة الثانية ، كان في التمام والإفادة على حاله ، مع زيادة معنى مازاد من اللفظ<sup>(٢)</sup> .

وعرفه غيره : بأنه بناء البيت على قافيتين ، يصح المعنى بانوقف على كل واحد منهما<sup>(٣)</sup> .

فإذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزءان ، صار ذلك البيت من وزن آخر غير الأول .

ولا عيب في هذا التعريف ، إلا أنه غير جامع ، لأنه لا يعلم ما بنى على أكثر من ذلك ، فكان الأحسن أن يقال : هو بناء البيت على قافيتين أو أكثر ، ليشمل مازاد على قافيتين<sup>(٤)</sup> .

(١) هو أبو إسحاق الإجداني : إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي .

(٢) بديع القرآن لابن أبي الإصبع .

(٣) الإيضاح - ٢٨١ - لتمام الدراية - ١٦٩ .

(٤) التجريد - ٤ - ٤٤٩ .

وقد روى عن بعض الشعراء : أنه كان ينظم القصيدة على ثلاثة أبحر من الشعر ، ثم يُنشد كل واحدة منها على - ياله مخالفاً الآخر .

واقترح عليه بعض أصحابه أن يصنع مثل ذلك . فصنعه وأجاد فيه<sup>(١)</sup>.

ولكن لعل الخفايب - وهو صاحب هذا التعريف - رأى ما بنى على أكثر من قافيتين ضرباً من التكلف ، فلم يدخله في حساب ، ولذلك لم يمثل له .

وللتوهم أسماء كثيرة : منها : التشريع .

وقد اعترض على هذه التسمية ابن السبكي ، فقال : إنها عبارة لا يناسب ذكرها ، فإن التشريع قد اشتهر باستعماله فيما يتعاق بالشرح المعظم ، فمكان من اللائق اجتنابها<sup>(٢)</sup> .

وهذا القول غلو في التزمّت ، وإقحام للدين في مسائل لا تمس جوهره من قرب أو بعد .

وغريب أن يصدر من صاحب « عروس الأفراح » ، فقد مهدناه من أوسع المتأخرين أفقاً في تصور البلاغة ، وأكثرهم إدراكاً لحقائقها .

وقد سماه ابن الأثير : « التوشيح » .

وبنى تعريفه على هذه التسمية ، فقال : هو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين ؛ فإذا وقف من البيت على القافية الأولى ، كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض .

وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى ، كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح<sup>(٣)</sup> .

(١) الطراز - ٣ - ٧٢ .

(٢) التجريد - ٤ - ٤٤٧ .

(٣) المثل السائر - ٣١٠ .

وجرى العلوى فى طريق ابن الأثير - كما هى عادته - فسماه: «التوشيح»  
أيضاً ، ثم علل التسمية بقوله : اعلم أن هذا النوع إنما لقب بالتوشيح ؛  
لأن معناه أن يبنى الشاعر قصيدته على بحر من البحور الشعرية ، فإذا  
وقف على القافية الأولى ، فهو شعر كامل مستقيم ، وإذا وقف على الثانية  
كان بجزء آخر ، وكان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر ؛ فلها كان ما يضاف  
إلى القافية الأولى زائداً على الثانية سمي: توشيحاً ، لأن الوشاح : ما يكون  
من الخلى على الكشح زائداً عليه .

ثم أردف قائلاً : ويقال له : التشريع أيضاً ، لأن ما هذا حاله من  
الشعر ، فإن النفس تشفع إلى تمام القافية وكلها<sup>(١)</sup> .

وسماه بعض البلغاء : « التوشيح وذا القافيتين معاً » .

وعلى هذا الأخير اقتصر الوطواط<sup>(٢)</sup> ، وهو أنسب الأسماء<sup>(٣)</sup> ؛ لأنه  
اسم يدل على مساه ، ويعرب عن حقيقته ، ويعنى عن تعريفه .

واختار ابن أبى الإصبع : اسم « التوم » .

وأراد بذلك مطابقتها للمسمى ، لأن التوم فى اللغة : المولود مع غيره  
فى بطن : من الاثنين فصاعداً ذكراً أو أنثى .

وهنا قافيتان أو أكثر ، كل واحدة توم لغيرها<sup>(٤)</sup> .

وكذلك سماه السيده طى : التوم<sup>(٥)</sup> .

(١) الطراز - ٣ - ٧٠ .

(٢) حقائق السحر - ١٥٧ .

(٣) التجريد على السعد - ٤ - ١٤٧ .

(٤) خزائن الأدب للحدوى - ١٤٩ .

(٥) الإقنان - ٢ - ١٦٨ .

مثاله من القسم الأول — وهو ما بنى على قافيتين — قول الحريري في المقامة الثالثة والثلاثين من أبيات في ذم الدنيا :

يا خاطب الدنيا الدنية لأنها شرك الردى ، وقَرارة الأكداد  
دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غدا ، تبسها لها من دار (١)  
وإذا أظلم سحابها لم يلتقعه منه صدئ ؛ لجهامه الغرار (٢)  
غاراتها ما تنقضي ، وأسيرها لا يُفتدى ، بجلال الأخطار

فهذه الآيات من الضرب الثاني من البحر الكامل ؛ لأنه مقطوع .  
والقطع : إسقاط ساكن الوند المجموع ، وهو حرفان يليهما ساكن ،  
وتسكين المتحرك الثاني ؛ كأن تسقط نون « متفاعلن » وتسكن « اللام »  
فتصير « متفاعلن » نحو : أكدارى .

وإن وقفت على « الردى . وغدا » إلى آخره ، صار البيت من الضرب  
الثامن من الكامل أيضاً ؛ لأنه مجزوء .

وتفاعيله حينئذ أربعة | ومصرعه على الياء الأولى من « الدنية » .  
ويكون الشعر هكذا :

يا خاطب الدنيا الدنية	لأنها شرك الردى
دار متى ما أضحكك	في يومها أبكت غداً
وإذا أظلم سحابها	لم يلتقعه منه صدئ
غاراتها ما تنقضي	وأسيرها لا يُفتدى

ولؤيد الدين الطغراني من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتاً — يمدح بها  
الوزير نظام الملك — (٣) .

(١) تبالها : أى هلاكا . وفي رواية : بعدا لها .

(٢) لم يلتقعه : لم يرو ولم يسكن . والجهاه كسلام : السحاب لأماء فيه .

(٣) النجوم الزاهرة — ٥ — ٢٢٠ .

يأيها المولى الذى      اصطنع الورى ، شرقا وغربا  
والمستعان على الزما      ن إذا اعترى ، وأجدد جدبا (١)  
أقسمت بالهزل النوا      فح في البرى ، قودا وقبنا (٢)

. . . . .

والقافية الأولى : كلمة « الورى » ، و « اعترى » ، و « البرى » ،  
والثانية « غرباً » وجدبا « و « قبا » وهكذا .  
كان يقول :

يأيها المولى الذى اص      سطنع الورى  
والمستعان على الزما      ن إذا اعترى  
أقسمت بالهزل النوا      فح في البرى

والقصيدة كلها على هذا المنوال .

وقد كان الطغرائى معاصراً للحريرى ، ولا يدرى منهما من السابق  
فى ذلك :

ولأبى الحسين بن سعد الكاتب قصيدة (٣) من هذا النوع :  
وقسينة وصلتها بطاهر      مسود ، ترب العلا نجيب (٤)  
إذا غوت أرشدتها بخاطر      مسدد وهاجس مصيب (٥)  
وبلدة قطعها بضامر      خفسيدي ، عيرانة ركوب (٦)

(١) اعتراه : غشيه . وأجد : أحدث .

(٢) الهزل : جمع بازل ، وهو البعير والناقة يدخلان فى السنة التاسعة . والبرى بالفتح :  
الزباب . والقود : بضم القاف : طوال الأعناق ، جميع أقود كأسود . والقب بوزن جر : الضرب البطون  
جمع أقب .

(٣) معجم الأدباء - ٣ - ٤٤ .

(٤) التزب بالكسر : من ولد معك .

(٥) الهاجس : ما يخطر بالبال .

(٦) الخفيدة : السريع . والعيرانة : السريمة فى نشاط . والركوب بالفتح : الدلول .

ولييلة سهرتها لزائر ومُسعد ، مُواصل حبيب  
وقهوة باكرتها لفاجر ذى عتد ، فى دينه ، وروب<sup>(١)</sup>  
سُورُتها كسرُها بماطر مبرد ، من جمّة القليب<sup>(٢)</sup>  
وحرب خصم بُخُشها بكائر ذى عتد فى قومه مهيّب<sup>(٣)</sup>  
مُعوّدا ، بل سنّتها بياتر مهند ، يفرى الطشائى رسوب<sup>(٤)</sup>  
وكم حظوظ نلتها من قادر مُمجّد ، بصنعه الغريب  
دافيه إذ شكرتها فى سامر ومَشهد للهالك الرقيب

ويمكن الاكتفاء بالقافية الأولى « خفيدد » و « مسعد » و « مسود »  
و « مسدد » و « ذى عتد » إلى آخر القصيدة .

بل إن ياقوتنا يقول : إنها على أربع قواف ؛ كلما أفردت قافية ، كان  
شعراً برأسه إلى آخر الأبيات<sup>(٥)</sup> .

فنقول :

وبلدة قتلعتها بضامر خفيدد  
ولييلة سهرتها لزائر ومُسعد  
وقنينة وصلتها بظاهر مسود  
وقهوة باكرتها لفاجر ذى عتد

(٥) ذى عتد : شديد . والوروب بوزن : غفور المخادع .

(٦) السورة بفتح السين : الحدة . والجمة بالضم : معظم الماء ، والغليب : البئر .

(٧) بخُشها : أطعمتها ؛ مضمّن معنى أباح المتعدى ، والكائر : ذو الكثرة فى الرجال والمال .

(٨) معودا : حال حذف معوله : أى معودا ذلك ، وسائه : سريره بسيفه . ويفرى : يشق . والطلّى كمالا : الأعناق ، هم طلبة بالضم .

(٩) معجم الأدباء - ٣ - ٤٤ .

وكذا قول صفي الدين الحلي - وهو من البسيط - :

فلو رأيت مصابي عندما رحلوا رثيت لي من عذابي يوم يذهبهم

ومنه يخرج هذا البيت من مجزوء المبحث :

فلو رأيت مصابي رثيت لي من عذابي

والحسن فيه أظهر من أصله ، فقد خلا من الحشو والفضول الذي شان الأصل ، « فمصابي » تنوب عن « عذابي » و « عندما رحلوا » تنوب عن « يوم يذهبهم » :

هذا إلى التصريح الجميل الخفيف الروح الذي جاء من غير تكلف .  
ولا شك أن من الاتفاق الغريب : أن يستنبط بيت من بيت ، فيأتي أحسن من سابقه .

وقول ابن جابر الأندلسي :

من لي بأنسة ينام لحاظها من غير نوم ، بل تتيه وتفتن  
قالت : أليست تخاف حين تزورني سطاوات قومي ، كم تبوح وتعلن  
فأجبتها في نيل وصلك لم أكن لأخاف لومي ، فهو عندي هيئن

وهو يأتي كما يلي :

من لي بأنسة ينام لحاظها من غير نوم  
قالت : أليست تخاف حين تزورني سطاوات قومي  
فأجبتها في نيل وصلك لم أكن لأخاف لومي

وقول أبي جعفر الغرناطي :

يا راحلا يبغي زيارة « طيبة » نلت المني بزيارة الأخيار<sup>(١)</sup>

(١) طيبة بفتح الطاء : المدينة المنورة كطابة وطيبة بتشديد الياء المكسورة ، والطيبة بتشديد الياء المفتوحة



حى العتيق، إذا وصلت وصف لنا وادى معنى، ياطيب الأخبار<sup>(١)</sup>  
وإذا وقفت لدى المعرف، داعياً زال العناو ظفرت بالآوطار<sup>(٢)</sup>  
ويمكن أن نقول :

يا راحلا يبغي ذبا رة طيبة نلت المني  
حى العتيق إذا وصل ت، وصف لنا وادى منى  
وإذا وقفت لدى المعرف ف داعياً زال العنا

ومن الحسن الجيد : قول بعضهم :

أسلم ودمت على الحوادث مارسا ركننا ثبير ، أو هضاب حراء<sup>(٣)</sup>  
ونل المراد ممكناً منه على رغم الدهور ، وفز بطول بقاء  
ويمكن أن نقول :

اسلم ودمت على الحوا دث ، ارساً ركننا ثبير  
ونل المراد ممكناً منه على مر الدهور  
وليس هذا النوع — كما يتوهم — من اختراع المحدثين ، فقد جاء فى  
شعر العرب .

قال ابن سلام<sup>(٤)</sup> : سمعت سلبة بن عياش يقول : تذا كرنا جريراً  
والفرزدق ، والأخطل ، فقال قائل : من مثل الأخطل ؟ إن كان فى كل  
بيت له بيتان ، إذ يقول :

(١) العتيق : واد بظاهر المدينة ، ومنى : موضع بمكة مذكر مصروف.

(٢) المعرف : بشديد الرأى المفتوحة : الموقف بعرفات .

(٣) ثبير : جبل بمكة .

(٤) طبقات الشعراء - ١٨٥ - ١٨٦ .

ولقد علمت إذا الرياح تروّحت هَدَجَ الرّئال، تكبّهن شمالاً (١)  
أنا نعيّجّل بالعبيط لضيّفتنا قبل العيال، ونقتل الأبطالاً (٢)  
وفي بعض الروايات :  
ألقيتنا نقرى العبيط لضيّفتنا .

ولو شاء لقال :

ولقد علمت إذا الرياح تروّحت هَدَجَ الرّئال (٣)  
أنا نعيّجّل بالعبيط لضيّفتنا قبل العيال  
فلسكل منهما قافيتان .

والبيتان في الأصل من الضرب التام المقطوع من « السكامل » « على  
تمام أجزائه » .

وبالاقتصار على « الرّئال » و « العيال » بصيران إلى الضرب المجزوء  
المرفل من « السكامل » أيضاً (٤) . ففي كل بيت في حال التمام قافيتان مقدرتان

(١) تروّحتهم : أى صادفتهم وقت الرواح : والرّئال كسباع : جمع رأل كراى : صغار  
نعام . والهدج : بفتح الهاء والدال : المشى في ارتعاش ؟ وهو مشى النعام .

(٢) العبيط : السمن الفقى المذبوح على غير علة .

(٣) في خزانة الأدب للحموى — ١٤٩ .

وإذا الرياح مع العشى تناوحت هوج الرمال بكبهن شمالاً

ألقيتنا نقرى العبيط لضيّفتنا قبل القتال ، ونقتل الأبطالاً

وفي معاهد التنصيص — ١٠٣ :

وإذا الرياح مع العشى تناوحت هوج الرمال تكبهن شمالاً

والتعريف ظاهر في الروايتين .

(٤) الترفيل : أن يزداد في البحر السكامل سبب على « متفاعلين » فيصير : « متفاعلاتين »

والسبب : حرف متحرك وحرف ساكن .

على تساوي القافيتين في حال الاختصار في الردف ، وتمائلهما في الروى وإن اختلف المجرى فيهما .

وأنت لا تشك في أن الأخطل لم يشكفه ، ولم يفكر فيه ، بل وقع في شعره من غير قصد ، ولعله لم يفتن إليه بعد وقوعه .

وهذا واضح في نسج الشعر ، وانسيابه سجعاً سهلاً متدفقاً ، كأنه أعناق السيل .

وواضح أيضاً في أن الفرع لا يقل عن أصله في حسن السبك ، ورونق الديباجة ، حتى لبطن أنه نظم مستقلاً .

ولم يشترط الوطواط : أن يتزن الباقي من الشعر ويصير على وزن آخر بعد حذف ما يحذف منه ، بل اشترط فقط : أن تكون للقصيدة أو المقطوعة قافيتان متجاورتان ، مثل قول مسعود بن سعيد :

يايلة أظلمت علينا لبلاء قارية الدجنه (١)

قد ركضت في الدجى علينا دهما خدارية الأعنه (٢)

فبت أقتاسها فكانت حبل نهارية الأجنه (٣)

ففي هذه القطعة نجد القافية الأولى : « قاريه » و « خداريه » و نهاريه والقافية الثانية : « دجنه » و أعنه » و أجنه » .

ولا شك أن هذا الضرب أقل تكلفاً من سابقه ، وأسهل نظماً .

(١) القارة : منسوبة إلى القار . والدجنه بتشديد النون وتخفيف : الظلمة .

(٢) الدم : السود . والخدارية بالضم : العقاب ؛ شبهها في السواد بالخيال الدم ، وفي السرعة بالعقاب

(٣) حداثى السحر ١٥٧ .

ومثال ما بنى على أكثر من قافيتين : قول الحريري — وهو من أول السكامل — :

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى بوصاله وترحمى (١)

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله لا تظلمى (٢)

قال الفزرى : وهذه الآيات على قواف عدة .

الأولى : رائية فى « المستهتر » و « المتفكر » .

والثانية : « بائية » فى الصب و « القلب » .

والثالثة : يائية فى « الجوى » و « الشجى » وعلى هذا القياس (٣) .

وتفصيل ذلك : أنه يمكن أن يقال من نهوك الرجز :

جودى على المستهتر ذا المبتلى المتفكر

ومن مشطور الرجز الأجد :

جودى على المستهتر الصب الجوى ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى

ومن مشطور الرجز :

جودى على المستهتر الصب الجوى ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى (٤)

ومن مجزوء الرجز :

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى

(١) الجوى بكسر الواو على وزن فعيل : من يحس الجوى بفتح الواو ، وهو الحرقه من عشن أو حزن والمستهتر بالشئ بالفتح : المولع به لا يبالى بما قيل فيه .

(٢) الشجى بالتخفيف وفى الشعر بالثقيل : الحزين .

(٣) التجريد : — ٤ — ٤٤٩ .

(٤) التقرير للأنبابى — ٤٤٩ — بغية الإيضاح — ٩٦ — ٤ .

ويمكن أن تكون هائية في «وصاله» و «حاله» :

جودى على المستمتر الصب الجوى وتعطفى بوصاله

ذا المبستلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله

وقول ابن جابر الأندلسى :

يرنو بطرف فاتر . مهما رنا	فهو المنى . لا أتتهى عن حبه
يهفو بغصن ناضر . حلو الجنى	يشفى الضنى . لاصبرلى عن قربه
لو كان يوما زائرى . زال العنا	يحلوا لنا . فى الحب أن نسمى به
أنزلته فى ناظرى . لما دنا	قد سرنا . إذ لم يحل عن صبه

فهذه الأبيات من «الضرب الأول من الرجز التام» .

ويصير من مجزوء الرجز :

يرنو بطرف فاتر	مهما رنا فهو المنى
يهفو بغصن ناضر	حلو الجنى يشفى الضنى
لو كان يوما زائرى	زال العنا يحلوا لنا
أنزلته فى ناظرى	لما دنا قد سرنا

ومن مشطور الرجز :

يرنو بطرف فاتر مهما رنا	يهفو بغصن ناضر حلو الجنى
لو كان يوما زائرى زال العنا	أنزلته فى ناظرى لمادنا

ومن منهوك الرجز :

يرنو بطرف فاتر	فهو المنى لا أتتهى عن حبه
يهفو بغصن ناضر	يشفى الضنى لاصبرلى عن قربه
لو كان يوما زائرى	يحلوا لنا فى الحب أن نسمى به
أنزلته فى ناظرى	قد سرنا إذ لم يحل عن صبه

ومن ذلك قول الأراجاني :

صب مفيم سائر فؤاده طوع الهوى مع الخليط المنجد<sup>(١)</sup>  
 غائب قلب حاضر وداده لمن نأوا في عهدهم والمعهد<sup>(٢)</sup>  
 له جوى مخامر يعتاده إذا اشتكى طيف الكرى في السعود<sup>(٣)</sup>  
 لصبره مكابد لإيقاده حشو الهوى بعد الحسان الخرد<sup>(٤)</sup>  
 ودمعه مكائر أسداده خوف النوى يقول : « لهم » أبعد<sup>(٥)</sup>  
 والأمثلة على ذلك كثيرة ، وقد اكتفينا بما لعله لا يبلغ غاية الثقل .

ويعد بحر الرجز أوسع البحور في هذا النوع ، لأنه يستعمل تاما  
 ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ، فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قواف .

فإذا ما أسقطت ما بعد القافية الأولى ، صار البيت منهوكا .

وإذا ما أسقطت ما بعد الثانية ، صار مشطورا .

وإذا ما أسقطت ما بعد الثالثة ، صار مجزوا .

وإذا لم تسقط شيئا كان تاما<sup>(٦)</sup> .

هذا وقد قدمنا : « أن التشريع » يسمى : « التوشيح » عند  
 بعض البلغاء .

(١) الخليط : الشريك . والمنجد : من أنى نجدا أو خرج إليه .

(٢) العهد : المنزل الذي لا يزال القوم يرجعون إليه إذا بعدوا عنه ، والموضع الذي كنت  
 تعهد به شيئا .

(٣) المخامر : المخالط والعود : جمع عائد ، وهو زائر المريض .

(٤) الخرد : جمع خريدة ، وهى البسكرة لم تقس ، أو الحفرة الطويلة السكون ، الخائضة  
 الصوت المستترة .

(٥) لهم : أصلها : اللهم .

(٦) خزانة الأدب للحموى - ١٥٠ .

ونحب أن نبين هنا : أن التوشيح أطلقه بعضهم على نوع آخر من البديع .

فالتوشيح عند قدماء<sup>(١)</sup> : أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ، ومعناها متعلقا به ؛ حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي منها البيت — إذا سمع أول البيت — عرف آخره ، وبانت له قافيته ، كقول الراعي النيرى :

وإن وزن الحصى فوزنت قومي وجدت حصي ضريبةهم رزينا<sup>(٢)</sup>  
فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت ، استخرج منه لفظ قافيته ؛ لأنه يعلم : أن قوله « وزن الحصى » سيأتي بعده « رزين » لعلتين : أحدهما : أن القافية في القصيدة توحده .

والأخرى أن نظام المعنى يقتضيه ، لأن الذي يفاخر برجاجة الحمى يلزمه أن يقول في حصاه : إنه « رزين » .  
وقول نصيب :

فقد أيقنت أن ستزول ليلى وتحجب عنك إن نفع اليقين  
فن تأمل هذا البيت ، وجد أوله يشهد بقافيته .

وهو بهذا المعنى عند العسكري والخلجي والحموي ، إلا أنه يشمل النظم والنثر معا .

ويزيد العسكري على ذلك : أن تسميته توشيحاً ، بعيدة عن معناه ، وأن الأقرب أن يسمى « تبيناً »<sup>(٣)</sup> .

ويفسر النويرى معناه بقوله : هو أن يكون معنى الكلام يدل على لفظ

(١) نقد الشعر - ٩٩ .

(٢) الفريية : السجبة والطبيعة ، يصفهم برجاجة الحلم ولوقان والثبات ؛ والحصى : المقول والآراء جمع حصاة ، وهو حصي كغنى بالتشديد : وافر العقل .

(٣) الصنائع - ٣٧٢ - حسن التوسل - ٦٨ - خزائن الأدب - ١٦٢ .

آخره ؛ فيتنزل المعنى منزلة ارشاح ، ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشبح اللذين يحول عليها الوشاح<sup>(١)</sup>.

والتوشيح عند الطواط<sup>(٢)</sup> ، يختلف عن ذلك كثيراً ؛ فهو عنده : أن يورد الشاعر في أول الأبيات ، أو وسطها حروفاً أو كلمات ، بحيث إذا جمعت بعينها أو مع تصحيفها ، خرج لنا منها بيت أو مثل «بفتح الشاء» أو اسم ، أو لقب من الألقاب .

### قيمة التشريع :

حينما ننظر في هذا النوع البديعي ، نرى أن قيمته افطية محضة ؛ وهي هذه الموسيقية المزروجة المتحدرة إلى أسماءنا من قافيتين أو أكثر : إحداهما : داخلة ، والأخرى : خارجة .

أما المعنى فيه ، فقلّ أن يناصره اللفظ ؛ لأن الشاعر يستهلك خاطره كله في تسوية هذه الصنعة الشاقة المضنية ، التي تشبه عملاً هندسياً دقيقاً ، يحتاج إلى حساب وتقدير ، وقياس ووزن ، لا يترك مكاناً للتفكير في غيره .

ولسنا نقلل من قيمة التنعيم ، وعمق أثره في النفس ، متى وصل إلينا صافياً عذباً مهذباً متقناً ، ولكنه فيما نحن بسبيله ، لا يرتقى أبداً إلى هذه المرتبة إلا في الأقل النادر ، لأنه ينبعث من هياكل كلمات خاوية لا روح فيها ولا خصب ولا حياة || كلمات ركبتها المعازلة ، وضامها التعسف ، وشاعت فيها الغثاثة ، وتقطعت بينها الأسباب والأرحام ، وضم بعضها

١ . (١) نهاية الأرب - ٧ - ١٣٧ .

٢ . (٢) حقائق السحر - ١٦٠ .



إلى بعض قسراً واجتلاباً ؛ بلا توافق في صيغة ، ولا تناسب في بنية .  
ولا تلاؤم في معنى .

فالشأن كله إذن : صنعة لا طبع ، وتعمُّل لا هبة ، وتلفيق  
لا بلاغة .

أما ما وراء ذلك مما يقوم به الكلام ، ويقاس به قدره ، فليس له أدنى  
حظ من الرعاية .

فعمل الشاعر هنا ، مردؤه : إلى المهارة اللفظية ، والقدرة على الرصف  
والاحتتيال على البناء ، وبقدر نصيبه منها ، يكون إحسانه فيه إحساناً مجرداً  
من سمة الإلهام ، وموضوعة الوحي ، ورشح العاطفة ، وفيض الطبع ، إذ  
لا يتصور العقل : أن هذا المنظم - الدقيق المسلك ، البائع السكفة ، الكثير  
التعقيد ، الذي يبني بناء ، ويرصف رصفاً ، ويشكر في آخره قبل أوله  
ويختار لاحقه قبل سابقه - مما تسمح به النفس ، وتندى به القريحة من غير  
قصد ، إلا على الندرة في البيت .

ولا خلاف : أن الضرب الأول منه — وهو ما بنى على قافيتين —  
أيسر صنعة ، وأخف مثونة ، وأدنى إلى القبول من الضرب الثاني .

والضرب الثاني — على ثقله إلى حد ما في أقل صورته — يزداد ثقلاً  
بازدياد قوافيه .

وآية ذلك : أننا في كل ما أوردناه منه - وهو المصنف المختار - لا نجد  
ديباجة أنيقة ، ولا خيالاً بديعاً ، ولا معنى دقيقاً ، ولا صورة ناصعة ،  
تستوقف النظر ، وتسترق السمع .

هذا إذا قرأناه تاماً ، فأما حين نمزقه إلى قوافيه الداخلية ، ونحمله

إلى ضروب أخرى من الأوزان ؛ فإن سلوكه انتهى ، وروابطه تم من ، وعراه تنفصم ، ويشيع فيه التفكك والانحلال ، فلا ترى إلا مبعثرة هنا وهناك ، لا يمت بعضها إلى بعض بنسب ولا سبب .

وقد غلا بعض الشعراء في ذلك ، وركب رأسه فيه ، حتى انتهى إلى ما يصح أن يسمى شعوضة ، لا يرضاها لنفسه الفنان الاصيل . فمن ذلك ما نظمته « الرئيس بن عاصم » في مدح السلطان « أبي الحجاج »<sup>(١)</sup> .

وهي قصيدة طويلة غريبة تنمخض فتلك بنتين ، وكل بنت تلد موشحة ؛ فتصبح القصيدة أما لبنتين ، وجدة لحفيدتين ١١ .

وسنذكر فيما يلي نموذجاً لهذه القصيدة الولود غير الودود ، ونشير بالاقواس المفردة إلى إحدى البنتين ، وبالأقواس المزدوجة إلى البنت الأخرى<sup>(٢)</sup> :

أما والهوى « ما كنت » مذبذب عهد  
أهيم بـلقيا مـن ( تنائر ) ودّه  
رعى الله من « لو أنصف » الصبّ في الهوى  
لما فاض منه ( الدمع ) مذبذب صده  
ولو جاد من بعد « المِطال » بزورة  
لما شبّ أشواقى وقلبي زنده  
كما خان صبرى يوم أصبح « واصل  
« لظى » ، زاد ماء من ( جفوني ) وقده

(١) زهر الرياض في أخبار القاضى عباس - ١ - ١٤٦ « تحقيق الميمى .

(٢) كات العلماء يواصون بوضم كلمات إحدى البنتين بين قوسين مزدوجتين «  
مكتوبة بخط أحمر ، وكلمات الأخرى بين هلالين ( مكتوبة بخط أخضر  
( م ١٣ البلاغة )

— ١٩٤ —

كذلك أسال الدمع ( من الدار ) مدمعى  
 من « الوجد » فاستولى على الجفن سهده  
 حكي لؤلؤا ( من سلكه ) تنائراً  
 و « إلا ليم » قد نتابع ممدته  
 ذخرت ( الثمين ) القدر منه بمقلتي  
 وما زلت من خوف « النكال » أعدته  
 ولا عجب ( مذ أعوز ) القرب أن غدا  
 « وكالقمر الزاهى » سناه وبعده  
 أيلح حق باللقبا أو ( الوصل ) من يغو  
 ر « فى نوره » بدر السماء وجنده  
 وصير جسمى للصباية ( والتلا  
 فى ) مثل قلبى إذ تمكّن وجده  
 أقطع أنفاسى « عليه ك » آبه  
 والله من بدر ) لغيرى سعه  
 فمن شعره « الليل البهيم » ومن سنا  
 مقبله للـ ( حسن ) نور يمدّه  
 فالبيت الأولى الخارجة من الأقواس المفردة هى :  
 تنائر الدمع من جفونى كالدّر من سلكه الثمين  
 مذ أعوزّ الوصل والتلاقى من بدر حسن بلاقرين  
 والموشحة المتولدة هى :  
 تنائر الدمع كالدّر مذ أعوزّ الوصل من بدر

وتصير باختصار هكذا :

تنسائر الدمع      مذ أعوز الوصل

والبنيت الأخرى الخارجة من الأقواس المزدوجة :

ما كنت لو أنصفَ بعد المطال      أصبلى لظى الوجد الأليم النسيك  
كالقمر الزاهى فى نوره      عليه كالليل البهيم الدلال  
وموشتها هى :

ما كنت لو أنصف      أصلى لظى الوجد الأليم  
كالقمر الزاهى      عليه كالليل البهيم

ويمكن أن تختصر هكذا :

ما كنت لو أنصف      كالقمر الزاهى

ولا نستطيع أن نقول شيئاً فى هذا أكثر من أنه سخيف وهراء ، يسوده  
الخلل فى النظم ، والتعسف فى التركيب ، والاستغلاق فى المعنى ، فالآم  
وبنتاها وحفيدتاها جميعاً ، قرار للقيح والدمامة ، وثقل الروح ، وجمود  
النسيم ، ولو كن من الإلس لبغض الرجال فى بنات حواء !

ومن هذا العبث أيضاً : قصيدة سائرة ذات أوزان ، للشاعر الخلطى  
البعابيسى ، وهى :

دام نوى . بفؤاد شفته سقم      لمحتنى . من دواعى الهم والسقم  
بأضلعى . لهب تذكو ش. ارته      من الضنى . فى محل الروح من جسدى  
يوم النوى . طال فى قلبى به ألم      وحرقتى . وبلاى فيه بالرصد  
توجعنى . من جوى شبت حرارته      مع العنا قد رثى لى فيه ذو الحسد  
أصل الهوى . مُلبسى وجدابه عدم      لمهجى . من رشاً بالحسن منفرد  
تبعى . وجهه من تزهو نضارته      لماجنى . مورثى وجدا إلى الأبد

ويقول الصنفى : إن هذه القصيدة ، تقرأ على ستين وثلاثمائة وجه .<sup>(١)</sup>  
وطريقة ذلك : أن يؤخذ الشطر الأول من كل بيت كما هو ، أو مع تغيير  
في بعض كلماته ؛ ثم يوضع مع ما يناسبه معنى ، من الشطور الشواني في القصيدة  
كلها ؛ فتخرج من ذلك صور كثيرة للبيت الواحد .

وإذا كان الأصل على هذه الصفة من هلملة النسيج ، وسوء التركيب ،  
وتعبد اللفظ والمعنى ، والفراغ التام من صور البيان الأنيق ، فما الظن  
بما يتفرع عنه من هذه التوائم السكثيرة المولودة خداجاً<sup>(٢)</sup> ، مع ما تحمله  
من أوم العرق !! .

ولبعض الأندلسيين خطبة تخرج منها قصيدة كاملة<sup>(٣)</sup> .

وأغرب من ذلك ، بيت للشيخ نجيب الدين العاملى فى مدح الإمام (على)  
ذكروا : أنه يشتمل على أربعين ألف بيت ، وثلاثمائة وعشرين بيتاً<sup>(٤)</sup>  
فى حساب طويل معقد ، وهو :

على . رضى . بهى . ولى . صنى . وفى . سخي . على

وقد أشار ابن الأثير إلى شيء من هذا الهذر ، فقال : لقد رأيت  
رجلاً أديباً من أهل المغرب ، وقد تغلغل فى شيء عجيب ؛ وذلك : أنه شجر  
شجرة ، ونظمها شعراً ، كل بيت من ذلك الشعر ، يقرأ على ضروب من  
الأساليب اتباعاً لشعب تلك الشجرة وأغصانها .

فتارة يقرأ كذا ، وتارة يقرأ كذا ، وتارة يكون جزء منه هنا ، وتارة  
ههنا ، وتارة يقرأ مقلوباً .

(١) أزهار الرياض - ١ - ٣١٠ .

(٢) الخداج : ولادة النقص .

(٣) سلافة العصر - ٣١٣ .

(٤) المثل السائر - ٣٠٨ .

وكل ذلك الشعر — وإن كان له معنى يفهم — فإنه ضرب من الهذيان ،  
والأولى به وبأمثاله أن يلحق بالشعبذة والمعالجة والمصارعة ، لا بدرجة  
الفصاحة والبلاغة .

ويتصل بالتشريع : نوع يسمى : « المتلون » ذكره الوطواط .  
وهو أن يقول الشاعر : بيتاً من الشعر تمكن قراءته على وزن ، أو  
أكثر من أوزان الشعر .

ويختلف عن التشريع : بأنه ليست له قافية داخلية يمكن الاختصار عليها .  
وذلك كقول الشاعر :

إنما الدنيا فداء داره      وبنو الدنيا فداء أسرته

فإذا قرأت لفظة « فدا » مقصورة في كلا المصراعين ، كان هذا البيت  
من « المديد » .

وكان تقطيعه هكذا :

فاعلاتن فاعلن فاعلن . . :

أما إذا قرأت « فدا » ممدودة ؟ فإن البيت يكون من بحر الرمل ،  
ويكون تقطيعه هكذا :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن .

وكذلك يتصل بالتشريع : المربع في الفارسية « جهارسو » .

وهو الذي له أربع نواح .

وهو : أن يقول الشاعر أربعة أبيات ، أو أربعة مصاريع ، بحيث  
إذا قرئت طولا أو عرضاً كانت واحدة .

وذلك مثل قول الوطواط :

فؤادى . سباه . غزال . ربيب  
سباه . بقدر . كفنصن . رطيب  
غزال . كفنصن . كجنه . عجيب  
ريب . رطيب . عجيب . حبيب

ومن ذلك قطعة للصفي الحلي ، تقرأ من أعلى إلى أسفل أربع  
مرات وهى :

ليت شعرى — لك علم	من سقامى — يا شفاى
لك علم — من زفيرى	ونحولى — وضنائى
من سقامى — ونحولى	داونى — أنت دائى
يا شفاى — وضنائى	أنت دائى — ودوائى

ولا يخفى ما فيه من التكلف ، وإخضاع المعنى للصياغة المحضنة .  
وقد ذهب قوم : إلى أن التشريع خاص بالشعر — كما تقدم —  
وذهب آخرون كابن الأثير والحموى والعلوى ، إلى أنه يقع  
فى النثر أيضاً<sup>(١)</sup> .

وذلك بيناء كل فقرة منه على سيجتين ، لو اقتصر على الأولى  
منهما ، كان الكلام تاماً مفيداً ، وإن ألحقت به السجعة الثانية ،  
كان فى التمام والإفادة على حاله ، مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ ،  
ولكن حسنه لا يظهر إلا فى النظم ، لأن الانتقال فيه ، من وزن  
إلى آخر .

(١) المثل السائر — ٣١٠ — خزائن الأدب — ١٥٠ — الطراز — ٣ — ٧٢ .

وأما النشر ، فليس فيه هذا الانتقال : لمجيئه — إذ ذلك مستجوعاً على كل حال — فلا يكون إلا هذا النوع المعروف بالترصيع .

وقد نبه العلوى : بأنه إنما يقع عن كان يتعاطى التمكن من صناعة النظم ، عظيم البراعة في ذلك ، مقتدراً على كثير من الأساليب<sup>(١)</sup> .

ويرى ابن أبي الإصبع<sup>(٢)</sup> : أن معظم سورة الرحمن جاءت من هذا الباب ؛ كقوله — تعالى — : « يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ، فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان . يُرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان . »

وهكذا إلى آخر السورة ، فإن الكلام أو اقتصر فيه على أولى الفاصلتين دون الثانية — لو كان التنزيل كذلك — لكان الكلام مفيداً وبتمثيل الكلام بالفاصلة الثانية ، بفيد معنى زائداً على معنى الكلام الذى خرج مخرج تجاهل العارف ، للاستفهام فيه عما هو معلوم ، لقصد التوبيخ بعد تعديد النعم ، والتحذير من حلول النقم ، فكانت الفاصلة الأولى في غاية التمكن ، والثانية متضمنة لإغلا حسناً ، جاء مقترناً بتجاهل العارف .

وقس على ذلك ما تلاحظه من سور الكتاب العزيز .

وقد اعترض عليه السيوطى<sup>(٣)</sup> : بأن التمثيل غير مطابق ، وأن الأولى

(١) الطراز — ٣ — ٧١ .

(٢) بدع القرآن — ١٨٥ .

(٣) الإنقان — ٢ — ١٧٦ .



-- ٢٠٠ --

أن يمثل بالآيات التي في إثباتها ما يصح أن يكون فاصلة ، كقوله تعالى : -  
« لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل  
شيء علما ، .

ولا تستريح النفس إلى عدد هذه الأمثلة من التشريع ، فالصواب أنه  
لا يقع في النثر ، وهذا واضح بأدنى تأمل .

\*\*\*

## الفصل الثامن

### التكرار

التكرار أو التكرير : دلالة اللفظ على المعنى مردداً ، لتأكيد غرض من أغراض الكلام ، أو للبالغة فيه ، وذلك :

(١) كالقول في قول امرئ القيس :

ديار أسلمى عافيات بنى الخال ألح عليها كل أسحَمَ هطَّال<sup>(١)</sup>  
وتحسب سلمى لا تزال كعمدنا بوادى الخزامى أو على رأس أوعال  
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلاً من الوحش أو ييضاً بميثاء محلال<sup>(٢)</sup>  
ليالى سلمى إذ تريك منصداً وجيدا بكيد الرثم ليس بمعطال<sup>(٣)</sup>  
وزعم عبد الكريم<sup>(٤)</sup> وغيره : أنه لم يتخلص أحد تخلصه ، ولا سلم  
سلامته في هذا الباب<sup>(٥)</sup> .

وقول قيس بن ذريح صاحب أبنى :

ألا ليت د لبني ، لم تكن لى نخلة ولم تلقى د لبني ، ولم أدر ما هيا<sup>(٦)</sup>

(١) الأسحَم : السحاب .

(٢) الطلا بفتح الطاء : ولد الظبية ساعة يولد . والميثاء : الأرض اللينة . والحلال : التي يحل بها كثيراً .

(٣) في بعض الروايات : منصباً وزن منصداً ، أى نفرا مستويا ليس بمختلف : وفي رواية أخرى مقصباً : أى شعرا ذا ذوائب ، والقصة بفتح القاف وسكون الصاد : الخصلة من الشعر .

(٤) عبد الكريم : عبد الكريم النهشلي .

(٥) العمدة لابن رشيق - ٢ - ٥٩ .

(٦) الخلة بضم الخاء : الخلية .

وقول ابن المعتز :

لساني لسرى كتوم<sup>١</sup> كتوم ودمعى بجبى نموم نموم  
ولى مالك شفى حبه بديع الجمال وسيم وسيم  
له مقلتا شادن أحور ولفظ سحور رخيم رخيم  
فدمعى عليه سجوم سجوم وجسمى عليه سقيم سقيم

وقول القاضى الفاضل :

ماذا تقول الله واحى - ضل سعيهمو - وما تقول إلا عادى حين ألقاه<sup>(١)</sup>  
هل غير أن أهواه - وقد صدقوا - نعم نعم أنا أهواه وأهواه

وقول بعضهم :

يقان - وقد قيل لنى كهجعت - عسى أن يلم بروحى الخيال  
حقيق حقيق وجدت السهلو ؟ فقلت : لهن محال محال

(ب) وكالتنويه به ، والإشارة إليه بالذكر ، ويشعل ذلك :

١ - المدح كقول الخنساء فى أخيها صخر :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ - إذا نشئوا - لنحار<sup>١</sup>  
أغرأ أبلج تأتم الهداة به كأنه علام فى رأسه نار  
فتكرير اسم الممدوح هنا تنويه به ، وإشادة بذكره ، وتفخيم له  
فى القلوب والأسماع .

وقول كثير عزة فى عمر بن عبد العزيز - مشيرأ إلى خلافته - :

فأربع بها من صفة المبايع وأعظم بها ، أعظم بها ، ثم أعظم

(١) اللواحي : اللوازم .

وقول أبي تمام<sup>(١)</sup> — يرثي غالباً الصُّغْدَى :

بَدَلْتُ مِنْهُمْ بِلَوْلُؤَةِ الْغَوَاصِ حَسَنًا وَذَمِيَّةَ الْحَرَابِ  
بِالصَّرِيحِ الصَّرِيحِ ، وَالْأَرْوِجِ الْأَرْوِجِ وَعِ مِنْهُمْ ، وَبِاللَّبَابِ اللَّبَابِ<sup>(٢)</sup>  
وقول أبي الأسد الدِّينَوْرِيِّ<sup>(٣)</sup> :

وَلَا تَمُتْ لَأَمْتِكَ<sup>(٤)</sup> يَا فَيْضُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا : هَلْ يَبْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ  
أَرَادَتْ لَتْنِي الْفَيْضُ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمَنْذَا الَّذِي يُلْتَنِي السَّحَابُ عَنِ الْقَطْرِ  
كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِ يَوْمَ تَحْمَلُوا إِلَى الْفَيْضِ لَا قُوَّةَ عِنْدَهُ لَيْلَةُ الْقَدَرِ  
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَرْزِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ  
وبما أنشده الفراء :

وَكَاثِنْ وَكَمْ عِنْدِي لَهْمٌ مِنْ صَنِيعَةِ أَيْدَى تَشْتَوِيهَا عَلَى وَأَوْجِبُوا  
وَمَنْ أَمِثَلْتَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ  
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » .  
وهذا مثال لما جاء منه بالمفردات .

وأما ما جاء منه بالمركبات ، فقوله — تعالى — : « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا » .

٢ — الهجاء على سبيل التشهير وشدة التوضيع بالمهجو ، كقول ذي الرمة :

\_\_\_\_\_

(١) ديوانه — ٣٥٣ .

(٢) الصريح: المالص

(٣) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري - ١ - ٣٠ - ٦٣ .

تسمى أمراً القيس بن سعد إذا اعتزت  
وتأبى السبيل الصَّهْب والآنف الحجر<sup>(١)</sup>  
ولكننا أصل امرئ القيس معشر  
يحل لهم لحم الخنازير والخمر  
نصاب امرئ القيس العبيد، وأرضهم  
تمرّ المساحى لا فلاة ولا مصر<sup>(٢)</sup>  
تخلي إلى الفقير امرؤ القيس لأنه  
سواء على الضيف امرؤ القيس والفقير  
تحب امرؤ القيس القرى أن تناله  
وتأبى مقاريها إذا طلع الفجر<sup>(٣)</sup>  
هل الناس إلا يا امرأ القيس غادر  
وواف ، وما فيكم وفاء ولا غدر  
وكذلك صنع جرير في قصيدته التي سماها : «الدمّاعة»<sup>(٤)</sup> ، في هجاء الراعي  
النميري ، فإنه كرر «بنى نمير» في كثير من أبياتها .  
ومن أبياتها المشهورة :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلعت ولا كلاباً

---

(١) السبيل بكسر السين : جمع سبلة كورقة ، ومن معانيها : مقدم الحاجة ؛ والصهب : جمع أصهب وصهباء من الصهبة ، وهي حرة أو شقرة في الشعر ، وليست من ألوان العرب ، على أن البكري في ، مجله ص ٧٤٥ روى للنابغة بن الفرخ :

فإذا تنكرى نسي فإنى . من الصهب السبيل بنى ضباب  
(٢) النصاب : الأصل . والمساحى : ما يقشر بها الطين ويجرف ، جمع سحاة بالكسر .

(٣) المغارى : القدور والقصاص : جمع مقراة بالكسر .

(٤) كان يسميها الدمّاعة والدامنة ؛ تشبيها لها بالشجة التي تصل إلى الدماغ ، وسمتها العرب الفاضحة .

٣ — الازدراء والتهمك والتنقيص ، كقول حماد عجرد في ابن نوح — وكان  
يتعرب — :

يا بن نوح يا أخا المجلس      ويا بن القشيب<sup>(١)</sup>  
ومن نشأ والده      بين الربا والكذب  
يا عربى      يا عربى<sup>٢</sup>      يا عربى<sup>٣</sup> يا عربى

٤ — التقرع والتوبيخ ، كقول بعضهم :

إلى كم وكم أشياء منكم تريدنى      أغمض عنها لست عنها بذى عمتى  
٥ — التعظيم للمحكي عنه كالذى أنشده سيبويه ، من قصيدة لعدي بن زيد ،  
أولابنه سواده<sup>(٢)</sup> :

لا أرى الموت يسبق الموت شيء      نغص الموت ذا الغنى والفقير  
٦ — الوعيد والتهديد ، كقول الأعشى ليزيد بن مسهر الشيباني :

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا      أبا ثابت أقصر وعرضك سالم  
وذرتنا وقوما إن هم عمدوا لنا      أبا ثابت واقعد فإنك طاعم<sup>(٣)</sup>  
ومثاله من القرآن الكريم : «الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة ،  
« القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة » .

وهذا مثال ما جاء بالمفردات منه .

ومثال المركب قوله — تعالى — : « كلاً سوف تعلمون ثم كلا سوف  
تعلمون » .

(١) المجلس بالسكس : كساء على ظهر البعير تحت البردعة . والقشيب : الرجل .

(٢) خزائن الأدب للبغدادى — ١ — ٣٤٣ .

(٣) الطاعم : الأكل ؛ يريد : أنه ساقط لابهمة إلا الأكل .

٧ - التوجع في الرثاء والنايين ؛ كقول مُتَمِّم بن نُوْبَرَة يرى  
أخاه مالكا<sup>(١)</sup> :

وقالوا أتبكي كلَّ قبر رأيته      لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك  
فقلت لهم : ان الأسى يبعث الأسى      ذرونى فهذا كله قبر مالك

وقول ابنة عم الشَّحمان بن بشير الأنصارى الصحابي ترى زوجها :

أقام ونادى صحبه به برحيل	وحدثني أصحابه أن مالكا
ضروب بنصل السيف غير نكول	وحدثني أصحابه أن مالكا
خفيف على الحداث غير ثقل	وحدثني أصحابه أن مالكا
جواد بما في الرسل غير بخيل <sup>(٢)</sup>	وحدثني أصحابه أن مالكا
صروم كقاضى الشفرتين صقل <sup>(٣)</sup>	وحدثني أصحابه أن مالكا

وقول المهلهل بن ربيعة - يرى أخاه كليباً من قصيدة مملعها - :

أليتنا بذى حُسْم أنيرى      إذا أنت انقضيت فلا تحورى  
إلى أن يقول :

ومهمام بن مرة قد تركنا      عليه القشَّيمان من النُّسور<sup>(٤)</sup>  
على أن ليس عدلا من كليب      إذا طرد اليتيم عن الجزور<sup>(٥)</sup>  
وقد كرر : « على أن ليس عدلا من كليب » في هذه القصيدة أكثر  
من عشرين مرة<sup>(٦)</sup> .

(١) قتله خالد في حروب الردة

(٢) الرجل : المنزل .

(٣) الصروم : الماضى الشجاع .

(٤) القشمان : مبتدأ مؤخر لقوله : عليه ، ويروى بالنصب : على أنه مفعول به لتركنا .

(٥) العدل يفتح العين وكسرهما : المثل بالكسر والنظير . والجزور : البعير ، أو ما يذبح من الشاء .

(٦) الصناعتين - ١٨٥ .

وباب الرثاء أولى ما تكرر فيه الكلام، لمكان الفجعة، وشده القرحة  
التي يجدها المتفجع، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد.

وقد قيل لبعضهم: متى يحتاج إلى الإكثار؟

فقال: إذا عظم الخطب!!

٨ — الاستغاثه — وتدخل في باب المديح — كقول العديّل بن الفرخ:

بنى مسجده لولا الإله وأتممو بنى مسمع لم ينكر الناس منكرا

٩ — التفخيم، كقول امرئ القيس:

تقطع أسباب اللبابة والموى عشية جاوزنا حماة وشيزرا<sup>(١)</sup>

عشية جاوزنا حماة وشيزرا أخو الجهد لا يلوى على من تعدرا

وقال ابن الزيات في الحسن بن سهل:

إلى الأمير الحسن استجدتها أى مزار ومناخ ومحل

أى مزار ومناخ ومحل لخائف ومستريش ذى أمل<sup>(٢)</sup>

١٠ — التعجب، كالذى رواه القالى عن أبي بكر بن الأنبارى

عن أبيه:

لما قبلت من الأستار قلت لها سبحان سبحان ربى خالق الصور

ما كنت أحسب شمساً غير واحدة حتى رأيت لها أختاً من البشر

كانها هى إلا أن يفضّلها حسن الدلال، وطرف فاطر النظر

١١ — الاستبعاد، كقوله — تعالى: هيهات هيهات

لما تواعدون.

(١) حماة: مدينة بالشام. وشيزر كعبدر: بلد قرب حماة.

(٢) المستريش: يريد طالب الفنى.



١٢ — التهويل ، كقوله — عز وجل — « الحاقّة ما الحاقّة » .  
القارعة ما القارعة .

١٣ — التقرير والإنكار ، كقوله — تعالى — : « فبأى آلاء ربّكما تكذّبان » في سورة الرحمن .

وذلك أنه عدد في هذه السورة نعماءه ، وأذكر عباده آلامه ، ونههم على قدرها وقدرته عليها ، ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة ، بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها ، فحسن التكرار للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة ، فكلما ذكر نعمة أنعم بها ، قرر عليها ، ووبخ على التكذيب بها ، وبكّ من أنكرها ، كما يبيّن منكراً أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها له ، كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك ، بأن خولتك الأموال ! ألم أحسن إليك بأن خلصتك من المكاره ! ألم أحسن إليك ! بأن فعلت بك كذا وكذا ؟ ! فيحسن منه التكرار لاختلاف ما يُقرره به (١) .

فإن قيل : إذا كان التكرار في سورة الرحمن ، ما عدده من آياته ومن نعمه ، فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة ، وهو قوله : « يرسل عليكم سُوطاً من نار ونحاس » فلا تنصّران (٢) .

وقوله « هذه جهنّم التي يُكذّب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن (٣) » .

---

(١) الصناعتين — ١٨٥ — أملى المرتضى — ١ — ١٢٣ خزائن الأدب للعوى — ٢٠٥ .

(٢) السواط : اللهب الخالص . والنحاس : الدخان ، أو الصفر المذاب .

(٣) حميم آن : حار قد انتهى حره ونضجه .

فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ،  
وليس هذا من الآلاء والنعم ؟ .

والجواب : أن فعل العقاب — وإن لم يكن نعمة — فذكره ووصفه ،  
والإنذار به ، من أكبر النعم ؛ لأن في ذلك زجراً عما يستحق به العقاب ،  
وبعثاً على ما يستحق به الثواب ، فأشار — تعالى — بقوله : « فبأى آلاء  
ربكما تكذبان » — بعد ذكر جهنم والعذاب فيها — إلى نعمته ، بوصفها  
والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة (١) .

وكذا قوله — تعالى — : « فذوقوا عذابى وثذُرْ ، ولقد يَسِّرنا القرآن  
للدُّكر فهل من مُدِّكر » .

وفائدته أن يحذروا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكاراً واتعاظا ،  
وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظا ، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه ،  
وأن تقرع لهم العصا مرات ، ويقعق لهم بالشَّنْ (٢) تارات ، لئلا يغلبهم  
السُّمُ ، ولا تستولى عليهم الغفلة (٣) .

وقد كرر قاضى العرب الحارث بن عباد البكرى قوله ؛ من قصيدته التى  
نظمها حين اعتزم دخول حرب البسوس :

قرباً تربط النعامة مسنى لقـحـت حرب وأمل عن حـيال (٤)

أكثر من تكرير المهمل لمصراع بينه المتقدم .

وقالت ليلى الأخيلىة ترى صاحبها توبة بن الحمـير .

(١) أمالى المرتضى — ١ — ١٢٧ .

(٢) الشن يفتح الشين الشنة : القرية البالية الصغيرة .

(٣) الكشاف — ٢ — ٤٢٢ .

(٤) مربوط بكسر الباء وفتحها ، والنعامة : اسم فرسة ، والحيال : عدم حل المأقاة سنه

أو سلتين أو سنين . وعن : بمعنى بعد .

(م ١٤ — البلاغة الفنية )

لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبَق يوماً كنت فيه تحاولُ  
فكررت نعم الفتى ثلاث مرات ، أو أربعاً أو خمساً على  
حسب الروايات .

ثم قالت :

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده يجدد ولو لامت على العواذل  
فكررت : لعمري لأنت المرء أربع مرات .

ثم قالت :

فلا يُبعدنك الله يا توب إنما لقيت حمام الموت ، والموت عاجل<sup>(١)</sup>  
فكررتها ثلاث مرات .

والأمير تميم بن المعز الفاطمي قصيدة كرر فيها « أنا ، ثلاثاً وثلاثين  
مرة في أبيات متتابعة بلغت عشرين بيتاً : وأولها :

أنا المرئى بالآفها م ، والمعروف بالخُبْر<sup>(٢)</sup>

ولأنما كان التكرير في الرثاء ، لما كانت الحاجة إلى التكرير ماسة ،  
والضرورة إليه داعية ، لعظم الخطب ، وشدة موقع الفجعة ، واختلاف  
المعاني التي عدت في الشعر .

وهذا يدل على أن الإطناب في موضعه عندهم مستحسن ، كما أن الإيجاز  
في مكانه مستحب<sup>(٣)</sup> .

وأما وجه التكرار في قوله — تعالى — : « لا أعبد ما تعبدون

(١) لا يبعدنك : لا يهلكنك من البعد بفتح العين من باب فرح ، وهو دعاء  
خرج بلفظ النهي .

(٢) ديوانه ص ١٧٤ .

(٣) الصناعتين — ١٨٥ .

ولا أنتم عابدون ما أعبد ، من سورة «الكافرين» ، فقد أجاب عنه ابن قتيبة :  
بأن القرآن لم ينزل دفعة واحدة ، وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر  
في ذلك ظاهر .

فكان المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له : استلم بعض  
أصنامنا حتى نؤمن لك ونصدق بنبيوتك ، فأمره الله — تعالى بأن يقول  
لهم : « لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد » .

ثم غبروا مدة من الزمان ، وجاءوه فقالوا له : أعبد بعض آلهتنا ، واستلم  
بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولا ، لنفعل مثل ذلك بإهلك .  
فأمره — تعالى — أن يقول لهم : « ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم  
عابدون ما أعبد » .

أى إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط ، فإنكم  
لا تعبدونه أبداً .

وقد استضعف بعضهم هذا التأويل .

وذكر المرتضى<sup>(١)</sup> في ذلك ثلاثة أجوبة :

١ — ما حكى عن ثعلب أنه قال : إنما حسن التكرار ، لأن تحت كل  
لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى .

وتلخيص الكلام : قل : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة ،  
وفي هذه الحال ، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون .

فاختلفت المعاني ، وحسن التكرار في اختلافها .

ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن علم أنه لا يؤمن .

---

(١) أمالي المرتضى ١ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ .

وقد ذكر « مقاتل » وغيره : أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد .

والمستهزئون هم : العاصي بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والأسود بن المطلب ، والأسود ، بن عبد يغوث ، وعدى بن قيس .

٢ — قول الفراء : وهو أن التكرار للتأكيد ، كقول المجيب مؤكداً بلى . بلى . والممتنع مؤكداً : لا . لا .

ومثله قوله — تعالى — : « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » .

ومنه قول الشاعر :

أرادت لنفسى بعض الأمور فأولى لنفسى أولى لها<sup>(١)</sup>

٣ — تأويل صدر السورة : أننى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ، ولا أنتم عابدون الله الذى أنا عابده ؛ إذ أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه ، وإنما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها .

وأما قوله في عجز السورة : « ولا أنا عابداً ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد » : فما ، وما بعدها في موضع المصدر : أى لست أعبد عبادتكم ، ولستم عابدين عبادتى ، فلم يتكرر الكلام ، لاختلاف المعانى .

وتلخيص المعنى : لا أعبد آلهتكم ومن تدعونه من دون الله ، ولا أنتم عابدون إلهى ، وإن زعمتم أنكم عابدون إلهى ، فأنتم كاذبون ، لأنكم من

(١) أولى لك : كلمة تحذير ؛ معناه : فأربك بما تكره .

غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه ؛ فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم --  
ما دمت على ما أنتم عليه — تعبدون مثل عبادتي .

ويقول ابن الأثير<sup>(١)</sup> : وقد ظن قوم أن في الآية تكريراً لا فائدة فيه وليس الأمر كذلك ؛ فإن معنى قوله : « لا أعبد » يعني في المستقبل من عبادة آلهتكم ، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي .  
« ولا أنا عابد ما عبدتم » : أي وما كنت عابداً قط فيما سلف ما عبدتم فيه .

يعنى : أنه لم يعبد من عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجى مني ذلك في الإسلام ؟ ولا أنتم عابدون ما أعبد في الماضي في وقت ما ، ما أنا على عبادته الآن .

وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره .  
فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر ، فأنعم نظرك فيه ، وانظر إلى سوابقه ولواحقه ، لتكشف لك الفائدة منه .

على أن الرازي نفي أصالة : أن يسمى مثل هذا تكراراً ؛ فقال : وأما ما تكرر في سورة الرحمن من قوله — تعالى — : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » .

فليس بتكرار ، لأنه — سبحانه — ذكر نعمة بعد نعمة ، وعقب على كل نعمة بهذا القول ، وإنما عني بالتنبيه الجن والإنس .

ومعلوم : أن الغرض من ذكره عقيب نعمة : غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى ، وإن كان اللفظ واحداً .

---

(١) المثل السائر : — ٢٣٤ . وانظر الكشاف — ٢ — ٥٦٤ .

وأما قوله تعالى — : « ويل يومئذ للمكذبين » فإنه ذكر ذلك عند قصص مختلفة فلم يعد تكراراً ، لأنه أراد بما ذكره أولاً : ويل للمكذبين بهذه القصة .

ثم لما أعاد قصة أخرى ذكر مثله على هذا الحد .

ولما اختلفت الفائدة خرج عن أن يكون تكراراً (١) .

وكذلك لا يعد من التكرار قوله — تعالى : « ثم إن ربك للذين عمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » .

وقوله — تعالى : لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب .

وقوله — تعالى : ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » .

فما تكرّر في هذه الآيات خارج عن حكم التكرير ، وذلك أنه إذا طال الفصل في الكلام ، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به ، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ، ليكون مقارناً لتمام الفصل كي لا يجيء الكلام منشوراً ، لا سيما في إن وأخواتها .

فإذا وردت « إن » — وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام فإعادتها أحسن في حكم البلاغة والفصاحة .

وعلمه ورد قول شاعر الحماسة (٢) :

أسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة ونأى حبيب إن ذا لعظيم

---

(١) نهاية الإيجاز : ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) في الحيوان للجاحظ : ٦ - ١٥٦ : أنها لبعض اللصوص ، وفي البيان والتبيين : ٢ - ٦٧ : أنها لأحد الأعراب .

وإن امرأ دامت موافق عهده على مثل هذا إنه لكریم  
فإنه - لما طال الكلام بين اسم إن وخبرها - أعيدت مرة ثانية ،  
ولولم تعد لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق .  
وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء إما طبعاً وإما علماً (٣) .

وفي بعض تكرار الآيات معنى آخر فطن إليه بعض علمائنا، ولم يكشف  
لهم عن سره .

وأول من نبه عليه الجاحظ في كتابه « الحيوان » ، إذ قال: ورأينا أن  
الله تبارك وتعالى - إذا خاطب العرب والأعراب ، أخرج الكلام مخرج  
الإشارة والوحى والحذف .

وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حبكى عنهم ، جعله مبسوطاً وزاد في الكلام:  
أى كان ذلك مبالغة في إفهامهم ، وتوسع في تصوير المعانى لهم ، وتلويها  
بالألفاظ إيجازاً في موضع ، وإطناً بآ في موضع ، إذ كانوا أقوماً لا سبقة لهم  
كالعرب ، وليسوا في حكمهم من البيان ، فلا يعضى كلامهم لسننه بلا اعتراض  
من تنافر التركيب ، وثقل الحروف ، وجفاء الطبيعة اللغوية .

فلهذا ونحوه كان لا بد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح بخلاف  
العرب ، فإن الخطاب يقع إليهم على سنن كلامهم من الحذف ، والقصد  
إلى الحجة ، والاكتفاء بالمحجة الدالة ، وبالإشارة الموحى بها ، والكلمات  
المتوسمة ، وما يجرى هذا المجرى .

وهذا صحيح ، ولكنهم أخطئوا وجه الحكمة فيه ، فقد كان في اليهود  
متكلمون وشعراء وأنبياء ، والخطاب في القرآن كله ، يسمعه العرب واليهود



فلا ينكرون جميعاً من أمره شيئاً ، ولكنهم سر من أسرار الأدب العبراني جرى القرآن عليه في أكثر خطابه لليهود خاصة ، ليعلموا أنه وضع غير إنساني ، وليحسوا من معاني إعجازه كما أحس العرب ، إذ كان أبلغ البلاء في الشعر العبراني القديم ، قصاره أن تجتمع له رشاقة العبارة ، وحسن المعرض ووضوح اللفظ ، وفصاحة التركيب ، وتكرار الكلام لكل ما يفيد التكرار ، وتوكيداً ومبالغة وإبانة وتحقيقاً ونحوها ، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى ومقابلة الأضداد وغيرها ، مما هو في نفسه تكرار آخر للبهينات اللفظية ، وتحسين للتكرار المعنوي<sup>(١)</sup> .

وقد احتفل ابن الأثير بهذا الضرب من الكلام ، فقسمه أقساماً ، وشقق منها فروعاً ، وساق لها كثيراً من الأمثلة النثرية والشعرية ، ووزجها بالوان من النقد ، بث فيها حياة وخصباً ونماء وغناء .

وكان للاستدلال من القرآن الكريم نصيب موفور من عنايته .  
وقد بدأ بتقسيمه إلى قسمين :

١ - تكرار في اللفظ والمعنى ، وهو إما مفيد أو غير مفيد .

والمفيد : إما أن يدل على معنى واحد ، والمقصود به غرضان مختلفان ، كقوله - تعالى - : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ، ويُبطل الباطل ، ولو كره المجرمون » .

فقوله : « ليحق الحق ، وليحق الحق » تكرار في اللفظ والمعنى .

وإنما جرى به هنا ، لاختلاف المراد ، وذلك : أن الأول : تمييز بين الإرادتين .

(١) إيجاز القرآن للرافعي : ٢٠١ .

— ٢١٧ —

والثاني : بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وأنه مانصرهم ، وخذل أولئك إلا لهذا الغرض .

وكقوله - تعالى - « كذب قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إني لكم منه رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون . »

فكرر : « فاتقوا الله وأطيعون ، ليؤكد به عندهم ، ويقرره في نفوسهم ، مع تعليق كل واحد منهما بعلة .

فجعل علة الأول : كونه أميناً فيما بينهم .

وجعل علة الثاني حسم طمعه عنهم ، وخلوه من الأغراض فيما يدعوهم إليه .

ولما أن يدل على معنى واحد ، والمراد به غرض واحد ، كقوله - تعالى - : « فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر » .

والتكرير دلالة على التعجب من تقديره ، وإصابته الغرض ١١ .

وورد عليه قول الشاعر :

ألا يا أسلمى ثم أسلمى ثم أسلمى .

مبالغة في الدعاء لها بالسلامة .

وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد وإثباته .

ومن هذا النوع : أن يكون المعنى مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ .

وذلك في الألفاظ المترادفة ، كقوله - تعالى - : « والذين سعوا

في آياتنا معاجزين ، أولئك لهم عذاب من رجز اليم » .

والرجز : هو العذاب .

وقول أبي تمام :

نهوض بشقل العرب مضطلع به وإن عظمته فيه الخطوب وجلت

والثقل : هو العبء .

وقول البحتري :

أوتهمتها ألولى بأجفانها الكرى كرى النوم ، أو مالت بأعطافها الخزر

فالكرى : هو النوم .

والفائدة في كل ذلك : تأكيد المعنى المقصود ، والمبالغة فيه .

فعذاب من رجز : أى عذاب مضاعف .

وثقل العبء : مبالغة في وصف الممدوح بحمله الأثقال .

والكرى كرى النوم : تكرير للمعنى على طريق المضاف والمضاف إليه ، تأكيداً له ، وزيادة في بيانه .

وأما التكرار في اللفظ والمعنى — وهو غير مفيد — فقول مروان الأصغر :

سقى الله نجداً ، والسلام على نجد ويا حبسدا نجد على النساء والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها لعل أرى نجداً ، وهيات من نجد

وهذا من العي المضاعف ؛ فإنه كرر ذكر نجد في البيت الأول ثلاثاً ، وفي البيت الثاني ثلاثاً .

ومراداه في الأول : الثناء على نجد ، وفي الثاني : أنه تلفت إليها ناظراً من بغداد ، وذلك مرمى بعيد .

وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير .

أما البيت الأول فيحمل على الجائز منه ، لأنه مقام تشويق وتحرق وموجده بفراق نجد .

ولما كان كذلك أجزى فيه التكرار .

على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معاً ، من غير أن يأتي بهذا التكرار المتتابع ست مرات .  
وقول شاعر :

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند      وقد سرن سخساً واتلاب<sup>(١)</sup> بنا نجد  
ألا حبذا هند وأرض بها هند      وهند أتى من دونها النأى والبعد  
وقد قال فيه أبو العلاء : من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيباً ،  
ولأنه يجد التلفظ باسمها حلاوة .

فلم ير الاعتذار من التكرير إلا هذا العذر<sup>(٢)</sup> .

وهو عذر جاوز حد القبول .

ومن هذا أيضاً قول المتنبي :

ولم أر مثل جيرانى ومثلى      لمثلى عند مثلهم مقام

لمثلى : خبر مقدم لمقام الذى هو مصدر ميمى بمعنى الإقامة ، والجملة مفعول  
ثان لقوله : لم أر .

ويحتمل أن يكون أراد الاستفهام التعجيبى ، فحذف الهمزة لضيق المقام  
أى المثلئ مقام عند مثلهم ١١

فهذا هو : التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصاً .

ومعنى البيت لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار ، ولا مثلى فى مصابرتهم  
ومقامى عندهم .

٢ — تكرار فى المعنى دون اللفظ .

(١) اتلاب : استقام وامتد .

(٢) سر الفصاحة : ٩٦ .

وهو كذلك مفيد وغير مفيد .

والمفيد : إما أن يدل على معنيين مختلفين ، كقول حاطب بن أبى بلاتعة للرسول — صلى الله عليه وسلم — : «... ما فعلت ذلك كفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .»  
وذلك حين عاتبه الرسول الكريم على كتابته لأهل مكة يخبرهم ببعض شأن المسلمين .

فقد يظن أن قول حاطب من التكرار ، وليس منه ، لأن معناه : أني لم أفعل ذلك وأنا كافر : أي باق على الكفر .  
ولا أنا مرتد : أي كفرت بعد إسلامي .  
ولا رضا بالكفر بعد الإسلام : أي ولا إشاراً لجانب الكفار على جانب المسلمين .

ويدخل في هذا النوع : أن يكون التكرار في المعنى يدل على معنيين .  
أحدهما : خاص ، والآخر : عام ، كقوله — تعالى — : «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ..» .

وقوله — سبحانه — : «فيهما فاكهة ونخل ورمان» :  
وإما أن يدل على معنى واحد لا غير .

وقد ورد في القرآن كثيراً ، كقوله — تعالى — حكاية عن نبيه يعقوب — عليه السلام — : «قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله» .  
فإن البث والحزن بمعنى واحد ، وإنما كرره ههنا ، لشدة الخطب النازل به ، وتكاثر سهامه النافذة في قلبه .

وبما ورد من التكرار بذكر الخاص بعد العام : قول الأعشى :

فأليت لا أرثي لها من كـ... لا من وجى حتى تلاقى محمداً

فإن الوجى والكلالة معناهما سواء ، وإنما حسن تذكيره هنا للإشعار  
ببعد المسافة .

وقول بعض الشعراء ، وهو 'بكـير بن الأخنس :

نزلت على آل المهلب شاتياً بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل  
فما زال بي إكرامهم وافتقارهم وإحسانهم حتى حسبنهم أهلى  
فإن الإكرام والافتقار : داخلان تحت الإحسان : وإنما كرر ذلك  
للتنويه بذكر الصنيع والإيجاب لحقه (١) .

أما تكرار المعنى دون اللفظ غير المفيد فكقول أبي تمام :  
تقسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ودبورها أملاً ثانياً (٢)  
فإن الصبا هي القبول (٣)

والذى نأخذه على ابن الأثير : ضيق أفقه اللغوى مما حدها إلى عدم  
التوفيق فى اختيار الأمثلة ، وجعله مضطرباً فى فهمه لمعنى الترادف . فهو  
— فيما عدا الصبا والقبول — خانه الصواب والسداد ، فالبث : الحال ،  
وأشد الحزن . والكلالة : الإعياء ، والوجى : الحفا . والإكرام : التعظيم  
والتنزيه . والإحسان : ضد الإساءة . والافتقار : طلب الشيء عند غيبته ،  
والتفتيش عنه ، فليس بين هذه الأشياء التى ذكرها ترادف كما هو ظاهر  
ولعله أراد الاستواء فى المعنى العام والتفسير باللازم .

وللتكرار عند ابن رشيق مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى المثل السائر : ٢٣٢ إلى ٢٤٣ .

(٢) الدبور : الريح تقابل الصبا ، وتهب من الغرب : أى من حيث يدبر النهار .

(٣) نقل عن النضر بن شميل : أن القبول ريح إلى الصبا ما بينها وبين الجنوب ، وهذا غير

معروف ولا معمول عليه ، الموازنة : ١ - ١٤٥ .

وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل .

فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً ، فذلك هو الخذلان بعينه (١) .

وقد زرى الحموى على التكرار ، وجرده من القيمة البلاغية ، ولم يجعل له بأنواع البديع قرين ولا نسباً لنزول قدره عنها .

ولعل السر في ذلك : أن حد التكرار عنده ، هو : أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى (٢) .

ومتى كان التكرار من هذا النمط الذي عرفه الحموى ، دون أن يقيده بشرط يحقق تحسیناً في اللفظ أو المعنى ، فلا شك أن عدمه خير من وجوده . وقد وصفه ابن الأثير بأنه غير مفيد ، وعده ابن رشيق من الخذلان كما تقدم .

وصفوة القول : أن التكرار في القرآن الكريم على اختلاف فنونه اقتضته البلاغة الرفيعة ، ووقع موقعه من الصناعة العربية الفخمة ، وأساليها العالية ، فنزل منزلة التسليم والقبول من المزاج العربي والطبع العربي والذوق العربي ، ولو لم يكن مذهبا معروفا مألوفاً وطريقاً لاجبا مسلوكا لعابه خصومه اللئيم ، وقد تدهام فافتضحوا بالعجز البين .

فالتكرار في التنزيل الحكيم ورد للتخويف ، أو التفعج ، أو التهويل وما إليها .

وقد يأتي بأداء المعنى الواحد في صورتين مختلفتين صياغة وعبرة وترتیباً : إمعاناً في التحدى ، وإفحام الخصوم .

ثم إن في التكرار — إلى ذلك لإثبات قدرته — تعالى — على تكرير

(١) العمدة : ٢ - ٥٩ .

(٢) خزانة الأدب : ٢٠٥ .

ما يقول في قوالب متنوعة ، ونسق مختلف مع اتحاد المعنى ، ووقوع الإعجاز وذلك غير متأت لغيره .

وليقوم الدليل أيضاً على أن أسلوب القرآن لا يقف عند صورة بعينها ونظم لا يختلف ، حتى لا ينفسح مجال القول لمن يتحداهم . بأن سبب عجزهم هو وقوفهم أمام قالب جامد لا يتغير ولا يتبدل .

وكأنه بذلك يوسع أمامهم المنداح ، ويمهد لهم السبيل ، ويمنحهم الفرص الرجعية - ليأتوا بمثله - فلم يبق إلا الاعتراف بالعجز الكامل بعد أن أعذر إليهم ، وأنصفهم كل الإنصاف وقطع عليهم أسباب التعلل .

وقد جرى هذا النوع كثيراً على ألسنة الشعراء

فمن ذلك : ما أنشده الفرّاء :

كم نعمة كانت لكم كم كم .

وأنشد أيضاً :

نَعَقَ الغراب بيّـنَ لبني عُـدوة كم كم لكم لفراق لبني ينعَقُ<sup>(١)</sup>

وكقول محمد بن منذر البصري<sup>(٢)</sup> في معنى التكثير :

كم كم كم كم كم كم كم قال لي أنجز حرّاً ما وعد

فزاد على الواجب وتجاوز الحد .

وقول بعض الشعراء .

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما كنا نكون ولكن ذاك لم يكن

وقول أبي تمام :

وليس يحتاج إلى دليل على قبحه للتكرار ، أكثر من سماعه .

(١) في رواية : نَقَق .

(٢) منذر : بفتح الميم وضمها .



فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمن منك إلا بالرضا  
وفد أنشده أبو تمام ، أحمد بن أبي دؤاد ، فقال له إسحاق الموصلي :  
لقد شققت على نفسك يا أبا تمام ، والشعر أسهل من هذا (١) .

وقول ابن الزيات :

أتعرف أم تقيم على التصابي      فقد كثرت مناقلة العتاب (٢)  
إذا ذكر السلوة عن التصابي      نفرت من اسمه نكر الصعاب (٣)  
وكيف يلام مثلك في التصابي      وأنت فتى المجانة والتصابي  
سأعزف إن عزفت عن التصابي      إذا ما لاح شيب بالغراب  
ألم ترني عدلت عن التصابي      فأغرتنى الملاحاة بالتصابي

وفيه يقول ابن رشيق : فملا الدنيا بالتصابي ۱۱ على التصابي لعنة الله  
من أجله ۱۱

فقد يرد به الشعر لاسيما وقد جاء به كاه على معنى واحد من الوزن ،  
لم يعد به عروض البيت (٤) .

وقد أكثر المتنبي من هذا النوع المزدول ، وعده الشعالي من عيوبه (٥) .  
كقوله :

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله      ويجهل علمي أنه بي جاهل  
لأنه ذكر الجهل خمس مرات ، وكرري ، فلم يبق من الفاظ البيت  
مالم يجاوزه إلا اليسير .

(١) سر الفصاحة : ٩٠ .

(٢) عزف عنه : زهد فيه وانصرف عنه ، أو مله .

(٣) الصعاب : جمع صعب ؛ وهو العسر والأذى والأسد والجل .

(٤) العمدة : ٢ - ٦٢ .

(٥) يتيمة الدهر : ١ - ٣٩ .

وقوله :

فقلقت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كُشِن قلاقل<sup>(١)</sup>  
حتى قيل فيه : ان كله قلاقل ١١

وقوله :

وأفجع من فقَدنا من وجدنا قبيسُ الفقد مفقود المثل  
وقد قال فيه «الصاحب» وما زال الناس يستبشعون قول مسلم  
ابن الوليد (٢) :  
سَلَّتْ وَسَلَّتْ تَمُّ سُلِّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا  
حتى جاء هذا المبدع فقال هذا البيت ، وأظن المصيبة فى الرائي أعظم  
منها فى المرثي .

وقوله :

عُظِّمَتْ فَلَمَّا لَمْ تُسْكَلْمْ مَهَابَةٌ تَوَاضَعَتْ وَهُوَ الْعُظْمُ عَظْمَا عَنِ الْعُظْمِ<sup>(٣)</sup>  
وفيه يقول الصاحب : ما أكثر عظام هذا البيت ١١ مع أنه من قول  
الطائي :

تعظمت عن ذاك التعظم فيهم وأوصاك عظم القدر أن تنبلا  
ويذكرون أن الأصمعي أنشد قول الشاعر :  
فما للنوى بُجْدُ النوى قُطْعُ النوى كذاكَ النوى قُطَاعَةٌ لوصال

(١) العيس : الإبل البيض ، ومناه : أنى حركت بسبب الهم الذى حرك نفسه لإبلا خفاما  
و السير .

(٢) قاله فى وصف الخمر : ألمعنى : أنها رقت بطول القدم ، ثم رقت رقيقها فأتى رقيق رقيقها رقيقاً .

(٣) يقول : لما عظم حتى لم يستطع أحد أن يكلمك مهابة لك ، تَوَاضَعَتْ مَتَعِظًا عَنْ طَلَبِ  
العظمة ، وهذا التواضع بعد عين العظمة ، لأنه تواضع العظيم .  
( م ١٥ — البلاغة الفنية )

-- ٢٢٦ --

فقال : لو ساءل الله - تعالى - على هذا البيت شاة ، فأكلت هذا النوى كله ! .

وقول المتنبي أيضاً يمدح القاضى المالكى :  
ولست بدون يرتجى الغيث دونه  
ولا منتهى الجود الذى خلفه خلفه  
ولا واحداً فى ذا الورى من جماعة  
ولا البعض من كلِّ ولكنك الضعف  
ولا الصعف حتى يذبح الضعف ضعفه  
ولا ضعفَ ضعفِ الضعف بل مثله ألف<sup>(١)</sup>  
والشاهد فى البيت الأخير :

وفى هذا البيت يقول ابن سنان الخفاجى : كنت حاضراً عند شيخنا  
أبى العلاء - وقد قرئت عليه قصيدة لأبى الطيب - فلما وصل القارىء  
إلى قوله :

ولا الضعف . . . . .

قال هذا والله شعر مدبر<sup>(٢)</sup> ! !

وكان من العصبية لأبى الطيب على الصفة التى اشتهرت عنه<sup>(٣)</sup> .  
وقوله :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما أعظم قدره عنده قدر<sup>(٤)</sup>

(١) الضعف ممتدح على خبر أس ، ومثله : منصوب على الحال مقدماً من ألف .  
وألف : خبر لمتداً عنوف : أى أنت ألف مثله .

(٢) أدبر الرجل : دخل فى الشىخوخة .

(٣) قدرها : الضمير فيها يعود على الدنيا .

(٤) سر الفصاحة - ٩٠ .

وقوله :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كآله ولكن اشعري فيك من نفسه شعر

وقوله :

وإني وإن كان الدفين حبيبته - حبيبٌ إلى قلبي حبيب حبيبي<sup>(١)</sup>

وقوله :

إنما الناس حيث أنت وما لنا س بناس في موضع منك خالي

وقوله :

لك الخيرُ غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير - اللاذنية لاحق

وقوله :

ولولا تولائي نهبه حمل حلمه عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل

وقوله :

ملولة ما يدوم ، ليس لها من ملل دائم بها ملل<sup>(٢)</sup>!

وقوله :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل النهب من نهب القماش

وقوله :

قبيل أنت أنت وأنت منهم . وجدك بشر الملك الهمام

قال الواحدى : أراد : قبيل أنت منهم ، وأنت أنت في علو قدرك .

يعنى : إذا كنت أنت وجدك بشر منهم ، فكفاهم بذلك نخرآ .

(١) الدفين : المراد به : مملوك سيف الدولة « يماك » .

(٢) ملولة . . . : يريد أن المحبوبة تمل كل شيء يدوم ماعد الملل . فإنها لا تمل .

وقد آخر وأو العطف في قوله : وأنت ، وهو قبيح جداً ، وهذا كما  
تقول : قامت زيد وهند ، وأنت تريد : قامت هند وزيد ١١  
وقوله : جواب مسألي : أله نظير ولا لك في سؤالك لا ألا لا  
أى إذا سألتني سائل : هل لهذا الممدوح نظير ؟  
فجوابي له : لا ، ولا لك أيضاً — يا أيها السائل — نظير في هذا السؤال  
الذي لا يسأله عاقل ١١

وأراد : لا ولا لك ، فأخر المعطوف عليه ضرورة .  
وقوله : ألا لا : تكرار للجواب ، وقد أراد به تأكيد النفي تليها على  
شدة بطلان السؤال .  
وفي ذلك يقول صاحب — متهكماً — : ما قدرت أن مثل هذا البيت  
يلج سمعاً ١١

وقد سمعت الفأفأ ، ولم أسمع اللألاء ، حتى رأيت هذا المتكافئ  
المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف ١١  
وقوله :

أسد فرائسها الأسود يقودها أسدٌ تصير له الأسود ثعالباً  
وقد قال فيه بعض النقاد : لا أدري كيف تخلص من هذه الغابة التي  
كلها أسود ١١

والحق . أن المتنبي كثر في شعره هذا السخف كثرة تسترعى النظر ،  
حتى لكانه كان يعتمد ليغيب به الناس ، وما كان أجدره باطراحه بعيداً  
عن شعرة وتصفية ديوانه منه ، ولكن الشاعر مفتون بما يقول فتنته بابه ،  
ولله در القائل :

ويسىء بالإحسان ظناً لا كن هو بآينه أو شعره مفتون

وإذا كان المعرى — على تعصبه له حتى سمى ديوانه « معجز أحمد » —  
قال فى بعض هذه الأبيات: هذا شعر مدبر ، فماذا يقول الناقد المنصف أو الجائر؟  
لا بد أن يقول — على أحسن الحالين — إن المتنبي كانت تنقصه الأذن  
الموسيقية المرفهة ، والحاسة الفنية الدقيقة ، التى تفرق بين الالحن الغليظ  
الحشن واللطيف الرقيق .

وقد وقع أصحاب البديعيات فى هذا الضرب المستقيم؛ لتكلفهم صوغ  
الأمثلة له :

فقال صفي الدين الخلى فى بديعته .

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

وقال عز الدين الموصلى :

تكرار مدحى هدى فى الشامل النعم ابن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وقال الحموى :

تكرار مدحى حلا فى الزائد الكرم ابن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

ومن الغريب أن الحموى — وهو من خصوم التكرار المستهجنين له  
— كما تقدم — يقول فى بيته :

والذى يظهر أن مكرر بيتى : حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عز الدين ،  
فإن مكرره ناقص الحلاوة (١) .

ولا أدرى أين توجد المرارة إن لم توجد فى هذه الأبيات جميعها ، وأولها  
بيت الحموى ١١

وأحسب أن هؤلاء قد أخذوا هذا النسق من قول المتنبي - يمدح أبا  
عبدالله الخصيفي - :

العارضُ الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وقد قال فيه الخفاجي (١) : فأما قول أبي الطيب ، فمن أقبح ما يكون  
من التكرار وأشنع ، وإذا كان يقيح تكرار الحروف المتقاربة الخارج  
فكترار الكلمة الثانية أقبح وأشنع .

وفيه يقول ابن الأثير (٢) : وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة :  
أن أبا الطيب أتى في هذا البيت بتكرير لا حاجة به إليه .

وليس في هذا البيت من تكرير ، فإنه كقولك : الموصوف بكذا وكذا  
ابن الموصوف بكذا وكذا .

أي إنه عريق النسب في هذا الوصف .

وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك كقول الرسول الكريم في وصف  
يوسف الصديق - صلوات الله عليهما - : « إنما الكريم ابن الكريم ابن  
الكريم ابن الكريم : يوسف بن إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم » .

ثم يقول : ولقد فاوضني في هذا البيت المشار إليه بعض علماء الأدب،  
وأخذ يطعن فيه من جهة تكراره، فوقفته على مواضع الصواب منه، وعرفته  
أنه كالخبر النبوي من جهة المعنى سواء بسواء ، لكن لفظه ليس بمرضى  
على هذا الوجه الذي قد استعمله فيه ، فإن الألفاظ إذا كانت حسناً في حال  
انفرادها ، فإن استعمالها في حال التركيب يزيد لها حسناً على حسنها ، أو  
يذهب ذلك الحسن عنها .

(١) سر الفصاحة — ٩٥ .

(٢) المثل السائر — ٢٣٨ .

ولوتهمياً لأبى الطيب أن يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب أو ما  
يجرى مجراها لكان أحسن .  
وكذلك لفظة الهتن ، فإنها ليست مرضية في هذا الموضع على هذا الوجه .  
ولفظة العارض وإن كانت وردت في القرآن — وهى لفظة حسنة —  
فالفارق بين ورودها في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشعري ظاهر .  
وقد أخذ العلوى (١) قول ابن الأثير واختذله — وكثيراً ما يفعل ذلك —  
فقال : من الناس من صوبه في تكريره — يعنى المتهنى — ومنهم من قال :  
إنه أساء فيما أورد من ذلك .

والأقرب : أنه مجيد في منطلق التكرير ؛ فإنه دال على إغراق الممدوح  
في الكرم ، ولكن غير المحمود : لفظة العارض والهتن فهما ليسنا واردتين  
على جهة البلاغة فيه ، لقلة الاستعمال لهما .

فمن أجل ذلك ، كان ما قاله ليس بالغاً في البلاغة مبلغاً عظيماً ، إلا من  
جهة التكرار فإنه محمود لا محالة .

وهذا معنى كلام ابن الأثير المتقدم ، ولكنه غطى سرقة له باختصاره  
ونحن نخالفها فيما ذهبنا إليه من استكراره لفظي العارض والهتن ،  
فليسنا ثقيلتين ولا غريبتين .

ولأنحمد من هذا البيت ما حمده ، بل نعهده رديئاً سفاسفاً مردولاً أشبه  
ما يكون بعيب الأطفال ، سواء أكان من نوع التكرير أم لا .  
والمدح بالعراقة في صفة من الصفات ، لا يستوجب هذا الإلحاح الثقيل  
على لفظ معين .

وللتبني أبيات مرقصة في ذلك ، منها قوله في مدح الحسين بن علي الهمداني :  
وجدت علياً وابنه خير قومه وهم خير قوم وأستوى الحر والعبد



وأصبح شعري منها في مكانه وفي عنق الحسناء يُستحسن العِقد.

فقد قصر السيادة على الممدوح وابنه وأسرته ، ورفعتهم فوق الناس جميعاً في إيجاز بالغ ؛ لم يحتج فيه إلى ملء الشدق بهذه الإعادة الثقيلة المملة .

والفرق بين التكرار في بيت المتنبي السابق وبين الحديث الشريف ، كالفرق بين الخنزف والدر ، فإن الذي حسّن تكرير « الكريم » في قول الرسول الكريم : أن يوسف وآباءه جميعاً أنبياء معروفون ، وقد جاءوا متتابعين في نسق واحد لا يقطعه فاصل .

فكل كريم يشير إلى واحد من هؤلاء الأنبياء — عليهم السلام — بل يكاد لقوة التصاق النبوة بهم ، وانطباقها عليهم ، يجرى مجرى العلم . ولهذا نرى الرسول — صلوات الله عليه — وقف عند إبراهيم — عليه السلام — .

ولو كان والد إبراهيم نبياً لحسن أن يقول: ابن الكريم أيضاً . وقد كان يحسن تكرير المتنبي لو أنه جاء على نظام التكرير في قول الشاعر :

قيس العلا . قيس الندى . قيس الكرم

ويخيل إلى أن هذا النوع التي تقع فيه « ابن » لا يقبح في الشعر ، بل لعله يحسن إذا كرر مرتين فقط ، كما يتجلى لنا من مطالعة الأشعار الكثيرة .

فإن ذلك قول « مطران » في رثاء الأمير « شبيب أرسلان » (١) :

العالم العربيُّ من أطرافه بادی الوجوم منكس الأعلام  
يبكى أمير بيانه ، يبكى قى فتياه في الكرّ والإقدام

(١) ذكرى الأمير شبيب أرسلان للأستاذ محمد علي الطاهر — ٢٧ .

يبكى العصامي الكبير بنفسه والسيد بن السيد القم مقام (١)  
ولكن بما لا يرتاب فيه الناظر: أن هذا التكرار يجمع في الهجاء،  
ويخفف على السمع، لأنه يثير الضحك من المبهج، ويلبس صورة الفكاهة،  
كقول بعض الشعراء:

ولقد هزرتك للديج فكنت ذا نفس لكعبة (٢)  
أنت الرقيع ابن الرقيع ابن الرقيع ابن الرقيع (٣)

وقد صرح ابن الأثير: بأن تكرار الألفاظ المتغايرة ذات المعنى الواحد  
يعاب في النثر مطلقا، وأما في النظم، فيعاب فقط في صدور الآيات  
وما والاها دون الأعجاز، لمكان القافية لأنها موضع ضرورة.  
ودلك مثل قول الخطيبة:

قالت "أمامة لا تجزع فقلت لها: إن العزاء وإن الصبر قد غلبا  
هلا التمت لنا إن كنت صادقة - مالا نعيش به في الناس أو نشبا  
فالبيت الأول معيب لأنه كرر «العزاء» و«الصبر»، ومعناهما واحد  
ولم يرد قافية.

وأما البيت الثاني فليس بمعيب لأن التكرار جاء في التشبيه  
وهو قافية.

ومن ذلك أيضا قول المتنخل اليشكري:

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير (٤)

(١) القم مقام بالفتح والضم: السيد.

(٢) الكعبة: اللثيمة والحقاء.

(٣) الرقيع: الأحمق.

(٤) خص اليوم المطير: لأنه لا يصلح للصيد، بل يصلح للهو والآنس.

الكاعب الحسناء تر فـل في الدّمـقس وفي الحرير

فإن « الدمقس » والحرير ، معناهما : سواء .

وكذلك « خلفه » و « وراه » .

ولابأس بهما لوقوعهما قافية في قول الشاعر الجاسي (١) :

إني - وإن كان ابن عمي غائبا - لم أقاذف من خلفه وورائه (٢)

ولا نستطيع أن نقره على ذلك ، فالتكرار الخالي من الفائدة ، لا يحسن في نثر ولا نظم ، ولا في صدور الآيات ولا في أعجازها .

وهو لم يحسن اختيار التثنية كما هي عادته في أحيان كثيرة ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل . فمعنى العزاء : الصبر ، أو أحسن الصبر .

فهو على ذلك لا يعاب ، لأنه غير مكرر .

ومراد الشاعر : ذهب الصبر كله : أدناه وأعلاه ، وأقله وأكثره .

والمال : ما ملكته من كل شيء ، وهو عند أهل البادية — ومنهم الخطيئة — : النعم .

ويقول البغدادي : المال عند العرب : الإبل ، وعند الفقهاء : ما يتمّ - وقل أي ما يعد مالا في العرف .

والنشب : المال الأصيل . وقيل : العتقار . وقيل : المال والعقار .

فبين المال والنشب — كما ترى — شيء من الاختلاف ، فانتفى التكرار .

والدمقس : أعم من الحرير : لأنه الحرير الأبيض ، أو القز ، أو الديباج أو السكتان .

ووراء : يكون بمعنى « خلف » ، تارة ، وبمعنى « أمام » ، أخرى .

---

(١) هو الهذيل بن مشجعة كما في حاشية المرزوق — ٤ - ١٦٨٠ .

(٢) رواها السكري في ديوان المعاني — ١ - ١١ لابن هزوية المدني ، وجاء البيت هكذا :

إني — وإن كان ابن عمي وأخرا — لم أذا من خلفه وورائه

وعلى المعنيين جاء قوله — تعالى — : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » .

وعلى المعنى الأخير جاء قوله — سبحانه — : « ومن وراءهم برزخ إلى يوم يُبْعَثُونَ (١) » ، أى من أمامهم . وأرجح أن يكون الشاعر قد أراد المعنى الأخير ، فليس فى هذه الألفاظ تكرار عند التدقيق ، وهى — إن حسنت — فليس ذلك لوقوعها آخر البيت ، ولكن لاختلاف مغانيها .

هذا ما كنت رأيته باجتهادى ، ثم قرأت بعد ذلك ما كتبه المرزوقى ، فإذا هو يقول : يصف — أى الشاعر — كرم محافظته وحسن نيابته عن غياب أهله وذويه ، فيقول : لئن لمداغ ومرام دون ابن عمى — إذا غاب عنى — فأذب من قدامه وخلفه .

والمعنى : أنى أقاتل دونه وأكون هاديا له وقد تخلف عنى ، أو حاديا له وقد تقدمنى ؛ فقوله من وراءه ؛ من البين الظاهر أنه بمعنى التقدم ، وقد ذكر معه خلفه ، واشتقاقه من المواراة وهى المساترة ، ولذلك صلح وقوعه موقع الخلف والقدام ، وفى القرآن « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » . وموضع من خلفه نصب على الحال : أى متخلفا أو متقدما (٢) .

وقد عد ابن سنان الخفاجى قول بعضهم :

ولولا دموعى كتمت الهوى      ولولا الهوى لم تكن لى دموع  
بأنه ليس من التكرار المكره .

ودلك لأن المعنى مبنى عليه ، ومقصود على إعادة اللفظ بعينه .

وهذا حد يجب أن تراعيه فى التكرار ؛ فمضى وجدت المعنى عليه ، ولا يتم إلا به ، لم يحكم بقبوحه .

(٢) الكشف — ١ — ٧٢٥ .

(١) مقاذف : من المفادلة وهى الرمى .

(٣) حساسة المرزوقى — ٤ — ١٦٨٠ .

ومتى خالف ذلك ، قضيت عليه بالاطراح ، ونسبته إلى سوء البضاعة (١) .

والذى أراه : أن التكرار يمدح ، ويذم بحسب انطوائه على الفائدة المقصودة ، أو خلوه منها .

فهناك تكرار لقطعة ، أو لجملة بعينها يحمّد بلاغيا ؛ لوفائه بالغرض ، واحتياج المقام إليه ، كقوله — تعالى — : « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » .

وقول عبيد بن الأبرص :

هَلَّا سَأَلْتُ جُمُوعَ كُنْدَةٍ      يَوْمَ لَوَّاهِاَ أَيْنَ أَيْنَا

وقول آخر :

إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمُؤْتَمِلِ وَالنَّدَى      هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالنَّائِلُ الْجَزَلُ  
وقول بعض العصريين :

لَمْ يَرِ النَّاسُ لِلْهَدِيدِ أَبِي بَكْرٍ      مِثِيلًا وَأَيْنَ أَيْنَ الْمِثِيلِ (٢)

فالتكرار في هذا كله واقع موقعه الذى لا يحيد عنه ، ولو خلا منه الكلام لذهب شطر حسنه ، بذهاب التوكيد والمبالغة المقصودين من المتكلم .

ولكنك لا تلبس فائدة للتكرار ، ولا تحس تنغيما يندى على قلبك ، ولا حلاوة تسيغها نفسك في مثل قول الكحلجة العُرنى اليربوعى (٣) :  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَغْشَ الْكَرْيَةَ أَوْ شَكَتْ      حَبَالُ الْهَوَيْنِ بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا  
لأن الفتى حشو واضح ، وكان يكفي أن يقول « به » لتقدم ذكر المرء الذى يغنى عن ذكر الفتى .

(١) سر الفصاحة — ٩٩ .

(٢) أغاريد السحر — ٦٤ .

(٣) معنى الكحلجة : صوت النار ولهبها ؛ كذا في العباب ، وزاد القاموس كلجبه بالسيف : ضرب به .

— ٢٣٧ —

وقول زيد الخيل — يخاطب كعب بن زهير — :  
يقول أرى زيدا - وقد كان معديما أراه لعمري قد تمول واغتنى  
فقوله : أراه : حشو لا فائدة منه .

وقول قيس بن منقذ المعروف بابن الحدادية :  
إن الفؤاد قد امسى هائما كلفا قد شفه ذكر سلمى اليوم فانتكسا (١)  
فأتى بقدر في مصراعى بيت واحد .  
ثم زاد على ذلك قبجا آخر حين أتى بأمسى واليوم مع تناقضهما .

وقول أبي تمام يصف قصيدة :  
خذها ابنة الفكر المهدب في الدجى والليل أسود رُقعة الجباب  
فالدجى : حشو ، لأن في القسم الثانى ما يدل عليه .

فإن لم يكن في القسم الأول حشو ، كان القسم الثانى بأسره فضلة (٢)  
هذا فيما يتعلق بتكرار اللفظ والجمل المتحدین في المعنى .  
وأما التكرار بالترادف ، فنه تكرار لا يزيد الكلام بهجة ، ولا يمنحه  
فائدة ، وهو مستقبح حيث وقع ، وقصاراه : أنه يضيع الوقت ، ويورث  
التعب ، ويبغض في القراءة والاستماع ، ويوقع في الضجر والسآمة .  
وهو — إلى ذلك — دليل على ضيق العطن ، ونضوب المعرفة ، وجذب  
الفكر ، وطول اللسان على العقل .

ومنه تكرار يخلع على الكلام رونقا وجمالا ، ويضفي عليه بشاشة وبهاء  
ويضيف إليه ألوانا من الأنغام المحببة ، ويشقق منه صوراً جديدة ، تحمل  
أطيافاً جديدة من المعانى والأخيلة ، والصور والعواطف، وإن مئت  
إلى الأصل برحم واشجة ، وسبب أكيد .

(١) قداءسى : وصل همزة القطع لضرورة الوزن .

(٢) المدة - ٢ - ٥٦ .

وهذا هو الفرق بين الإطناب والتطويل .  
 ذلك ، أن التكرار الفني البليغ لا يقع متحداً في جوهره أبداً ، بل لا بد  
 أن يتحفنا بشيء من التلوين اللفظي والمعنوي والصوتي ، فيه جدة وطرافة  
 لا توجد في الفقر السابقة عليه ، ومن السهل أن ترى هذا في الألوان  
 كالأحمر والأخضر والأصفر مثلاً ، فإنه يمكن أن تتولد منها ، وتتفرع عنها  
 ألوان أخرى لا حصر لها ، كل له حسنه ومنيته ، ووقعه في نفس المشاهد له .  
 ومرد ذلك إلى أن اللغة بطبيعتها ، وتدرج استعمالها ، تأبى لكلماتها  
 المترادفة أن تتحد في سماتها وشيائها وشاراتها ، وإن اتحدت في مسمياتها .  
 فللأسد والغزال والخمر والسيف أسماء كثيرة ، ولكل منها شحنته وأبعده  
 وظلاله وهمسه وجرسه ووقعه وتأثيره .  
 فالأسد غير الضيغم ، والضيغم غير الغضنفر ، والغزال غير الظبي ،  
 والظبي غير الشادن ، والخمر غير المدام ، والمدام غير الشمول إلى آخره (١) .  
 وقد فطن المعلم الأول قديماً إلى مثل هذا الترادف الغني في الجملة والمفرد  
 معاً ، فقال :

إن كل عبارة من العبارات التي تؤدي المعنى ، ليست واحدة في الدلالة  
 بل كلها تغيرت العبارة تغير المعنى ، وكلها دق المعنى واتسع في ذهن الأديب ،  
 وجب أن تتبعه العبارة دقة واتساعاً .

ويقول : إن الكلمات المتقاربة المعنى — ومنها المترادفة — لا تحمل  
 مدلولاً واحداً ، وإنما — وإن دلت على المعنى دلالة عامة — فينبغي فروق  
 بالزيادة ، وفروق بالنقصان (٢) .

ويقول العلوي في الطراز : الترادف — وهو الألفاظ المختلفة في أنفسها  
 دون معانيها ، كقولنا : سيف وصارم ومهند — هذه الألفاظ متفقة في كونها  
 دالة على صفة واحدة لا تختلف أحوالها في الدلالة عليها .

(١) فن الأسجاع للمؤلف - ١ - ٢٢٥ .

(٢) بلاغة أرسطو للدكتور إبراهيم سلامة - ١٥٥ :

وإن كان يقع الاختلاف في أمور عارضة ، كصارم ومهند ، فإنهما —  
 وإن كانا دالين على حقيقة السيف — لا يختلفان فيها لكن الصارم فيه دلالة  
 على القطع ، والمهند فيه دلالة على نسبته للمهند .  
 ويقرر «جاريث»<sup>(١)</sup> : أن المترادفات المختلفة للشئ الواحد ، قد تتفاوت  
 من حيث الجرس واللفظ .

ويقول «تشارلتن»<sup>(٢)</sup> : اللفظتان المترادفتان : تتقاربان كما يتقارب الشقيقتان  
 ولكنهما لا تماثلان تماثل الأصل وصورته .

والشاعر المجيد حين يتناول المترادفات لا يغض عن هذه الفروق مهما  
 دقت ، ومن ثم استحال عليك أن تستبدل في القصيدة الجيدة لفظة بأخرى  
 دون أن يتغير معنى القصيدة كلها .

والقصيدة العصماء يصيبها الفساد إن تغيرت فيها لفظة واحدة ، لأنها  
 نتاج شاعر عمق عظم ، ولا يستحق الشاعر أن يرقى إلى صف العباقرة  
 الأفاضل ، إلا إذا علم علم الإحاطة واليقين : ماذا يريد أن يقول ، وكيف  
 يستطيع ، وبأى الأدوات يستطيع أن يعبر عن هذا الذي يريد ، تعبيراً دقيقاً  
 لا زيادة فيه ولا نقصان .

ويقول «نولدكه»<sup>(٣)</sup> : يجب أن نقر : بأن معاجم اللغة العربية قد تضخمّت  
 كثيراً بكلمات استعملها الشعراء وصفاً لأشياء ، فذكرها اللغويون على أنها  
 أسماء لتلك الأشياء .

ومعنى ذلك : أنك لا تجد اسمين مترادفين يوحيان بمفهوم واحد وبخاصة  
 عند الفنان ، وهذا سر من أسرار اللغات العليا .

وإذا كان الترادف المفيد محموداً في الكلام المرسل على سهولة مسالكه ،

١ (١) فلسفة الخيال — ١٢٠ .

(٣) فنون الأدب — ٩-١٠ .

٢ (٣) فجر الإسلام — ٦٧ .



وخفة المثونة فيه ، فمن باب أولى أن يحمّد في الشعر والسجع والازدواج ،  
لفداحة المشقة وصعوبة الكلفة ، وتقييد الحرية ، حتى يخفف من تراكم الحلى ،  
ويقلل من ثقل التبلور والتركيّز ، ويرفه من عناء التفهم والتذوق .

وقد أشار إلى ذلك العسكري بقوله<sup>(١)</sup> : ولا بد للكاتّب في أكثر أنواع  
مكاتباته : من شعبة الإطناب ، يستعملها إذا أراد المزاجية بين الفصلين ،  
ولا يعاب ذلك منه ، مثل أن يكتب : عظمت نعمنا عليه ، وتظاهر  
إحساننا لديه .

فيكون الفصل الأخير داخلا معناه في معنى الفصل الأول ، وهو  
مستحسن لا يعيبه أحد .

ومثل قول « باسل » خادم مروان بن محمد — لما أحيط بسيده — :  
من أغفل القليل حتى يكثر ، والصغير حتى يكبر ، أصابه مثل هذا .  
وهذا كلام في غاية الحسن ، وإن كان معنى الفصلين الآخرين داخلا  
في معنى الفصل الأول .

ومثل قوله — تعالى — : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى  
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .  
فالإحسان داخل في العدل وإيتاء ذى القربى داخل في الإحسان ،  
والفحشاء داخل في المنكر ، والبغى داخل في الفحشاء .

ومن الشعر قول حسان :

إن شَرَّخَ الشباب والشَّعَر الأسود مالم يُعاص كان جنونا  
فالشعر الأسود داخل في الشباب .

(١) المسنعاتين ١٥٨ - ١٨٦

(٢) الحفص : اذعة ، ومنه : هبش حافض .

وكذلك قول أبي تمام :

رُبَّ تخفض تحت الشَّعْرَى وغناء من غناء ، ونضرة من شُحوب (١)

ويقول العسكري في موضع آخر (٢) : بسط الألفاظ في أنواع المنثور سائغ ، ألا ترى أننا نحتاج إلى الازدواج ، ومن الازدواج : ما يكون بتكرار كلمتين لهما معنى واحد ، وليس ذلك بقبیح إلا إذا اتفق لفظها .

ويسوغ ذلك في الشعر أيضا ، كقول البحتري :

يودّي لو يهوى العذول ويعشق فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق

فيهوى ويعشق سواء في المعنى ، وهو حسن ، إلا أن أكثر ما يحسن فيه إيراد المعنى على غاية ما يمكن من الإيجاز .

وذكر القلقشندي (٣) فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته : المتباين والمترادف ، والحاجة إلى الأخير ، للمخلص عند ضيق الكلام عليه في موضع ، لطول لفظة أو قصرها ، أو اختلاف وزنها في شعر أو رعاية الفاصلة آخر الفقرة في نثر ، أو غير ذلك مما يضطر معه إلى إيراد بعض الألفاظ دون بعض .

ومن يتبع أسلوب الجاحظ وخليفته « طسه حسين » ومن إليهما من يصطنعون الإطناب في التعبير ، يرى الأصباغ والألحان ، والأضواء والظلال ترجع إلى أصل واحد .

ولسكنك تمر في هذه الديباجة الألفة الأنيقة ، فيخيل إليك أنك تجتاز

(١) الصناعتين - ١٨٥ - ق ٧٨

(٢) صبح الأعشى - ١ - ١٥٣ - ١٥٤ .

( م ١٦ - اللغة الفنية )

روضة فيحاء لا نهاية لها ، كلها خضرة ونضرة ، ووشى وحلى ، وزهر وعطر  
وسجع وغناء ، ينسى لاحقها سابقتها ، ويذهل آخرها عن أولها .

وهذا هو الكلام الذى يدعى بياناً ، والبيان الذى يدعى سحراً ، والسحر  
الذى يدعى حلالاً ١٩ ومزية هذا الأسلوب . أنه يعطبك المعنى واللفظ ،  
وفيدك الحلية والنعم ، ويمنحك الدعة والبهجة والانس ، بفضل التأنق  
فى التخيل ، والبراعة فى التصوير ، والافتنان فى العرض ، والتلوين فى التعبير  
وتجلية المعانى المتماثلة فى معارض منوعة الرسوم والرقوم .

ويجب أن نفرق فى ذلك بين أسلوب وأسلوب .

فالأسلوب العلمى يميل إلى القصد فى التعبير ، وترك الزينة والتعميق ،  
والبعد عن التكرار والترادف .

والأسلوب الأدبى من شأنه أن يعنى بالصورة ويستجيدها ، ويتأنق  
فيها ، فيجلى علينا المعنى الواحد فى حلل مختلفة ومعارض متباينة ، زيادة  
فى الإمتاع والإطراف ، وذلك يقضى بالتكرار والترادف فى بعض الأحيان .  
والتكرار المعنوى جائز فى الخطابة لتثبيت الأفكار فى الأذهان ، وتمكين  
السامعين من الفهم ، ولقوة التأثير ، ولكن لا بد من تغيير العبارات (١) .

ولم يفت علماء الدين أن يدلوا بدلوهم فى هذا الموضوع ؛ فأينا فريقاً من  
الأصوليين يشكر وجود الترادف فى اللغة ، ويذكرون اشتقاقات مختلفة  
للألفاظ المترادفة ، ولهم فى ذلك حججتان :

الأولى : أنه يؤدى إلى الاختلاف فى الفهم ، فقد يعلم الإنسان لهذا

المعنى لفظاً، ويعلم الآخر لفظاً آخر، ومع تأدية اللفظين لمعنى واحد، فلا يعلم كل واحد منهما أن لفظ الآخر يدل عليه، وحينئذ يتعذر التفاهم بينهما .  
والحجة الثانية : أن الاسم المترادف يتضمن تعريف المعروف ، وهو خلاف الأصل .

ومن أشد المنكرين للترادف « الحكيم الترمذى » ، وهو صوفى ممتاز — وقد أدى ذلك إلى وجود بعض الخلاف بينه وبين الأحناف .

وقد تصدى الإمام غفر الدين الرازى إلى من أنكروا الترادف، وتمحلوا له الاشتقاقات المختلفة ، وقرء أن عمل الاشتقاقين هذا ليس إلا تعسفاً لا يقبله عقل ولا نقل .

ثم شرح الدواعى إلى الترادف ، وهى :

أولاً : تعدد الوضع ، وتوسيع دائرة التعبير ، وتكثير وسائله ، وهو ما يسميه النحاة وأهل اللغة بالافتنان ، أو تسهيل مجال النظم والنثر ، وأنواع البديع ، وقد يحصل به التجنيس والتقابل والمطابقة .

وثانياً : تسهيل تأدية المقصود بإحدى العبارتين عند تساوى الأخرى (١) .

وقريب من السبب الأخير قول ابن سنان الخفاجى فى : « القفا » ؛

فقد ذكر أنها من الألفاظ التى تستعمل فى الذم ، وليست من ألفاظ المدح وهو يرى أنه ليس بممتنع أن يكون للشئ الواحد اسمان ، أحدهما يستعمل فى موضع والآخر يستعمل فى موضع آخر :

ولكنه يرجع ذلك إلى العرف والعادة دون أصل وضع الاسماء فى اللغة .

---

(١) مناهج البحث للدكتور على سامى النشار - ٣١ - ٣٢ :

ألا ترى أن الإنسان إذا مدح ، ذكر الرأس والكاهل والهامة ، وإذا هجا ذكر القفا والأخادع والقذال<sup>(١)</sup> .

وقد حل بعض المتكلمين المسألة حلا وسطاً ، فالألفاظ المترادفة هي : ألفاظ يشرح بعضها بعضاً ، الجلي يشرح الخفي ، فهي ليست إلا نوعاً من الحد لأن الحد هو : تبديل لفظ خفي بلفظ واضح منه تنبيهاً للسائل<sup>(٢)</sup> .

على أنه مما ينبغي أن يعرف : أن الأمزجة دخلاً كبيراً في هذا فبعض الكتاب يميل إلى البسط بتنويع الجمل ، والآخر يؤثر أن تكون كل جملة مستقلة بمعناها ، منفردة بمفهومها ، وينفر بخاصة من ألفاظ التضاد والمشتراكات — لفظية ومعنوية — والمترادفات ، ويعدها كلمات ترف ، أو ظواهر ثروة لغوية ، تعوق الغرض ، وتمنع السبيل إلى الإبانة .

ومن يحتضنون الرأي الأخير : الأستاذ أمين الخولي ، وقد دافع عنه بجرارة في كتابه « فن القول »<sup>(٣)</sup>

ومن قوله في ذلك : فهذه المترادفات في الحق ثروة لاسوق لها ولا وزن ، في منافع التعامل ، مع كونها عتقة إلى حد ما في وجه متلقي متن اللغة ، ومحصل مفرداتها ، ودارس أدبها ، وهي شيء مما يعوق اتصال الفصيحة بالذيها ، والقرب من الألسنة والقلوب على ما نبغى ونحاول .

على حين يقول الأستاذ أحمد زكي : والتقدم الفكري في الجماعات والأفراد ، يقاس بما عندهم من ثروة لغوية ، كما أن تعود الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد ، دليل على سعة الخبرة بهذا الشيء<sup>(٤)</sup> .

(١) سر الفصاحة - ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) مناهج البحث - ٣٢ .

(٣) ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) مبادئ علم النفس التعليمي - ١٨١ .

— ٢٤٥ —

ولكل وجهة .

ومهما يكن ، فلا يصح أن نغفل أهمية الذوق في الحكم على التكرار  
بالحسن أو بالقبح .

فالحق : أنه — كما يقول ابن الأثير — دقيق المأخذ ، ومقتل من مقاتل  
علم البيان .

\*\*\*

## فهرس لأمهات المسائل

الفصل الأول : الالتزام . . . . . ٥ - ٥٧

أسمائه . تعاريفه . أقسامه وأمثلتها . حروف العلة  
 في الروى وما يمنع اجتماعه منها . اللزوم في القرآن الكريم  
 ورأى ابن الأثير والحموى . نقد شعر لزومى للمعرى . اللزوم  
 في شعر القدماء والمناخرين ورأى النقاد في ذلك . رأى  
 المؤلف . اللزوم عمل فنى شاق . أشهر شعراء اللزوم في العصر  
 الإسلامى . تأمية «كثير» اللزومية وقيمتها الفنية . آراء النقاد فيها .  
 غرام ابن الرومى باللزوم . بعض قصائده اللزومية وأقوال  
 العلماء فيها . وقوع اللزوم في أول الأبيات . المعرى شيخ  
 الالتزام . شعره ونثره . تأليفه . آراء النقاد فيه . خلفاء المعرى  
 في اللزوم . اللزوم المطبوع وقيمته الفنية . آراء النقاد فيه . رأى  
 المؤلف . لا يغتفر للشاعر التقصير في العمل الفنى . ضرر  
 تسكف القوافى . القوافى المخنثة وأمثلتها . متى يستحسن التصغير .  
 الأسماء الواردة على التصغير . نكتة تصغير ابن أبى ربيعة للملال  
 ورأى سعيد بن المسيب . الخفيف . الرقطاء . الموصل . المقطع  
 الحذف . «واصل» وحرف الراء . أمثلة عجيبة للكلام الخالى  
 من بعض الحروف . المجاز . شعر معاينة للمعرى ومظفر  
 الأعمى : التضمين . مثال غريب له من شعر البحترى . شعبذات  
 لزومية . مصاوله عنيفة بين البديع والخوارزمى في ذلك .  
 المتزلزل وتمثيل الوطواط له . البديع والحريرى فارسا الشعوذة

البيانة . اللزوم في شعر العصرين . البارودي بطل اللزوم  
في العصر الحديث . تكلفه القوافي البغيضة حرصاً على اللزوم .  
بجاوزته حدود مالزومه الأقدمون . قصائده اللزومية وضعفها .  
الشاعر بخيمر تليذ المعري في العصر الحاضر . لزوميات  
بخيمر . وصفها وتحليلها . لا يعد اللزوم في جملة من سمات  
الشعر المعاصر .

#### الفصل الثاني التطريز ٥٨ — ٦٧

التطريز في اللغة . التطريز حقيقة ومجازا . طراز الله .  
الطراز الأول . مدلولات التطريز ومشتقاته وماتوحى به .  
تعريفه في الاصطلاح البلاغي . نماذج شعرية له . خلو الشعر  
الجاهلي والإسلامي منه . ندرته بعامة في شعر المحدثين . إكثار  
ابن الرومي منه وإجاداته فيه . تحليل بعض القطع الشعرية له .  
أسباب البراعة في التطريز . كثرة التطريز في عصر التصنيع  
البديعي . مخافة العسكري في التطريز للجمهور . أحسن مدح  
قاله الشاعر في رأيه . التطريز والمجاورة عند العسكري .

#### الفصل الثالث : التفويف ٦٨ — ١٠٥

معنى التفويف عند اللغويين . اشتقاقه . تعريفه في اصطلاح  
البديعيين . تعريف الخطيب له وإرجاع بعض أمثاله إلى مراعاة  
النظير والمطابقة . أمثال شعرية له . وروده في شعر الأعراب .  
احتفال المولدين به . تفويف المعنى وتفويف اللفظ . يلحق  
بالتفويف سياقة الأعداد وتنسيق الصفات . كثرة التفويف  
في شعر البحترى . أقسام التفويف . التمثيل له من القرآن  
والحديث والشعر والنثر . تفويف لابن زيدون استحسنة



ابن بسام . تفوييف للمبتني أعجب به سيف الدولة . نقده  
وتزييفه . رأى القاضي الجرجاني فيه . كثرة التفوييف في شعر المبتني  
واختلافه حسناً وقبحاً . أقبح تفوييف المبتني . حل رموزه  
ونقد ابن رشيق له . رأى المؤلف فيه . تفوييف معيب لأبى تمام .  
نقد ابن الأثير له . أنواع من التفوييف البارع للبحترى . رأى  
الحوى في التفوييف . رد المؤلف عليه . شروط حسن التفوييف  
في نظر المؤلف والتمثيل التطبيق على ذلك . موازنة بين البحتري  
والمبتني في التفوييف ، أمرؤ القيس فاتح باب التفوييف . نقد  
شعر في التفوييف للدكتور نجيب محمود . مناقشة المؤلف له .  
الأشياء التي يفسد بها المعنى والتمثيل لها . الشاعر لا يستقصي  
ولا يستوعب . للتشبيه حدود معروفة . المتعة الفنية قد تتحقق  
بالأشياء المفترضة . استحسان الأشياء واستقبحها يختلف  
 باختلاف البيئات . قهقهة الرعد وضحك البرق وما قيل  
في ذلك .

#### الفصل الرابع : التباير . . . . . ١٠٦ — ١١٩

تعريفه . اسمه ومدلوله . وجوده في المنطق باسم القياس  
الشعري . كثرته في شعر العرب . تحسين القبيح . أحسن  
اعتذار عن الفرار . قدرة العرب على تحسين القبيح . الجمع  
بين التهنية والتعزية . مدح الموت . مدح إفشاء السر . مدح  
البخل . تسويغ الحلف الكاذب . مدح الإعراض . مدح الحقد  
وذمه . أحسن احتجاج للحقد . كثرة مدح ابن الرومي للأشياء  
وذمه وأسبب ذلك . مدح الشر والاحتجاج لذلك من القرآن الكريم .  
تقبيح الحسن . ذم الصبر ثراً وشعراً . الشعراء لا يتناقضون  
ولا يكذبون في الواقع . احتجاج المرتضى لهم . كراهة الوداع .

مدح الوداع . أشعر الناس في نظر الأصمعي . حسن البلاغة  
في نظر بعض النقاد . مدح على بن أبي طالب للدينا وذمها .  
افتنائه في مدح دار ودمها ارتجالاً . مدح الدينا وذمه للحري .  
مفاضلة الشعراء بين السيف والقلم . تقسيم ابن أبي الإصبع للتغاير .  
لا يعد التغاير تناقضاً . مغايرة المعنى لمغايرة اللفظ . مثالان للتغاير .  
البلغ في بعض الآيات القرآنية . التغاير باب واسع من أبواب  
الترية والتهذيب . ألوان من التمثيل لذلك .

#### الفصل الخامس : التوشيع . . . . . ١٢٠ — ١٥٢

التوشيع عند اللغويين : اشتقاقه عند العلوى . تسميته  
له بالتوشيع وتعليله . تعريفه في اصطلاح البلغاء والتمثيل لأنواعه .  
وروده في الشعر والنثر . مخالفة ابن شيت القرشي للجمهور فيه .  
مطرف التوشيع . اشتقاق التوشيع عند الحلبي والحموي والنويري  
وتعليل ذلك . خطوهم فيما ذهبوا إليه . التوشيع المطبوع من أجل  
الحلى البديعية . أمثله منوعة للتوشيع من القرآن والحديث وشعر  
البلغاء ونثرهم . نقد شعر توشيعي استحسنه الحموي . أبيات  
في العطف على العشاق . وصف غير العاشق بالسواد وتعليل  
ذلك . وصف خفوق القلب والكبد . وصف النحول . نقد  
شعر لابن أبي الإصبع . التوشيع شعبة من الإطناب . حسنه  
دائماً في النثر وتعليل ذلك . أمثال مأثورة له . أمثال للتغليب  
وشروطه . التغليب في القمرين والعمرين ورأى العلماء فيهما .  
التوشيع الحسن قليل في الشعر . فقد الشباب وفرقه الأحباب  
وما قيل في ذلك ، قديماً وحديثاً . تحليل أمثلة شعرية في التوشيع  
ونقدتها . وقدره البيان على تصوير المحال ممكناً ، والبعيد قريباً  
وتأليفه بين المتنافرين . نقد أبيات استحسنها العلوى ، وبيان

مثالها . القرابة بين الجود والشجاعة وأقوال الشعراء في ذلك .  
نقد قصيدة في التوشيع لأبي عبدالله محمد بن حامد . نقد الدكتور  
زكي مبارك لبعض شعر التوشيع والرد عليه . خضوع التوشيع  
لروابط تداعى المعانى .

## الفصل السادس : الاطراد . . . . . ١٧٦-١٥٣

معنى الاطراد عند اللغويين والبلغاء . شروط حسنه . غلو  
الصفي الحلى في شروطه . عدم التكلف دعامة الاساسية .  
شواهد الشعرية القديمة . بيت لدريد بن الصمة في الاطراد  
وبيان جماله . شروط حسنه عند ابن رشيق . أمثلة مطبوعة  
له وتوضيح حسنها . أمثلة معيبة له ونقدها . أبيات اختيرت  
قوافيها ابتداء . لا يعاب على الشاعر اختيار القافية لغرض  
من الأغراض . شروط اختيار القافية . أبيات النابغة الدالية  
وأبيات البحترى الفائية ورأى النقاد فيهما . مجئ بعض الأعلام  
عفواً في الشعر . الأسماء المستحسنة في الشعر . نقد أبيات وردت  
فيها أسماء ثقيلة . رقة الأسماء في عصور الحضارة . للشعراء أسماء  
خاصة . الأسماء الحقيقية والمستعارة في الشعر .

سبب حب العرب لتكثية البنات في الصغر . نقد أبيات  
للبتني حفلت بالأسماء . اختلاف الخفاجي وابن رشيق في الحكم  
عليها . نقد كلمة «أنساب» في الشعر . ضرورة سليمان بن وهب .  
تهجين العلوى لذكر الأمهات في الشعر . رد المؤلف عليه  
بالأمثلة الكثيرة . ما يجب تحقيقه في المدح بالأمهات .

## الفصل السابع : التوسم . . . . . ٢٠٠-١٧٧

أول من استنبط هذا الباب . تعريفه عند البلغاء وتسميته .

اعتراض ابن السبكي على بعض أسمائه . أنسب الأسماء له .  
 ما بنى على قافيتين منه . قصيدة تنسب إلى الطغرائي والحريري معاً .  
 أمثلة مختلفة للتوهم ونقدها . التشريع في شعر الأخطل . رأى  
 الوطواط . في الأجزاء الباقية بعد إسقاط الأصل .. مثال لما بنى  
 من أكثر من قافيتين وتقطيعه إلى قواف عدة . بحر الرجز  
 أوسع البحور في التوهم . اختلاف البلاء في التوشيح . قيمة  
 التشريع الموسيقية والفنية . أحسن ضروبه وأخفها . أمثال  
 للشعوذة الشعرية . قصيدة غريبة للرئيس ابن عاصم ونقدها  
 قصيدة للخلاطى تقرأ على ستين وثلاثمائة وجه وطريقة ذلك .  
 بيت يشتمل على أربعين ألف بيت . رأى ابن الأثير في مثل  
 هذه الأمثال . ما يتصل بالتشريع : المتلون . المربع . اختلاف  
 العلماء في وقوع التشريع في النثر . ليس كل شاعر يجيد التشريع .  
 التمثيل له من القرآن الكريم . اعتراض السيوطى على ابن  
 أبي الأصبع في بعض الأمثلة .

#### الفصل الثامن : التكرار . . . . . ٢٠١ — ٢٤٥

تعريف التكرار . أمثلة له من الشعر . أحسن ما ورد منه  
 في الشعر . التكرار في الغزل . في المدح . أمثلة للمفرد والمركب .  
 التكرار في الهجاء . قصيدة جرير الدماغة .  
 وروده في الزاوية والتهكم . في التقريع والتوبيخ . في الوعيد  
 والتهديد . أمثله المفردة والمركبة من القرآن . وروده في التوجع  
 والرثاء . رثاء زوجة لزوجها . باب الرثاء أولى بالتكرار .  
 وروده في الاستغاثة . في التفخيم . في التعجب . في الاستبعاد .  
 في النهويل . في التقرير والإنكار . بلاغة الفاصلة « فبأى آلاء  
 ربكما تكذبان » وما قيل في ذلك . بلاغة الفاصلة « فذوقوا عذابي  
 ونذر » . تكرير بعض الآيات المشهورة . موقع الإطناب

والإيجاز . وجه التكرار في سورة الكافرين واختلاف العلماء في ذلك . تلخيص رأى المرتضى . آراء المفسرين . بلاغة الفاصلة « ويل يومئذ للكذابين » .

بلاغة بعض الآيات المكررة . تكرير إن وأخواتها . مخاطبة القرآن للعرب والأعراب . مخاطبة القرآن لليهود . الترادف في اللفظ والمعنى . تقسيم ابن الأثير للتكرار .

نقد المؤلف لابن الأثير . التكرار عند ابن رشيق . تهجين الحموى للتكرار . التكرار القرآني وقيمه البلاغية . أمثلة للتكرار المستهجن . تكرير المتنبي المرذول وأمثله ونقد الصاحب له . نقد المعري لبعض شعر المتنبي . تنقص المتنبي الموهبة الموسيقية . اختلاف النقاد في بعض الآيات الشعرية . تكرار لفظة « ابن » وماقيل في ذلك . رأى ابن الأثير في الترادف . خطؤه في إيراد الأمثلة . متى يحسن التكرار ومتى يقبح ؟ الفرق بين الإطناب والتطويل . رأى الفارابي في الترادف . رأى العلوى وغيره . رأى بعض نقاد الغرب . أسلوب الجاحظ . وطه حسين . الأسلوب العلمى والأسلوب الأدبى . إنكار الترمذى للترادف ورد الرازى عليه . شرح دواعى الترادف . اختلاف الترادف باختلاف الأمزجة .



## مصادر الكتاب ومراجعته

### اسم الكتاب ومؤلفه

مسائل فلسفة الفن المعاصرة : ج ، م جويو ، ترجمة الدروبي

تحرير التجبير .	ابن أبي الإصبع العدواني	مخطوط بالمكتبة التيمورية
بديع القران .	» » » »	تحقيق الدكتور - فني شرف
نهاية الأرب .	» » » »	النويري
خزانة الأدب .	» » » »	الحوي
حسن التوسل .	» » » »	الحلبي
معاهد التنصيص .	» » » »	العباسي
التجريد على السعد .	» » » »	البناني
ديوان الحماسة .	» » » »	أبو تمام « طبع الرافعي »
ابن قيس الرقيات .	» » » »	علي النجدي
المثل السائر .	» » » »	ابن الأثير
مفتاح العلوم .	» » » »	السكاكي
ألحان الأصيل .	» » » »	علي الجندی « ديوان شعر »
شرح المفصل .	» » » »	الزنجشري
السكامل .	» » » »	المبرد « شرح المرصفي »
دولة النساء .	» » » »	البرقوقي
الآمال .	» » » »	القالبي
مع أبي العلاء في سجنه .	» » » »	الدكتور طه حسين
سر الفصاحة .	» » » »	ابن سنان الخفاجسي
تزيين الأسواق .	» » » »	داود الانطاكي

معجم الأدباء . . . .	ياقوت الحموى
العمدة . . . .	ابن رشيق
زهر الآداب . . . .	الحصرى
نفح الطيب . . . .	المقرى
الغفران لآلى العلاء . . . .	الدكتورة بنت الشاطئ
التفسير الأدبى . . . .	أمين الخولى
دايون الشريف الرضى . . . .	
النبغة الذبياني . . . .	عمر الدسوقي
الفصول والغايات . . . .	المعري
كشف الظنون . . . .	حاجى خليفة
صوت أبى العلاء . . . .	الدكتور طه حسين
أبو العلاء . . . .	أحمد تيمور باشا
فن الأسجاع . . . .	على الجندى
تجديد ذكرى أبى العلاء . . . .	الدكتور طه حسين
وفيات الأعيان . . . .	ابن خلكان
دراسات فى علم النفس الأدبى . . . .	حامد عبد القادر
تاريخ النقد الأدبى . . . .	طه إبراهيم
المزهر . . . .	السيوطى
فوات الوفيات . . . .	الكتبى
الشعر والشعراء . . . .	ابن قتيبة
ديوان ابن ربيعة . . . .	
رغبة الأمل . . . .	المرصفى
الأغانى . . . .	أيو الفرج الإصفهانى ، طبع دار الكتب ،
الطراز . . . .	العلوى اليمنى
المقامات . . . .	الحريرى

حدائق السحر . . .	الوطواط	ترجمة الدكتور الشواربي ،
البيان والتبيين . . .	الجاحظ .	
جمهرة خطب العرب . . .	زكي صفوت	
مفتاح الأفكار . . .	أحمد مفتاح	
المخصص . . . . .	ابن سيده	
الملل والنحل . . . . .	ابن حزم	
الفرق بين الفرق . . . . .	اليعنبدادى	
مفاتيح العلوم . . . . .	الخوارزمى	
سلافة العصر . . . . .	المدنى	
الإحاطة فى أخبار غرناطة . . .	ابن الخطيب	
يتيمة الدهر . . . . .	الشمعالى	
ممرات الأوراق . . . . .	الحموى	
المستطرف . . . . .	الأبشهى	
حاشية الدمنهورى على متن السكافى		
الرسالة العذراء . . . . .	ابن المدبر	
الأوراق . . . . .	الصولى	
الموشح . . . . .	المرزبانى	
رسائل البديع		
الكشاف . . . . .	الزحشرى	
مقدمة لزوم مالا يلزم . . .	المعرى	
ديوان امرىء القيس . . . . .		
ديوان النابغة . . . . .		
ديوان البحتري . . . . .		
دايوان البارودى . . . . .		
لزوميات نخيمر . . . . .		



القاموس	.	.	.	.	الفيروز باذى
لسان العرب	.	.	.	.	ابن منظور
المصباح	.	.	.	.	الفيروز
الاساس	.	.	.	.	الزنجشرى
ثمار القلوب	.	.	.	.	الشعابى
الصناعاتين	.	.	.	.	أبو هلال العسكرى
ديوان ابن المعتز	.	.	.	.	
ديوان ابن الرومى	.	.	.	.	
قلائد العقيان	.	.	.	.	الفتح بن خاقان
فن الجناس	.	.	.	.	على الجندى
ديوان ابن زيدون	.	.	.	.	
ديوان المعانى	.	.	.	.	العسكرى
الإيضاح	.	.	.	.	الخطيب
بغية الإيضاح	.	.	.	.	عبد المتعال الصعيدى
الذخيرة	.	.	.	.	ابن بسام
العرف الطيب	.	.	.	.	اليازجى
المواهب الفتحية	.	.	.	.	حمزة فتح الله
نكت الزركشى على البخارى	.	.	.	.	
فتح البارى	.	.	.	.	ابن حجر
المغنى	.	.	.	.	ابن هشام
ديوان ابن الفارض	.	.	.	.	
فنون الأدب	.	.	.	.	هـ . ب تشارلتن د ترجمة الدكتور
	.	.	.	.	زكى نجيب محمود ،
ديوان ابن هانئ الأندلسى	.	.	.	.	
المجمل فى فلسفة الفن	.	.	.	.	بندتو كروتشة

## آثار المؤلف

---

### ١ — الشعر :

أغاريد السحر . أخذ الجائزة الأولى من المجمع اللغوى سنة ١٩٤٨ م .  
٢٦٠٠ بيتاً .

ألحان الأصيل . ٤٥٠٠ بيتاً  
ترانيم الليل . ٣٥٠٠ بيتاً .

### ٢ — النثر :

كتب جامعية .  
فن الأسجاع : جزءان .  
فن التشبيه : ثلاثة أجزاء .  
فن الجناس .  
البلاغة الغنية .

### ٣ — كتيبات :

سياسة النساء .  
رمضان فى الأدب .  
بين القمر الطبيعى والصناعى .

### ٤ — كتب عامة :

خمسة أيام فى دمشق الفيحاء .  
الشذا المأونس . فى الورد والزرع .

كتب بالاشتراك :

- أطوار الثقافة والفكر .
- في ظلال العروبة والإسلام : طبع منها جزءان .
- المطالعة الوافية : جزءان .
- حديثنة الإنشاء : ثلاثة أجزاء .
- بستان الإنشاء : جزءان .
- روضة الإنشاء : جزءان .
- سلسلة المراجعة : ستة أجزاء .

\* \* \*

المختار من شعر القومية العربية ثلاثة أجزاء  
« تحت الطبع »

كتب معدة للطبع

- الجن بين الحقائق والأساطير
- الشاعر المؤمن الصوفي
- بستان البهاء زهير .
- في مملكة حواء
- أدب الفال والشوم .
- التمثيل بالشعر
- أحسن ما قيل في بابه .
- الكناية ثلاثة أجزاء
- العناق في شعر العشاق .
- فلسفة الأسماء
- ملك الغابة
- المرأة والغزل في شعر المتنبى

— ٢٥٩ —

سيف الله المسلول .  
الرقى والأحلام .  
سورية : طبيعتها وريعتها .  
الفواكه في الشعر العربي  
الفنون البلاغية في شعر شوقي .  
متحف الكون ثلاثة أجزاء  
أغرب المرائي ثلاثة أجزاء  
شجون وفنون : ستة أجزاء  
القطوف الدانية : سبعة أجزاء .

\* \* \*

سبع الحمام . في حكم الإمام  
( بالاشتراك )

المطبعة الفنية الحديثة  
٢ شارع الحسن البصري ت ٨٦٤٨٧١









